444

HARLEQUIN

روايات أحلام

# هروب في الليل

تريش موراي

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

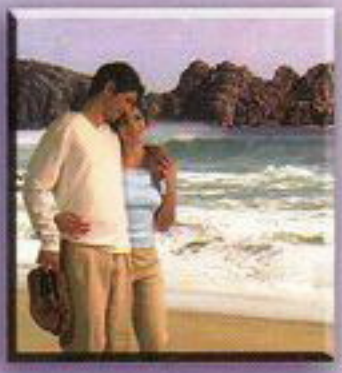

## هروب في الليل

اقترب ديابلو منها وقد بدا بوضوح نفاد صبره .
فقال: حسناً ! ما الذي قررته ؟
أجابت مارتا بكلمات لاذعة: إنني أكرهك من صميم قلبي .
اخترقت عيناه عينيها ، ما جعلها منقطعة الأنفاس غير قادرة على الحراك . تنهد ديابلو واستدار مبتعداً ، ثم قال :
الكراهية هي الوجه الآخر للشغف .
سحبت مارتا الهواء بقوة إلى رئتيها ، فيما صرخ ديابلو ببرود تام: أريدكم أن توضبوا أغراضكم وترحلوا من هنا مع بداية الأسبوع .
ـ لا !
استدار نحوها وقال: ما الذي تقصدينه ؟ شروطي واضحة .
همست مارتا قائلة: سوف أفعل ذلك ... سأتزوجك !

www.elaphbooks.com

| | | | |
|---|---|---|---|
| لبنان: | 3000ل.ل | البحرين: | 1دينار |
| سوريا: | 100ل.س. | السعودية: | 10ريال |
| الأردن: | 1.5دينار | مصر: | 8جنيه |
| الكويت: | 750فلس | المغرب: | 15درهم |
| الإمارات: | 10دراهم | تونس: | 2.50دينار |
| قطر: | 10ريال | عمان: | 1ريال |

ISBN 978-9953-15-412-1

# تريش موراي

كاتبة أسترالية أمضت جزءاً من حياتها في نيوزيلاندا وبريطانيا. وهي الآن تعيش مع زوجها وبناتها الأربع في منطقة مميزة من جنوب أستراليا، تكثر فيها البساتين وتزورها حيوانات الكنغر والكوالا من حين إلى آخر.

عشقت تريش القراءة منذ نعومة أظافرها. ألفت كتابها الأول بسن الحادية عشرة ثم أبعدتها الحياة والانشغالات العائلية عن هوايتها. ولكن ها هي تغوص مجدداً في تأليف الشخصيات والروايات العاطفية. وكان نشر كتبها حلماً تحوّل إلى حقيقة.

زوري موقع تريش على العنوان التالي:

www.trishmory.com.



# ١ - زائر في آخر الليل

الوقت متأخر جداً، كي يقوم أحدهم بزيارة اجتماعية!

قطعت بريار دافنبورت ردهة المدخل، فيما سُمعت طرقات كعبي حذائها على البلاط المليء بالغبار. أنبأها حدسها أن هناك شيء ما على غير ما يرام، ما بعث الفوضى في أعصابها المتوترة، فزوّار آخر الليل قلّما يحملون معهم الأخبار الجيدة. رنّت مجموعة الأجراس مجدداً، فكبحت بريار اندفاعها غير المألوف لأن تصرخ بذلك المجهول الذي يقف خلف الباب. لكن آل دافنبورت لا يصرخون مطلقاً من خلف الأبواب، حتى لو كانت أعصابهم مشدودة بجهدة بسبب محاولتهم التوصل إلى قرار يتعلق باختيار نوع الأغراض التي سوف يرسلونها إلى المزاد العلني، كأنما لم يكفهم أنهم أصبحوا هذه الأيام مضطرين إلى فتح الأبواب بأنفسهم.

حامت يد بريار فوق مقبض الباب لبرهة فيما استنشقت نفساً عميقاً، في محاولة لتهدئة أعصابها. لا بد أن يتغير حظهم المتعثر يوماً، فلم لا يحصل ذلك الليلة؟ لكن... ما إن فتحت الباب حتى أدركت أن حظهم السيء مازال يزداد سوءاً!

- أنت؟

انحنى ديابلو بارينتيس الذي يقف في مواجهة الباب المفتوح، فتقوس جذعه ذو اللباس الأسود فوقها.

جل ما استطاعت بريار فعله هو البقاء ثابتة في مكانها كي لا تتراجع إلى الخلف بدافع قوة جسده. بدا الرجل تحت الضوء كأنه امتداد لسماء الليل. كان شعره الطويل حتى كتفيه معقوداً على شكل ذيل الحصان، إلا أن ذلك لم



www.elromancia.com

يترك أي تأثير سلبي على رجولته، بل أبرز شكله المشابه لقراصنة البحر.

تبدلت أفكارها إلى الجزع المفاجئ، بسبب ومضة النصر التي تألقت في عينيه السوداوين المضيئتين. أحسّت كأن أناملها تستحثها كي تصد الباب الخشبي وتثبته بإحكام، لكنها عوضاً عن ذلك أجبرت نفسها على البقاء في مكانها، ورفعت ذقنها إلى الأعلى كأن ذلك سيزيد من طولها الذي هو فارع أساساً، فأصبحت عيناها على بعد إنشٍ واحد من عينيه.

- ماذا تريد؟

ارتفعت إحدى زاويتي فمه إلى الأعلى، كما لو أن محاولتها لتضاهيه في الطول قد أمتعته. أجابها: «يفاجئني أنك لم تغلقي الباب في وجهي».

آه... يا إلهي! إن آخر ما ترغب به الآن هو أن يذكرها كم تستحثها أناملها لتفعل ذلك بالضبط، فاشتداد قبضتها على الباب جعلت مفاصل أناملها تبدو بيضاء كالثلج.

- إذاً لا داعي لأن أخبرك أنك لست موضع ترحيب هنا.

- مع ذلك ما زلت هنا.

أربع كلمات... أربع كلمات بسيطة قيلت كأنها تهديد، وقد بدت في نبرته آثار اللهجة الكاستيلية، فسرى الخوف في عروق بريار.

- لماذا؟

تجاهل ديابلو سؤالها، ورد ملمحاً إلى قلّة مجاملتها له: «تسرني رؤيتك أيضاً، بريار».

لكن التصرف بأدب ولياقة بالكاد أمر يهمها أو يشغلها في الوقت الراهن، فيما شعرت أن لهجته التفّت حول اسمها كما لو أنه يلتهمه... كما لو أنه يلتهمها هي نفسها. سرت في جسمها قشعريرة. إن كان ديابلو يعتقد أن بمقدوره القيام بذلك، فهو حتماً أخطأ في اختيار قائمة الطعام.

حاولت إبقاء صوتها معتدلاً: «صدقني! السرور لك وحدك».

ضحك ديابلو ضحكة مكتومة ثم ردّ قائلاً: «نعم».

لم تبدِ عيناه أي شكل من أشكال الاعتذار فيما جالت نظراته على امتداد



جسدها، بدءاً من عينيها مروراً بقامتها الرشيقة، نزولاً حتى سروال الجينز الذي يحمل اسم مصمم مشهور، وصولاً إلى الجزمة الزهرية اللون التي تنتعلها، لتعود بجولتها صعوداً بأسلوب بطيء... حار...

أخيراً، عادت نظراته لتلتقي بنظراتها، وكل ما تمكنت بريار من فعله هو أن تتذكر استنشاق نَفَسها.

تمتم ديابلو: «السرور سروري، بالفعل»

أخذت فقاعات الغضب تفور إلى الواجهة مع استنشاقها التالي للهواء. كيف يجرؤ على النظر إليها بهذا الأسلوب... كأنه يمتلكها؟ لا يحق له مطلقاً! ديابلوباريتيس يخدع نفسه لو ظن للحظة بأنه قد يمتلكها. لم تستطع بريار منع نفسها من شبك ذراعيها فوق صدرها آملة بذلك أن تتمكن من إخفاء مظاهر التوتر التي بدت عليها.

- لم تطلعني بعد على سبب وجودك هنا.

- جئت لرؤية والدك.

- أشك في أن يرغب والدي برؤيتك بعد ما فعلته لتقويض عمله وتدمير حياتنا.

رفع ديابلو حاجبيه الكثيفين بأسلوب أنبأها أنه لا يهتم لما تظنه، مما جعل غضبها يتزايد.

- شكوكك لا تهمني، أما عملي فيهمني كثيراً، والآن بالذات أنت تمنعينني من إدارة ذاك العمل. لذا، هلّا تحركت جانباً بكل بساطة؟

استقامت بريار في وقفتها أكثر من غير أن تتزحزح إنشاً واحداً، ثم قالت: «الوقت متأخر، وحتى لو لم يكن كذلك فأنت تهدر وقتك. أنت آخر شخص قد يرغب والدي بالعمل معه».

وانحنى ديابلو إلى الأمام، مقترباً منها بعينيه السوداوين، وقال: «من الواضح أن لا فكرة لديك عما يقدر والدك على القيام به».

لامست أنفاسه الدافئة وجه بريار، فشعرت كأنها تتنشق رائحة الرجولة. استطاعت أن تشعر بالرطوبة الدافئة تنطلق من جبهتها، بالرغم من نسيم الليل



www.elromancia.com

الخريفي الملطف، وأن تشعر بكل عضلة في جسدها تشتد استعداداً للمجابهة أو للهرب. ما الذي جاء بهذا الرجل إلى هنا الليلة؟ لمَ عساه يعتقد أن من الممكن السماح له بالدخول إلى منزلهم، بعد أن بذل كلّ جهوده ليقوّض حياتهم، ويهدم مئتي سنة من التاريخ العريق؟

استطاعت أن تدرك بصورة غريزية أنه مهما كان هدف زيارة هذا الرجل إلى هنا، فلا يمكن أن ينتج عنها أي شيء جيد، بدا الجواب واضحاً ببساطة: ديابلو بارينتيس لن يعبر عتبة هذا الباب ما دام بإمكانها التحكم بالأمر!

- بريار! من الطارق، عزيزتي؟

فوجئت بريار بأن والدتها ما تزال مستيقظة، لكنها لم تدع رأسها يميل باتجاهها إلا قليلاً. ردّت: «لا أحد يستحق اهتمامك».

مدت يدها لتطال المقبض بهدف صد الباب وإعادته إلى مكانه. إلا أنها لم تقترب من تحقيق مبتغاها، إذ امتدت يد ديابلو بسرعة، لتمنعها من ذلك. أما هو فوقف في طريق الباب وثبته في مكانه بقوة كما لو أنه صاعقة ضوئية. ثم عاد ودفعه ليعود كما كان من قبل بدفعة من يده الحديدية.

صرخت بريار باستهجان بسبب الصدمة: «ماذا تظن نفسك فاعلاً؟»

في تلك اللحظة صاحت والدة بريار بصوت مشدود أشبه بحد السيف القاطع: «بريار! دعي السيد بارينتيس يدخل.»

استدارت بريار لتواجه والدتها هذه المرّة، فقالت: «لا يمكن أن تكوني جادة. ليس بعد...».

ردت المرأة الأكبر سناً بصوت بالكاد يتجاوز الهمس، وإحدى ذراعيها مشدودة فوق صدرها، فيما أمسكت أنامل يدها الأخرى بعنقها بتوتر: «بل أنا جادة. والدك يتوقع قدومه. ادخل سيد بارينتيس، فكاميرون ينتظرك في غرفة المكتبة. أعتذر منك على تصرف ابنتي غير اللبق».

تمايلت بريار كما لو أنها تلقت صفعة على وجهها، مع ذلك لم تتمكن من إنكار صوابية تصرف والدتها. أين ذهبت تربية آل دافنبورت اللائقة؟

قال ديابلو وهو يخطو إلى الداخل متجاوزاً بريار: «لا بأس! أجد نفسي



هذه الأيام مستمتعاً جداً بالتعاطي مع النساء ذوات الشخصية القوية».

أغمضت والدة بريار عينيها، وبدا كأنها تترنح على قدميها لوهلة. وبعد أن استعادت رباطة جأشها، قالت: «حسناً! هل يمكنك القدوم من هذه الناحية، سيد بارينتيس؟»

- ما الذي يجري؟

استدارت كارولين دافنبورت نحو ابنتها لكنها بالكاد نظرت إليها، فقد ركزت على نقطة ما فوق كتفيها، ثم قالت: «يمكنك إغلاق الباب عزيزتي، فهواء الليلة بارد بالفعل. بعدئذ ربما يمكنك جلب بعض القهوة للرجلين. أنا واثقة أن لديهما الكثير من المواضيع للمناقشة».

لا بد أن والدتها تمزح! لو كان هناك هواء بارد فسببه هو حتماً الغيمة السوداء التي أدخلتها للتو إلى المنزل. ولتحل عليها اللعنة لو أنها قامت بتقديم القهوة لأمثال ديابلو بارينتيس، الرجل الذي قام بتجريد إحدى أعرق العائلات وأكثرها احتراماً في سيدني من ثروتها.

أقرّت بريار وهي تؤرجح الباب لتقفله أنها تتخلى عن كل لمحة من التربية الصالحة التي تلقتها، إلا أنها لم تكن قادرة على منع نفسها من ذلك، فقالت: «سوف أحضر لوالدي أي شيء يحتاجه. لكنني آسفة أمي، ديابلو يمكنه الاهتمام بنفسه».

بعد مرور نصف ساعة، كانت بريار ما تزال تغلي من الغضب بسبب وجود ضيفهم حينما وجدتها والدتها تجلس بمفردها في المطبخ.

سألتها بريار: «هل رحل؟».

هزّت الوالدة رأسها نفياً، فأحسّت بريار بضغط دمها يرتفع، قبل أن تجبر نفسها على إعادة تركيزها إلى الشاشة أمامها. هذا إن كانت تستطيع التركيز، في حين أن رأسها ممتلئ بالغضب من ذاك الإسباني الذي ينوي القضاء على عائلتها. اللعنة عليه! ما الذي يريده من والدها الآن؟ ما الذي تبقى لديهم كي يأخذه؟ فحتى منزل الأسرة بات الآن مرهوناً.

وضعت الوالدة يديها على كتفيها ومسّدتهما برقة، ثم سألتها: «ما الذي



www.elromancia.com

تفعلينه حبيبتي؟».

ابتسمت بريار، وتبدد بعض توترها تحت تأثير لمسات والدتها.

- إنه ذاك الجدول الذي أعمل عليه. وضعت قائمة بالمفروشات والتحف التي قررتما أنت ووالدي أن بإمكانكما تحمّل الافتراق عنها. تحدثت مع المسؤول عن المزاد العلني، ويبدو أننا سنحظى بما يكفي لسد احتياجاتنا إذا قمنا بإرسال القطع الملائمة إلى المزاد كل شهرين أو ثلاثة عوضاً عن إرسال كل شيء دفعة واحدة.

- آه! هل هذا صحيح؟

توقفت يد الوالدة عن التحرك، وانتقلت إلى الكرسي الخشبي المجاور. أما العبوس الذي عقد حاجبيها فبدا كأنه أضاف عشر سنوات على الأقل إلى عمرها. فجأة شعرت بريار بالندم بسبب تصرّفها قبل قليل، إن ضغوطات أزمتهم المالية تركت تأثيرها السلبي عليهم جميعاً، لكن والدة بريار بدت الأكثر تأثراً، فهذه الأخيرة ما تزال تشعر بخسارة ابنها البكر منذ سنتين.

أطفأت بريار الكمبيوتر ببضع نقرات سريعة من أناملها. لا شك أن آخر ما تحتاجه والدتها الآن هو أن يتم تذكيرها بالأغراض القيمة التي ستباع قريباً في المزاد العلني.

لذا قالت: «لا تقلقي! سوف نتدبر أمرنا خلال هذه المحنة. أعلم أننا قادرون على ذلك. إذا ما توفرت لي الوظيفة التي وعدوني بها في صالة العرض، سوف تتحسن الأمور أكثر».

وضعت الأم يدها فوق يد بريار، ثم قالت: «أنت طيبة جداً لأنك تقومين بذلك، لكن ربما لن نضطر إلى بيع كل شيء. والدك يأمل في أن يجد طريقة أخرى للخروج من هذه الورطة».

استدارت بريار حول نفسها لتواجه والدتها، فيما فتحت كفّيها ورفعتهما إلى الأعلى، وقالت: «لكن ماالذي يمكنه أن يفعله بعد؟ جلنا على المصارف والممولين، وجربنا كل ما هو متوفر. ظننت أن الخيارات نفدت منا».

ردّت الوالدة وقد لمعت عيناها فجأة: «كلّها باستثناء واحد. اليوم بالذات



عُرض علينا شيء يشبه حبل النجاة. سوف يتم إجراء تسوية كبيرة لدفع القروض، بما يكفي حتى نستعيد موظفينا ونعيش حياتنا كما اعتدنا من قبل، من غير أن نضطر إلى بيع كل شيء. سوف تعود الأمور إلى مجاريها كالسابق تماما، كما لو أن شيئاً لم يحصل. إلّا أنّ...».

وكأنما نفد الكلام فجأة منها فأدارت رأسها نحو المكتبة، وانطفأ اللمعان الذي شعّ من عينيها، لتحلّ مكانه نظرة كئيبة، فأحست بريار بأشواك حادة تخزها على امتداد عمودها الفقري.

- آه... لا! لا يمكنك أن تقصدي ديابلو؟ أرجوك قولي لي إن ليس للأمر أية علاقة بقدوم ذاك الرجل إلى هنا هذه الليلة.

لم تنبس الوالدة بكلمة، فاندفع اليأس بغير رادع مجتاحاً جسد بريار بأكمله. هبت واقفة عن الكرسي ورفعت يديها إلى الأعلى معترضة، وهي تقول: «لكنه السبب في ما جرى لنا! إنه سبّب سقوط عائلة دافنبورت. لِمَ عساه يعرض علينا المساعدة؟ الأمر ليس منطقياً...».

وقفت والدة بريار واقتربت منها، فدسّت خصلة شعر هاربة خلف أذن ابنتها، قائلة: «حالياً نحن في وضع لا يسمح لنا باختيار ما نفضّله».

- لكنه بغيض جداً! لا يعجبني أسلوبه في الاختيال بمشيته متفاخراً في أنحاء سيدني، كما لو أنه يمتلك المكان.

رفعت الأم حاجبيها مطلقة أنفاسها، وقالت: «حسناً! ذلك قريب نوعاً ما من الحقيقة هذه الأيام».

ثم ابتسمت ابتسامة ضعيفة، وتابعت: «فكري بالأمر فقط... لا يمكنه أن يكون بهذا السوء. لا بد أنه يمتلك بعض الصفات التي تعوّض عن ذلك، ألا تظنين هذا؟»

علقت بريار بسخرية: «وهي مخبأة حقاً بشكل جيد. هذا إن كان يمتلك صفات حسنة».

- كما أنه رجل بهي الطلعة ووسيم جداً.

عبست بريار لأن جدال والدتها والحجج التي تسوقها بدأت فجأة



www.elromancia.com

تضايقها، فقالت: «أفترض ذلك. هذا إن كنت تفضلين مظهر قطّاع الطرق واللصوص. على أي حال، نحن نتحدث عن ديابلو بارينتيس. الرجل ذاته الذي دمّر عائلة دافنبورت. فما همنا كيف...»

قاطعت كلام بريار نبرة الوالد الفظة القادمة من الخلف، إذ قال: «بريار! أنا مسرور لأنك ما زلت مستيقظة. هل يمكنك أن تمنحيني دقيقة أو اثنتين من وقتك؟»

أطلقت بريار تنهيدة ارتياح. إن ظهور والدها يعني حتماً أن ديابلو رحل أخيراً. لقد سئمت الاحساس بالتوتر والخطر داخل منزلها الخاص. الآن سوف تتمكن من اكتشاف ما يجري.

حثتها والدتها وقد بدت على وجهها ابتسامة متكلفة جداً وغير مقنعة على الإطلاق، فيما أومأت لها باتجاه الباب قائلة: «اذهبي مع والدك، فقد انتهينا من حديثنا على أي حال».

لاحظت بريار النظرة المثقلة التي تبادلها والداها، وفكرت أن هنالك خطباً ما. لماذا لم يبدُ والدها أسعد من ذي قبل ما دام هنالك حبل نجاة؟ لا بد أن شروط بارينتيس تعجيزية.

أحست بشعور من الغثيان. لن يفاجئها أي شيء، فديابلو سيرغب حتماً بتثبيت قدميه الآن، ويبدو أن والدها قد استسلم لشروطه.

رفعت الوالدة رأسها وقالت بصوت يشبه المزمار، وهي ترفع يد ابنتها وقد تبدل مزاجها فجأة: «في الواقع، لعلّه يفترض بي أن أرافقكما».

- لا!

أصر كاميرون، وهو يندس بين المرأتين مبعداً ما بين قبضتيهما، ثم أمر زوجته: «ابقي أنت هنا. لن يتطلب الأمر وقتاً طويلاً. و... ربما أحتاج إلى فنجان آخر من القهوة».

تبعت بريار والدها بعد بضع لحظات، متمنية أن يقول لها شيئاً... أي شيء، فيما قادها عبر المنزل وقد بدا صمته غير مطمئن.

- إذاً هل ستخبرني ما الذي يجري؟ ما الذي أراده ديابلو؟



استدار الوالد أمام غرفة المكتبة نحوها آخذاً كلتا يديها بين يديه. بدت النظرة على وجهه نظرة انهزام، وصدمت بريار لدى دنوّها منه حين لاحظت كم تبدو غامقة وسوداء تلك الدوائر المحيطة بعينيه. قال الوالد متنهداً: «بريار! قبل أن نذهب قدماً، أريدك أن تعلمي أنني لم أكن أرغب بحصول هذا. عليك أن تعرفي ذلك».

حدّق الوالد بابنته بتركيز حاد، إلى درجة جعلتها تشعر بيأسه المطلق.

ابتلعت بريار ريقها وقالت: «أنت لم تكن ترغب بحصول... ماذا؟»

تهرب كاميرون من سؤالها، وتابع يقول: «أنا بحاجة إلى مساعدتك، على الرغم من أنني أعلم أن ما أطلبه منك قد يكون كثيراً جداً».

ردت بريار بثقة لم تكن تشعر بها حقاً، فقالت: «لا بأس! لا تقلق».

حاولت يائسة أن تضع ابتسامة على وجهها، لكن قلبها المتسارع الدقات وعقلها الذي تملؤه الظلال والتوجس بالمصيبة الزاحفة نحوها، منعاها من تحقيق مرادها. قالت: "إذاً، ما الذي ترغب مني أن أفعله؟

استرعت انتباه بريار بعيداً عن والدها ومضة حركة غامضة، فأحسّت بوخز متزايد في مختلف أنحاء بشرتها.

ديابلو! إذاً، هو لم يرحل بعد. ها هو يقف متكئاً باسترخاء على إطار الباب. على الرغم من أن النظرة على وجهه لم تكن تشبه النظرات العادية العابرة، فقد صرّحت تعابير وجهه بالانتصار.

بدا ذلك واضحاً في الالتماعة الخطيرة التي ظهرت داخل عينيه.

أعلن ديابلو وهو يرد عليها بدلاً من والدها، فيما لمعت أسنانه بخطورة وهو يدفع نفسه مبتعداً عن الباب ومقترباً منها: «إنه حقاً بسيط جداً. والدك يتوقع منك أن تتزوجي بي».

www.elromancia.com

## ٢ - هروب إلى الهاوية

ردّت بريار بصوت غريب بهدوئه، على الرغم من الانفجارات التي شعرت بها خلف عينيها: «أهذا هو أسلوبك في قول النكات سيد بارينتيس؟».

ضحك ديابلو، أو بالأحرى همدر بصوت خفيض راح يرتجّ في أعماقها.

انتصبت بريار في وقفتها في محاولة منها لتبديد الحرارة المتسارعة في داخلها لدى اقترابه منها، وقالت: «أخشى أنني لا أفهم ما المضحك في الأمر.»

تجمدت نظرات عينيه على عينيها، وقال: «ما قلته ليس نكتة. وافق والدك على أن تتزوجي بي.»

لبرهة من الزمن ما عادت بريار قادرة على الكلام، ثم جاء دورها كي تضحك، وقالت: «أنت مجنون! أبي، قل له كم يبدو كلامه مضحكاً. لا مجال مطلقاً لأن تتوقع مني القيام بشيء محال كالزواج من شخص مثله.»

نظرت بريار إلى والدها تدعوه إلى موافقتها الكلام، لكن والدها لم يقل شيئاً. بدت عيناه بائستين بشكل لم تره أبداً من قبل. صمتَ عندها الضحك عن شفتيها كما مات الأمل في قلبها.

تكلم الوالد بنبرة تكاد تشبه الهمس وهو يمد يده للامساك بكتفها: «بريار! عليك أن تفهمي...»

مرّت لحظة إدراك معقدة مفاجئة، ثم قالت بريار: «لا!»

تراجعت بعيداً عن لمسة والدها، ثم قالت: «ليس هنالك ما ينبغي أن أفهمه.»

توسّلها الوالد قائلا: «أرجوك... قبل أن تسمعنا والدتك...»

أدخل ابنته إلى الغرفة، ثم أغلق الباب خلفهما، وتابع: «.. يجب أن



تصغي إلي.»

أحست بريار أن عقلها مشوش، فسمحت لنفسها أن تنقاد معه للدخول إلى الغرفة. ثم استدارت نحوه قائلة: «كيف عساي أستطيع الاصغاء في حين أن ما تقوله غير منطقي مطلقاً؟»

جادلها ديابلو من مكان ما إلى جانبهما: «كيف يمكنك أن تقولي إن الأمر غير منطقي ما دمت لا تصغين؟»

أدارت بريار رأسها نحوه وأجابته بكلمات لاذعة: «لو كنت أرغب بسماع رأيك لسألتك عنه.»

لم يبدُ ديابلو مرتبكاً أبداً. في الواقع بدا مسروراً جداً ومعتداً بنفسه، فيما انحنى متكئاً على مكتب والدها، واضعاً يديه على جانبيه، ما جعل قميصه مشدودة على صدره الممتلئ بالعضلات، فكشفت عند العنق عن بشرة سمراء بلون البرونز تغطيها بضع شعيرات ذات لون داكن. أجبرت بريار نفسها على رفع عينيها إلى الأعلى، وقد أدركت أنها تحدق فيه. والدتها على حق، فديابلو بارينتيس رجل وسيم حقاً. لمَ يتمتع رجل كريه الى هذا الحد بمظهر وسيم وجسد رائع؟ من الواضح أن العدالة مفقودة في هذا العالم.

ابتسم ديابلو وكأنما أمتعته الأفكار التي خانها وجهها في إعلانها، فقال: «أنت واضحة كما هو اسمك، يا وردتي البرّية.»

- لست وردتك البرّية! ألا تفهم؟ أنا لا أريد الزواج بك، ولا مجال لأن تجبرني على ذلك.

أعادت بريار انتباهها إلى والدها، بعد أن اتضحت لها أشياء أخرى عن الموضوع. فجأة بدت لها عبارة والدتها «لا بد أنه يمتلك ميزات تعوّض» مفهومة، لكن ذلك لا يبرر السرية المفاجئة. قالت مخاطبة والدها: «ما الذي يجري هنا؟ أمي تعلم بخصوص هذا الترتيب، أليس كذلك؟»

بدا والدها شاحب الوجه حين قال: «إنها تعلم شيئاً ما بخصوص عرض الزواج. هذا صحيح!»

أحست بريار بمعدتها تتقلص. ماذا هنالك بعد؟.



www.elromancia.com

– يبدو أنكما ناقشتما هذا الموضوع في ما بينكما كما لو أنه نوع من الصفقات المنزلية. يمكنني أن أتصور كيف جرت المحادثة بينكما: «هلّا قمنا بتجديد منزل الشاطئ؟ ربما نستبدل سيارتنا المرسيدس؟ آه! أثناء ذلك، ربما يمكننا تزويج بريار لديابلو باريتيس؟»

استدارت بريار حول نفسها، وثبتت أنظارها بحزم على ديابلو، وتابعت كلامها قائلة: «ستزوجانني إلى الشخص الذي تمقته العائلة أكثر من أي شيء آخر في العالم. كيف استطعتما فعل ذلك؟»

لم تُجفل كلمات بريار ديابلو، أما والدها فزاده كلامها انفعالاً في النقاش. قال لها: «بريار، اهدأي! لا خيار لنا بذلك!»

– هنالك دوماً خيار آخر! كما أنني أنا من يملك الخيار. من المستحيل أن أتزوج ديابلو باريتيس. لن أتزوجه ولو كان آخر رجل على وجه الأرض.

استدارت من جديد نحو ديابلو، ونظرت مباشرة في عينيه السوداوين اللتين لا يُسبَر غورهما، وتابعت: «أفضّل الموت على ذلك!»

الارتعاشة الخفيفة التي ظهرت في خد ديابلو كانت الدليل الوحيد على أن كلماتها وصلت إلى هدفها. تكلم ديابلو ليبلغها بنبرة تدل على عدم تأثره بما يجري قائلاً: «هل الدراما هو الاختصاص الذي درسته في الجامعة؟ من الواضح أنني أسأت الفهم.»

همست بريار قائلة: «بل درست الفنون الجميلة. لكن الأمر لا يخصك أنت بالطبع.»

رفع ديابلو حاجبيه وقال: «ذلك يفاجئني، إذ أرى أنك تتمتعين بنزعة دراماتيكية.»

– وأنت تتمتع بنزعة إلى الجنون! كيف أمكنك أن تتصور أنني قد أتزوجك؟ هل ظننت أنك تستطيع الدخول إلى مجتمع سيدني الراقي عبر الزواج؟ لن يفلح الأمر. لن ينسى الناس كيف دست على كل من وقف في طريقك بهدف الوصول إلى حيث أنت اليوم.

راقبها ديابلو بعينين فشلتا في إخفاء تلك الأعماق السوداء التي تغلي على



مهل، ثم قال: «أنت تكرهينني لأنني بنيت ثروتي الخاصة، ولم أحصل عليها بالوراثة كما حصل معك ومع أمثالك. أليس كذلك؟»

– أنا أكرهك لأنك بنيت ثروتك عن طريق جذب الآخرين إلى الحضيض، بمن فيهم والدي.

– أنا أعرض على والدك فرصة ليعيد تأسيس عمله، وقد تمكن من رؤية المنطق في العرض الذي قدمته له، ومع ذلك ما زلت تكرهينني؟

– أنا سأكرهك دوماً.

استدارت بريار نحو والدها وهي تشعر بالاحباط، ثم قالت: «أرجوك! قل لي إن الأمر بأسره مجرد مزحة. لا يمكنك حقاً أن تتوقع مني الزواج من هذا الإسباني المتعجرف. مهما يكن، نحن في القرن الحادي والعشرين، وهذا ليس زمن الزيجات المدبّرة!»

هزّ الوالد رأسه بحزن، ثم كلمها بصوت مخنوق فيما غرق في مقعد، وهو يخفض رأسه ويسنده بيديه، قائلاً: «بريار... آه، يا إلهي! كم كنت غبياً.»

هرعت بريار إليه، فركعت إلى جانبه مثبتة كلتا يديها على جبهته. قالت له: «أبي، نحن لسنا بحاجة إلى أموال ديابلو... يمكننا أن نعيش كما خططنا... مع وظيفتي ومن خلال بيع بعض المفروشات في المزاد العلني لن نكون بحاجة إلى ماله.»

تمتم والد بريار هازاً رأسه: «الأمر ليس بهذه البساطة.»

طمأنته بريار بنبرة واثقة: «لسنا مضطرين إلى إجراء هذه الصفقة... يمكننا الاستمرار من دونها. ماذا لو افتقرنا إلى الخدم؟ يمكننا التكيف مع الأمر. سوف أحظى بوظيفة ما قريباً.»

– نحن لا نتكيف مع الأمر! انظري الى حالة الفوضى في هذا المنزل... إنه وضع يقتل والدتك، لأنها لا تستطيع مجاراة هذا التغيير الطارئ على حياتنا.

– من يأبه إذا لم يتم تنظيف الأرضيات يومياً؟ الأمور سوف تتحسن.

قبض الوالد بقوة على كتفي بريار، فحفرت أنامله اليائسة بقوة في جلدها إلى حدّ جعلها تشعر بالألم. أدركت أنه يجعلها تشعر بألمه هو، فيما كرر قائلاً:



www.elromancia.com

تعيشي في الفقر. ستشعرين دوماً باليأس لإيجاد وجبتك التالية. لن تستطيعي الصمود لعشر دقائق في العالم الواقعي.»

استدارت بريار على عقبيها، ثم رفعت ذقنها بتصميم، وقالت: «آه! سنصمد.»

عاد ديابلو يقول بنبرة ساخرة: «ماذا...؟ أتظنين أنك ستصبحين النبيلة الفقيرة؟ إذاً اسمحي لي بإطلاعك على سرٍّ صغير... ليس هنالك نبلاء فقراء. هناك فقط الفقراء، الجائعون واليائسون. حياة الفقر ليست مطلقاً كما تصوّرها الأساطير الخرافية الرومنسية.»

راقبته بريار بتمعن، ثم قالت هازئة: «يا للمصادفة! يبدو أن الزواج بك ليس كذلك أيضاً.»

استدارت بعدئذٍ إلى حيث كان والدها ما يزال جالساً. بدا مقهوراً مغلوباً على أمره، وكأن قلبه يؤلمه على ما خسره.

- أنا آسفة، أبي. لا يمكنني أن أفعل ذلك. أنا ببساطة لا أستطيع الزواج به.

أومأ والد بريار برأسه، فعلمت أن ذلك ليس دلالة على موافقته بل على رضوخه وإذعانه. انكمش على نفسه متقلصاً أمام عينيها، ثم قال بصوت يشبه النعيق: «ما كان يفترض بي أن أطلب منك ذلك. الآن، ببساطة علي إيجاد أسلوب لإطلاع والدتك على أننا لم نعد نملك هذا المنزل.»

أحسّت بريار كأن قلبها سقط دفعة واحدة، فقالت: «آه، يا إلهي! أتعني... أنها لا تعلم؟ ظننت أنها مطّلعة على هذه الفكرة المجنونة.»

- هي لا تعلم أننا خسرنا بلاكسليا. لم أشأ أن أجعلها تشعر بالقلق. أما الآن...

- آه! أبي... لا...!

سمعت صوت الساعة القديمة التي توارثتها العائلة عن الأجداد جيلاً بعد جيل وقد ملأت تكتكاتها الصمت المهيب، ثم سمعت حركتها الميكانيكية التي تصدر أصواتاً أشبه بقرع الأجراس، كمقدمة لإعلان حلول منتصف الليل.



خطا ديابلو بين بريار ووالدها، وقال: «هل يمكنك أن تفعلي ذلك بوالدتك، إذاً؟ أتحرمينها من فرصة متابعة أيامها في هذا المنزل لتنتقل إلى منزل حقير؟ أي نوع من البنات أنتِ؟»

لم تقل بريار شيئاً، إلا أنها سمحت لعينيها بإعلامه عن مدى كرهها له، فيما اعتصر قلبها من الألم على والدتها، لأن ديابلو محق. كيف عساها تفعل ذلك بوالدتها، بعد كل ما مرّت به المسكينة؟ بعد خسارتها لنات ثم خسارة ثروتهم، فإن خسارة منزل العائلة قد يقتلها.

تبجح ديابلو قائلاً: «أرى أنك بحاجة إلى المزيد من الوقت للتفكير بالأمر. لذا أنا مستعد لمنحك فرصة أخرى. أمهلك إلى أن تقرع الساعة معلنة حلول الثانية عشرة، لكي تقرري مرّة واحدة ونهائية. تزوجيني، فتعيش عائلتك في الرخاء والرفاهية حتى آخر أيامها. ارفضي عرضي، وسوف تصبحون خارج هذا المنزل مع نهاية الأسبوع.»

- لا يمكنك أن تفعل ذلك!

ردّ بقسوة: «راقبيني، فليس الأمر صعباً. في الواقع، لم يبق لديكم أي شيء لتوضبوه.»

تكلم ديابلو ما إن أنهت الساعة رنّ أجراسها وأطلقت أول دقة من الدقّات الإثنتي عشرة: «لم يعد الأمر بيدي، فالقرار يعود إليك في ما سوف يحدث لاحقاً... الرفاهية أم الفقر! القرار قرارك. هل ستهجرين والديك ساعة حاجتهما إليك، أم ستعيدينهما إلى الحياة التي يرغبان بها؟»

دقت الساعة مجدداً، فقال: «مرت دقتان، آمل أنك تفكرين.»

آه! إنها تفكر بالحل. لكن أفكارها مرتبكة، ولا يتخللها أي أمل... وسُمعت دقة أخرى...

هل سيقتلها الزواج به؟ ربما لا، لكن مغادرة بلاكسليا ستقتل والدتها. إنه منزل طفولتها ومقرّ عائلتها لأجيال خلت؟

دقت الساعة مجدداً، فرفعت بريار نظرها إلى الأعلى وهي تشعر بالرعب. هل فاتتها واحدة؟ كم تبقى من الوقت؟ هنالك الكثير مما عليها التفكير به.



www.elromancia.com

لماذا؟ آه! لماذا قدر لها أن يصبح الأمر برمته بين يديها؟ لِمَ تبدو لها الفكرة كريهة إلى هذا الحد؟ جل ما عليها فعله هو الزواج بديابلو.

الزواج...!!

دقت الساعة مجدداً، فازدادت أعصابها توتراً بشكل لا يحتمل. كاد الوقت النهائي يصل.

بدت فكرة الزواج محتمة بالنسبة إليها. لكن... أليست هي التي خططت لأن تتزوج يوماً ما؟ بالفعل، لقد تربت منذ يوم ولادتها على أنها ستكون زوجة لأحد رجال المجتمع الراقي، رجل ثري... ما الفرق إن كان ذلك الرجل ديابلو؟ كما أنه... لا ضرورة لأن يدوم الأمر إلى الأبد. سوف تحرص على جعله يمل منها قريباً، عندئذٍ يضطر إلى الموافقة على الطلاق. كم سيستغرق هذا الأمر؟ سنة... اثنتان؟ سوف تحرص على عدم إنجاب أطفال. بعدئذ سوف تستعيد حياتها... لن يقتلها الأمر... لا ضرورة لأن يكون الزواج بديابلو حكماً مبرماً لمدى الحياة.

لم يتبق في الغرفة سوى صدى يجول في أرجائها. أخيراً دقت الساعة آخر دقاتها. ها قد وصلت اللحظة المشؤومة! في تلك اللحظة بدا ديابلو أشبه بشيطان إسباني خارج من الأساطير القديمة...

نظرت بريار نحو والدها القابع في مكانه. رفع الوالد بدوره نظره نحوها كما لو أنه أدرك أن اللحظة الحاسمة أزفت. حملت عيناه لمعة باهتة تنم عن المقاومة، وتجمد العبوس فوق ملامح وجهه فيما نهض واقفاً على قدميه، وقد تجددت بعضاً من روحه النضالية، فحث ابنته قائلاً: «لا تفعلي ذلك! الذنب كله ذنبي أنا... لا يفترض بك أن تدفعي ثمن أخطائي.»

في تلك اللحظة بالذات اقترب منها الشيطان الإسباني أكثر، وقد بدا نافد الصبر لإتمام الصفقة. طالبها بإلحاح: «ما الذي قررته؟»

ردّت بريار بكلمات لاذعة: «إنني أكرهك من أعماق قلبي وروحي.»

رفع ديابلو إحدى يديه بسرعة إلى وجهها، فارتدت بريار إلى الوراء. لكن حين أحسّت بلمسته فوجئت أنها رقيقة، فيما مرّر ظاهر أنامله على امتداد خط



فكها. ارتعشت لدى إحساسها بتيار كهربائي ناتج عن ملامسة بشرته لبشرتها، فيما نفذت نظرات عيناه إلى داخل عينيها، ما جعلها غير قادرة على التنفس والحراك. تنهد ديابلو واستدار مبتعداً بعد أن قال لها: «الكراهية قد تكون وجهاً آخر للشغف.»

أما بريار فاستنشقت كمية كبيرة من الهواء إلى داخل صدرها.

صرح عندها ديابلو ببرودة: «ليكن كما تشائين. أريدكم أن توضبوا أغراضكم وترحلوا من هنا مع نهاية هذا الأسبوع.»

- لا!

استدار ديابلو حول نفسه، وقال: «ما الذي تعنينه بكلمة لا؟ شروطي كانت واضحة.»

- نحن لن نغادر.

ناشدها والدها: «بريار، لا تفعلي ذلك. لا تستطيعين...»

رفع ديابلو إحدى يديه مشيراً بالصمت لوالدها، ثم دقّق النظر في وجه بريار، وقد ارتدت إليه لمحة الابتسام الخفيفة، فأصرّ قائلاً: «تكلمي!»

أخذت بريار نفساً عميقاً، وصلّت لكي تحصل على القوة المطلوبة، فهي ستحتاج إلى القوة الكافية لتقوم بهذا الأمر، قالت لنفسها: لأجل والدتي! لأجل عائلتي! همست وهي تشعر كما لو أنها تسبح وتغوص إلى الأعماق للمرة الأخيرة: «سأفعل ذلك... سأتزوجك!».

www.elromancia.com

## ٣ - المعركة الأولى

اندفعت كارولين دافنبورت بحماس إلى غرفة بريار، فيما أمسكت بذيل فستانها الفيروزي اللون، قالت لها: «ما الذي يؤخرك؟ حضر الجميع إلى هنا. أظن أن جميع أفراد مجتمع سيدني قد حضروا.»

فكرت بريار بسخرية وهي تضع اللمسات الأخيرة على تبرجها، أن هؤلاء حضروا على الأرجح بدافع الفضول، بغض النظر عن القصة التي لفّقها ديابلو وأطلقها إلى وسائل الاعلام. لا مجال أبداً لأن يعتقد أي شخص أن ارتباطهما هو بدافع الحب. بالطبع! لا أحد، باستثناء والدتها.

تلقّت كارولين دافنبورت خبر الزواج الوشيك كما تفعل أي سيدة في المجتمع الراقي، فانتقلت سريعاً إلى لعب دور والدة العروس، كما لو أنها خُلِقَت لهذا الدور. ويبدو أنها اختارت أن تتجاهل أي تلميح إلى الرابط ما بين زواج ابنتها المتسرّع، وواقع أنهم عادوا ينعمون بوجود الخدم مجدداً، بالإضافة إلى توفر ما يكفي من المال لدفع أجورهم، وتلبية الكثير من حاجات أفراد العائلة الأخرى أيضاً.

عندما أسقطت بريار من يدها فرشاة التبرج فأعادتها إلى الدرج، اعترضت الوالدة قائلة: «ضعي المزيد من اللون الأحمر على خديك. أنت تبدين شاحبة جداً هذا المساء. كان يجدر بنا أن نستدعي أخصائي تجميل ليهتم بتبرجك. هل تشعرين بالتوتر؟»

- ليس تماماً!

إن أرادت قول الحقيقة لقالت: «شعوري هو أقرب إلى الغثيان.»

عادت بريار لتنظر من جديد إلى صورتها المنعكسة في المرآة. بدت شاحبة



حقاً بفستانها الحريري الأبيض المستوحى من طراز التوغا الروماني. لكن مهما يكن، أي تبرج سيتمكن من تحسين مزاجها الآن؟.

تكلمت الوالدة حينما اتضح لها أن ابنتها لن تبدي أية محاولة لإعادة النظر بالموضوع، فقالت: «لا عليك! أنا متأكدة أن كوباً من الشراب المنشط سيعيد اللون إلى وجنتيك.»

أحسّت بريار بمعدتها تتقلص وكأنها راغبة بالتمرد، فالشراب المنشط هو آخر شيء تحتاجه الآن.

حثتها والدتها قائلة: «هيا بنا، إذاً! ديابلو ينتظرك في الأسفل، وهو يبدو أنيقاً جداً الليلة.»

ردّت بريار بغير انتباه: «ذلك أمر رائع.»

فكرت فيما أزلقت قدميها داخل حذاء ذي كعبين، من يأبه لمظهره؟ قد يكون ديابلو أكثر الرجال وسامة في العالم، إلا أنها ما تزال تعتبره الشيطان متنكراً في زي رجل، فمجرد موافقتها على الزواج به لا يعني أنها ستنسجم مع رغباته في المستقبل القريب.

راودها الكثير من الأفكار خلال الأسبوعين الماضيين، وفي النهاية توصّلت إلى استنتاج خاص بها بشأن هذا الزواج؛ ديابلو ينشد الحصول على الاحترام، والدخول إلى مجتمع سيدني المرموق عن طريق الزواج بها والتقرب من عائلتها. هو لا يهتم لأمرها، ولا شك لديها أنه غير معجب بها حتى. وبما أن الشعور متبادل بينهما، فلا يُفترض أن يتطلب الأمر وقتاً طويلاً حتى تقنعه أن أفضل أسلوب للتعامل مع هذا الزواج هو بأن يعيش كل منهما حياته منفصلاً عن الآخر. ذلك سيدوم على الأقل حتى يسأم منها ديابلو فيوافق على الطلاق منها. فكرت بريار أن بإمكانها تحمل سنة أو سنتين من الانزعاج، لمجرد معرفتها أنها سوف تعود حرّة طليقة بعد انقضاء ذاك الوقت.

هتفت والدة بريار بسرور وابتهاج: «آه! قام كارلوس بتصفيف شعرك بصورة رائعة. مع أنني ما زلت لا أفهم لِما رغبت بارتداء هذا الفستان القديم، فهذه مناسبة خاصة ومميزة.»



www.elromancia.com

آه! إنها ليست مميزة إلى هذا الحد. أما هذا «الفستان القديم» فبالكاد مرّ على شرائه اثنا عشر شهراً، وهي لم ترتده من قبل سوى مرّة واحدة. بالرغم من ذلك، استدارت بريار وابتسمت لحماسة والدتها اللامتناهية. ينبغي على أحدهم أن يكون متحمساً لهذا الزواج، ومن أفضل من والدتها لتقوم بهذا الدور؟ لاحظت بسرور أن والدتها أصبحت بحال أفضل مما كانت عليه منذ أسبوعين فقط، حينما انطلق مشروع هذا الزواج المجنون.

أخذت بريار ذراع والدتها وجذبتها لتدنو منها. ثم أخبرتها: «أنا فقط أوفّر التفاخر للحدث الأكبر. هيا بنا! دعينا نذهب لموافاة الضيوف.»

قُدِمت أنواع العصير والحلوى بوفرة في قاعة الاحتفالات إلى حدّ بدا معه كأن الغرفة تفيض بتلك الأصناف. عكست المرايا الهائلة الضخمة مجموعات الزهور المرتبة في باقات، فبدت كأنها مزدوجة. كما انعكست ألوان الأزهار من خلال الثريات البلورية. أما النوافذ البارزة الممتدة على طول الحائط، فرحّبت بدخول أضواء الليل الماسية المنبعثة من مرفأ سيدني.

يا له من مكان مذهل حقاً! كاد يصبح ملكاً لديابلو بأكمله. في الواقع، صار ملكه بالفعل لليلة واحدة، لكنه بدا مسروراً بهذا الاتفاق. أما عائلة بريار فيمكنها الاحتفاظ باللقب المرفق بهذا المنزل. ديابلو سوف يحقق لنفسه الليلة شيئاً أكثر أهمية. الليلة سوف يثبت موقعه في المجتمع المرموق الذي قاومه لمدّة طويلة من قبل.

استطاع ديابلو أن يستشعر التغيير في أسلوب نظرة الناس إليه، وذلك من خلال سلسلة التهاني التي وجّهها له أشخاص عديدون، فيما هو واقف إلى جانب كاميرون دافنبورت بانتظار وصول السيدتين. أولئك الأشخاص الذين يهنئونه الآن، كانوا في الماضي ليعبروا الشارع تفادياً للقائه. أما الآن، بعد عقد خطوبته على بريار، فلا مجال لأن يتجاهلوا وجوده وامتلاكه لمؤسسات صناعية ذات شأن في سيدني.

كم هو محظوظ بمصاهرة رجل مثل كاميرون النبيل غير الموهوب في إدارة أعماله. هذا الأخير لديه ابنة ملائمة جداً، وديابلو لن يجد امرأة أفضل من



بريار دافنبورت كي يثبت موقعه في المجتمع الراقي. سوف تكون بريار زوجة مثالية. علاوة على ذلك، سوف يحصل معها على ربح إضافي، فلا شك أنها ستشكل مصدراً ممتعاً للحرارة في سريره. لذا فإن إنتاج الأطفال معها لن يواجه أية صعوبة البتّة.

ظهرت حركة بين الحشود قبل أن يصمت الجميع وتنجرف عيونهم صعوداً إلى حيث وقفت المرأتان على رأس الدرج. بدت المرأة الأكبر سناً جريئة متألقة كما لو أنها ترتدي ريش الطاووس، فيما بدت الابنة شاحبة الوجه إلى أقصى الحدود. قد تكون بشرتها شاحبة إلا أن عينيها بدتا متألقتين بشدة كلون الكهرمان، كما لو أنهما زوج من الحجارة الكريمة. وربما يكون فستانها باهت اللون لكنه لا يستطيع إخفاء الشكل الأنثوي المتميز الموجود تحته.

بدت بريار كالوردة البرّية التي تمتدُّ أغصانها عالياً لتطوف حولها. فكّر ديابلو أنها قريباً سوف تصبح ملكه وحده... سنصبح زوجته.

تحرك جسد ديابلو بتأثير توقعاته تلك، فيما نزلت المرأتان ببطء على الدرج العريض، آه، لا! إن إنجاب الأطفال من بريار لن يشكل له أية صعوبة البتة. وصلت المرأتان الى قاعدة الدرج، فأخذت كارولين ذراع زوجها، أما ديابلو فمد ذراعه لتمسكه خطيبته الجميلة التي نظرت إليه بدورها لأول مرّة.

أحست بريار بهزة في أعماقها عندما تواصلت عيونهما، وكأن تلك مقدّمة للصاعقة الكهربائية التي انطلقت لدى تلامس أيديهما. ضاقت عينا ديابلو فيما تأملها باستغراب، وقال: «أنت تبدين جميلة، كما لو كنت عذراء على وشك أن تُرمى للأسود كأضحية.»

فكرت بريار كم يبدو ذلك الوصف مناسباً، ردت بتحدٍ: «وأنت، تبدو كالقط الذي حصل على وجبة دسمة.»

جذبها ديابلو لتدنو منه أكثر، ثم أمسك بيدها الأخرى ورفعها إلى فمه وقال: «ليس بعد! حتى الآن حصلت على الطرد المغلق. لكن علي أن أعترف بأنني أنتظر بشوق حتى أفتحه، ثم....»

ضاقت عيناه أكثر وتركّزتا عليها فبدتا كأنهما مشعلان مضيئان في الظلام.



www.elromancia.com

تابع يقول: «. . . ثم أرى عيّنة من الكنز الموجود في الداخل.»

جذبت بريار الهواء إلى داخل رئتيها، فقد شعرت فجأة بعدم الارتياح. أحست بالدوار وبالحرارة الشديدة تغمرها. في الواقع حققت كلمات ديابلو خلال لحظات ما فشلت في تحقيقه أفضل مستحضرات التجميل. لكن كلماته لم تكن وحدها التي بعثت الحماوة في جسدها. والدتها لم تبالغ مطلقاً، فقد بدا ديابلو رائعاً الليلة في ملابسه تلك، فهي ببساطة أبرزت قوته بصورة رائعة. ارتدى ديابلو قميصاً رسمية بيضاء كالثلج، تناقض لونها مع لون بشرته الناعمة السمراء، بالإضافة إلى سروال أسود ملائم، ينتهي فوق حذاء جلدي أسود مصنوع يدوياً. أما فوق ملابسه تلك فارتدى سترة طويلة سوداء أيضاً ذات قبّة مميزة، أبرزت بوضوح طول جسده النحيل الصلب المتناسق. كما أنه عقد شعره إلى الخلف في ذيل أنيق. لم يعد بحاجة سوى إلى حلقة ذهبية يعلّقها في أذنه، لكي يصبح شكله مشابها تماماً لقرصان.

اقترح والد بريار شرب نخب العروسين، فانفجرت القاعة بالتصفيق والتهاني. تفحصت عيناها قاعة الاحتفالات بدقة، لكنها لم تستطع استيعاب أي كلمة مما قاله والدها. إذ إنها كانت منهمكة جداً في تدبُّر ما ستفعله لاحقاً. فكرت أنه يفترض بهما أن يتحدثا على انفراد. يجب عليها أن تجعل ديابلو يدرك تحت أية شروط هي مستعدة للزواج به.

- عزيزتي! بريار!

استعادت بريار انتباهها، لدى سماع اسمها، فاستدارت نحوه مستعدة للاعتراض لأنها ليست في الواقع عزيزته، لكن شيئاً ما في عينيه أوقفها.

- ألم تسمعي الضيوف؟ إنهم ينتظرون منا أن نتوج خطوبتنا بعناق.

وقبل أن تتمكن من الاعتراض، أطبق ديابلو ذراعيه حولها ولفها في عناق فوري، فخمد ذلك الاعتراض وذاب تحت وطأة عناقه الحار.

أدركت بريار متفاجئة أن عناقه هذا بالغ في الرقة لكنه مليء بالثقة بالنفس. بدا ديابلو قوياً جداً في ملابسه السوداء تلك، بل قاسياً وغير لين على الإطلاق. لكن بالرغم من ذلك تحركت يداه حول جسد بريار بأناقة ورشاقة



فاجأتها بقدر ما فاجأها العناق نفسه. انتشرت وخزات خفيفة مدغدغة في جسدها بأكمله، إلى حدّ أنها تناست كل اعتراضاتها. أحسّت في تلك اللحظات كأنه لم يعد هنالك وجود سوى لذلك العناق الحار بينهما.

رفع ديابلو رأسه بعد ذلك، فاجتاحت كيانها المخدّر موجة الأصوات والألوان مجدداً. رمشت بريار عينيها فيما هتف الحشد لهما، رمشتهما ثانية كي تتخلص من حالة الذهول التي غمرتها، فيما ابتسم لها ديابلو وقد تحدّد فمه الأنيق ذاك بما يدل على الانتصار. عندئذ أدركت بريار ما فعله للتو.

يا إلهي! لقد سمحت لديابلو باريتيس بأن يعانقها في العلن.

انغمس والدا بريار في حلقة من الضيوف، فدارت بينهم مجموعة من الأحاديث المختلفة. تذمرت بريار بعد قليل قائلة لديابلو: «يجدر بنا أن نتحدث الليلة. . . على انفراد».

التهب الشرار في عيني ديابلو، وارتفع أحد حاجبيه السوداوين استغراباً، ثم قال: «لم أتوقع منك أن تكوني متجاوبة جداً. . وبهذه السرعة».

لم تكن في مزاج يسمح لها بتقبل مزاحه هذا.

- نحن بحاجة إلى إرساء بعض القواعد الأساسية لهذا الاتفاق.

قال: «آه! ذلك يبدو مهماً جداً».

فيما ارتشف جرعة من مشروبه بطريقة تظهر ضجره، ثم تابع: «في هذه الحالة سوف نتحدث، لكن لاحقاً».

بعدئذٍ أمسك يدها الأخرى فأحاطها بدفء يده، ثم قادها إلى قاعة الاحتفالات وهو يقول: «يجدر بالخطيبين السعيدين أن يختلطا بضيوفهما، فقد جاء الجميع خصيصاً لتهنئتنا».

- أنت تقصد أنهم جاءوا لمشاهدة عملية إعدامي.

جمد ديابلو في مكانه ثم أخفض رأسه ليغدو بالقرب من رأس بريار، فدنا جسده من جسدها. قال بصوت هامس ثابت في أذنها: «كان لديك الخيار. لم يكن عليك الموافقة على هذا الأمر».

- لم تكن بيدي حيلة، وأنت تعلم ذلك. فقد تركتني من دون أي خيار.



www.elromancia.com

ردّ ديابلو مدافعاً: «خطأ. كان بمقدورك أن تبتعدي عني وعن كل ما ترينه حولك الآن».

- لم أستطع...

- كان بإمكانك أن تفعلي لكنك لم ترغبي بالابتعاد... مهما كانت الأسباب، فأنت اخترت ذلك! أما وقد عقدت العزم، فأنا أتوقع منك أن تتعايشي مع الأمر. والآن، أقترح أن نذهب للتحدث مع ضيوفنا.

مرت الساعات متتالية. أخيراً لم يبق من الضيوف سوى قلة من أصدقاء كاميرون اكتفوا بالاستقرار في غرفة المكتبة لتناول القهوة مع السيجار. أما كارولين فاستأذنت قبل ساعة من ذلك بحجة أنها تعرّضت إلى الكثير من الإرهاق، فتعاطفت معها بريار.

بدا لبريار أن هذه الليلة لا نهاية لها، فقد تنقّلت من مجموعة من الضيوف إلى أخرى، مالئة الوقت بتبادل الأحاديث السخيفة نفسها، فيما حاولت وضع مقدار مناسب من الحماسة في نبرة صوتها. مع ذلك استطاعت ملاحظة الشكوك والأسلوب الساخر الذي تقبّل به عدد من الموجودين هذا الزواج. استطاعت كذلك أن ترى نظرات الحسد والغيرة التي أطلقتها باتجاهها النساء اللواتي يعتقدن أن ديابلو هو من الرجال الذين يسلبون العقول بفتنتهم.

تصرف ديابلو خلال الأمسية كأي رجل أعمال خبير تحنك، قال إن الانجذاب الذي جرى بينهما فاجأهما معاً، والآن بالكاد يمكنهما الانتظار حتى يتزوجا. كما حصلا على ربح إضافي في الموضوع، حين أصاب حماه العتيد تبدل مفاجئ في حظه. في خضم ذلك، لم يسمح لبريار بالابتعاد أكثر من إنشات قليلة عنه، فقد لفّ ذراعه بتملّك فوق كتفيها أو حول خصرها، وراح من حين لآخر يمد يده ببساطة ليداعب ذراعها أو ليحشر خصلة شعر خلف أذنها. أما بريار، من جهتها فراحت تبتسم وهي تصرّ أسنانها، فيما تلقت الأسئلة الموجهة إليها والمداعبات الرقيقة برحابة صدر.

أخيراً أوشكت السهرة على نهايتها بعد أن بدت لها كالأبدية...

- أردت أن نتكلم، فلنفعل الآن.



ودّعا آخر ضيوفهما المغادرين عند الباب الأمامي. هزّت بريار رأسها، وهي تشعر ببعض الارتياح لأنها باتت قادرة على وضع مسافة بينهما، وأخيراً... انتهى التظاهر والادعاء. لكنها وجدت نفسها تحت تأثير ألم صاخب في رأسها بسبب التوتر الضاغط الناتج عن تخطي الأسئلة الشائكة وربما بسبب ملازمة ديابلو المستمرة لها طيلة السهرة. لذا، فإن آخر شيء ترغب بمواجهته الآن هو مجادلته بشأن زواجهما.

صرحت وهي تفرك صدغيها: «يمكنني الانتظار. أنا فقط مسرورة لأن هذه الأمسية الشبيهة بالمسرحية الهزلية قد انتهت».

في تلك اللحظة كان ديابلو يتحدث إلى أحد النادلين المارين بالقرب منهما، فافترضت أنه لم يتمكن من سماع ما قالته. لكنه عاد فاستدار نحوها بعد لحظة قال: «لمَ تطلقين على هذه السهرة تلك الصفة؟ خطوبتنا ليست مهزلة، كما أن زواجنا لن يكون كذلك أيضاً».

- أنت تدرك أنه مهزلة! من المستحيل الادعاء بأن هذا الزواج هو أكثر من مجرد صفقة عمل.

ضاقت عينا ديابلو: «أتظنين أن هذا الزواج هو مجرد صفقة تجارية؟»

- أوليس هو كذلك؟ لا يمكننا الادعاء أنه ناتج عن قصة حب وغرام.

عاد النادل وهو يحمل صينية عليها فنجان كبير من القهوة بالإضافة إلى كوب طويل ذي محتوى مثلج ومتلألئ، فرفع ديابلو المشروبين عن الصينية، فيما خرج النادل من الغرفة مغلقاً الباب خلفهما.

قدم لها الكوب الطويل، فسألت بريار من دون أن تأخذه: «ما هذا؟»

- اشربيه. إنه علاج إسباني قديم لآلام الرأس. سوف يجعلك تشعرين بالتحسن.

راقبت الكوب مشككة، كيف لها أن تعرف ما هي المكونات التي قد تدخل في تحضير علاج إسباني قديم لآلام الرأس. قالت: «وهل تأبه أنت أو تهتم لما أشعر به أنا؟ لا أظن ذلك».

هزّ ديابلو كتفيه، وهو ما يزال ممسكاً بالكوب، وقال: «أتفضلين أن



www.elromancia.com

يستمر ألم رأسك؟»

تمتمت بريار كلمة شكر فيما تناولت الكوب مدركة أنها تتصرف بفظاظة، متسائلة عن مدى قدرة ديابلو على إثارة غضبها. شمّت رائحة السائل في الكوب غير واثقة، ثم أخذت رشفة صغيرة، وما لبثت أن تعرّفت متفاجئة على طعم الباراسيتامول المر إلى حد ما. رفعت عينيها لملاقاة عينيه، فإذا هما مجعدتان عند طرفيهما، وقد علت فمه ابتسامة متكلّفة. إنه يهزأ منها!

صرح ديابلو قائلاً: «والآن، دعينا نتوقف عن هدر الوقت. أخبريني عن هذه الشروط الأساسية التي تريدين وضعها على زواجنا.»

اعترضت بريار بعد أن أنهت محتوى كوبها: «هل نحن مضطران إلى القيام بهذا الأمر الآن؟ الوقت متأخر... ألا يمكن للموضوع أن ينتظر؟»

لم تكن في الواقع مستعدة للقيام بجولات نقاش مع أي شخص الآن بالذات، لاسيما ديابلو.

- لا! سوف نتزوج بعد أسبوعين، وسوف أكون مسافراً معظم هذا الوقت. لدي عمل خارج البلاد. إذا ما رغبت بإضافة أي شيء إلى اتفاق ما قبل الزواج، من الأفضل أن تطلعيني عليه الآن.

تكسرت كلمات ديابلو الباردة على بريار كما تتكسر موجة عابثة على الشاطئ. فقالت: «اتفاق ما قبل الزواج... أي اتفاق تعني؟»

مسح ديابلو اعتراض بريار ملوحاً بيده القوية بحركة تدل على السلطة، فقال: «آه! حتماً أنت لم تتوقعي أن نتزوج من دون إعداد اتفاق مسبق. وكما قلتِ بنفسك، زواجنا ليس ناتجاً عن قصة حب وغرام».

انتصبت بريار لوهلة لدى سماعها عن اتفاق جاهز ومعدّ مسبقاً لتوافق عليه، وما لبثت أن استعادت التفكير العقلاني المنطقي، إذا كانت شروط هذا الزواج مدونة ومكتوبة، فهكذا سيكون الحال مع شروطها هي. قالت وهي تشعر بالثقة تندفع في داخلها: «بالطبع! أنت محق. اتفاق ما قبل الزواج سيكون لصالحنا. فهكذا سوف يحدد كلّ منا موقفه وموقعه».

- نعم، بالضبط. إذاً أخبريني بريار، ما هو موقفك؟ ما هي الشروط التي



ترغبين بأن يتضمنها الاتفاق الذي سوف يرسم حدود حياتنا المقبلة سوياً؟

صححت له بريار: «أنت تعني زواجنا سوياً».

ابتسم ديابلو بأسلوب جعلها ترتعش، فقال: «أنا عنيت ما قلته. الآن حان دورك».

استدارت بريار حول نفسها ثم شبكت أناملها مع بعضها. استطاعت أن تشعر بالدماء تندفع لتلون وجنتيها باللون الأحمر من جديد، وشعرت بالامتنان لأن الإضاءة الخفيفة تخفي ذلك الأمر. بدأت تتكلم: «الأمر حقاً بسيط جداً. أعتقد أن من المنطقي أن نفهم ما الذي يقدمه كلّ منا: أنت تؤمن المال، ومن جهتي هناك علاقات عائلتي الاجتماعية».

- أتظنين أن كل ما عليك تقديمه هو علاقات عائلتك الاجتماعية؟

- أليس ذلك هو سبب لجوئك إلى هذا المخطط؟

لم يقل ديابلو شيئاً، بل راح فقط يتأملها مطولاً. ارتعشت بشرتها، وأحست بالانزعاج بسبب تأثير تحديقه المعمق جداً، أخيراً حثّها على المتابعة من دون أن يزعج نفسه بالإجابة عن سؤالها، فقال: «تابعي!»

- لذا، علينا وضع خطة توضح كيفية قيامنا بهذا الأمر. من الواضح أنه لا خيار لنا الآن سوى الاستمرار بهذا الزواج، لكن يبدو جلياً أن أياً منا ليس مسروراً حيال هذا الترتيب.

- من قال ذلك؟

- كلانا نقول ذلك! نحن الاثنان نقوم بفعل هذا بدافع الحاجة ولا شيء أكثر، وأريدك أن تعلم أنني مستعدة لأمثل الدور أمام كافة الناس بعد زواجنا، تماماً كما فعلت الليلة.

- وعندما نكون على انفراد...؟

- استميحك عذراً؟

- تحدثت عن كيفية سير الأمور في العلن، وأنا أتساءل ما الذي يدور في ذهنك حيال حياتنا الخاصة، حين لا يكون هناك من يراقبنا.

استمرت الحرارة بالتصاعد تحت جلد بريار. دفعت بذقنها إلى الأعلى

وقالت: «عندها سوف نعيش حياتنا منفصلين، تماماً كما فعلنا قبل دخولنا في هذا الزواج الزائف الصوري. أوافق على أن ألعب دور زوجتك في العلن، حتى أبدو كزوجة وفية تحبك لدرجة العبادة في المناسبات التي تتطلب ذلك، أما بعيداً عن أعين الناس فسوف نحيا حياتين منفصلتين. سوف تحصل على ما رغبت به من هذا الزواج الملائم لك من ناحية الوصول إلى الطبقة الاجتماعية الراقية، لكن لا يمكنك أن تتوقع مني شيئاً آخر».

لم يردّ ديابلو سوى برمش عينيه ببطء مثقل. ثم انحنى إلى الأمام.

- وأي حياة منفصلة تتوقعين أن تعيشي في حين أنك تشاركينني سريري؟

شهقت بريار كما لو أن الفكرة أهانتها، فقالت: «لن أفعل ذلك. أنا متأكدة من أنك لن تواجه أية صعوبة في أن تجد لنفسك امرأة ترضي رغباتك. جل ما أطلبه منك هو التكتم حيال الأمر».

هزّ ديابلو رأسه دافعاً بافترائها جانباً، فقال: «أنت لم تفكري بالأمر ملياً».

- بالطبع فعلت...

- كلا! من الواضح أنك فوّتي شيئاً ما. إذ كيف يُفترض بك أن تحملي بأطفالي إذا لم تشاركيني سريري على الأقل؟ أم تراك ببساطة تقترحين أسلوباً مبتكراً آخر لكي تنجبي الأطفال؟

هل يريد منها أن تنجب له الأطفال؟ ذاك يعني أنها ستقيم علاقة حميمة معه! هل يمكنها إقامة علاقة حميمة مع ديابلو؟ حاولت تجميع شتات أحاسيسها الممزقة علها تستعيد نوعاً من الثبات في هذا النقاش. لكنها أخذت تنزلق وتفقد قدرتها على التحكم والإمساك بالموقف. من المفترض أن تضع شروطها هي، فكيف تحوّل هذا الحديث إلى مناقشة مكانها عندما تقيم علاقة حميمة معه بعد زواجهما؟

- لِمَ تحاول تحوير كل شيء أقوله؟ أنا أحاول أن أكون منطقية هنا.

- هل تظنين أن من غير المنطقي أن تحمل الزوجة بطفلٍ لزوجها؟

- هذا في الظروف العادية، لكن هذا الزواج ليس طبيعياً بأي شكل. أنت تعلم تماماً كما أعلم أنا بأن هذا الترتيب ليس أكثر من حيلة ووسيلة لينال كل



منا مبتغاه؛ أنا من جهتي سأتمكن من دفع ديون والدي، أما أنت فسوف يجعلك هذا الزواج منتمياً إلى الطبقة العليا من المجتمع.

تمهّل ديابلو، وقد ضاقت عيناه ثم قال: «هذا ما تقولينه! لكن فكّري كم ستبدو صورتي أفضل في نظرهم إذا كانت لي زوجة ومجموعة من الأولاد. ستكون نصف جيناتهم من آل دافنبورت، وسيكونون مقبولين اجتماعياً، لأنهم ولدوا في المجتمع نفسه الذي حاول إقصائي لمدّة طويلة. وإن كنت لا أسيء فهم الأمور، فالليلة تم قبولي في هذا المجتمع لأنك كنت متأبطة ذراعي. لكن الناس لا يغيّرون مواقفهم بهذه السرعة. فإن حصل أيُّ سوء تفاهم بيننا أو انتهى زواجنا بشكل مفاجئ من دون أن ننجب الأطفال، فلا شك لدي بأن الباب الذي فتح أمامي لدخول مجتمع سيدني الراقي سوف يُصفق في وجهي من جديد. ولا نية لدي بأن يحصل لي ذلك مطلقاً. إن إنجاب الأطفال هو ما أريده منك، وهذا ما سوف تمنحينني إياه».

- إذاً، لهذا السبب رغبتَ بالحصول علي أنا، كما لو أنني فرس أصيلة مخصصة لكي تحمل بنسلك الشيطاني. لا يمكنك إجباري على إقامة علاقة حميمة معك.

نهض ديابلو عن كرسيه، ووقف أمامها وقد بدت وقفته خطيرة ومتحدية. ثم مدّ يده نحوها فجأة برقة ولامس خدّها متعقباً خط ذقنها نزولاً. همس ووجهه يدنو من وجهها، ما جعلها واثقة من أنه يستطيع سماع تخبط الدم في عروقها: «لا... لكن، ربما يمكنني إقناعك بذلك».

بالكاد استطاعت بريار أن تتنفس. تحركت أنامل ديابلو لتداعب عنقها ببطء، وجعلها ذلك تشعر بالدوار فترنحت. شهقت مستنشقة الهواء، فيما أصبح وجهه قريباً جداً منها حتى إن رائحة عطره ملأت أحاسيسها.

- أنت ترتجفين.

ردت كاذبة: «أنا... أنا أشعر بالبرد».

جذبها ديابلو لتدنو منه أكثر، وهمس في أذنها: «أعتقد أن تدفئتك ستكون أمراً ممتعاً وكذلك إقناعك بأن إقامة علاقة حميمة بيننا نحن الاثنين ليست أمراً



www.elromancia.com

سيئاً».

ضغطت بريار على عينيها فأغمضتهما، لكن من خلف جفنيها المغمضين ظلت قادرة على رؤية ديابلو. بدا فائق الثقة بنفسه وأكبر من الحياة نفسها. شهقت منقطعة الأنفاس وهي تنظر إلى الأعلى متحدية، في محاولة لإظهار نوع من الدفاع، فقالت: «ماذا لو لم تكن قادراً على إرضائي؟»

أجابها ديابلو بضمّها إليه حتى تلاصق جسداهما، فجعلتها الصدمة غير قادرة على الكلام. تمتم: «آه! سوف أجعلك أكثر من راضية».

ثم أفلتها بسرعة إلى درجة جعلتها تكاد تنهار على الأرض. فاستدارت مبتعدة لاهثة وهي تشعر بالدوار غير مشككة بما قاله.

بعدئذ تكلم ديابلو بهدوء تام، وكأنما الدقائق القليلة الأخيرة لم تحدث أصلاً، فقال: «الآن، وقد انتهينا من تلك المسألة، هل لديك المزيد من الاقتراحات ليتضمنها اتفاق ما قبل الزواج؟»

تردد للحظة أو اثنتين، ثم تابع: «لا؟ حسناً! أراك يوم الزفاف إذاً».

في اللحظة التالية، استدار واندفع خارجاً من الغرفة، فتأرجح معطفه في أثره كالدثار الطويل. وقفت بريار تلتقط أنفاسها، وقلبها ما زال يتخبط مصدراً صوتاً يملأ أذنيها، ما حصل لا يشبه في شيء عزمها وتصميمها على أن يعيشا حياتين منفصلتين. كم سيستغرقه الأمر حتى يتوصل إلى إقناعها بأن مكانها هو إلى جواره وفي سريره؟

شبكت ذراعيها حول صدرها فيما تذكرت شعورها بجسده الصلب وكيفية تجاوبها معه. ربما لن يطول صمودها أكثر من خمس دقائق بالنظر إلى ما حصل منذ لحظات.

اللعنة على ذاك الرجل! حسناً! لا ضرورة لأن تكون تلك هي النهاية. ماذا لو لم يكن الأمر بنفس السهولة التي تصورتها وأملَتها؟ إذاً سوف تضطر إلى تغيير مخططاتها لمجاراة ذلك.

قد يعتقد ديابلو أنه ربح تلك الجولة، لكن مازالت هنالك معركة آتية... وربما معارك... لم يته الأمر بعد!



## ٤ - أنتِ لي

- أنا آسف جداً بريار، هذا كله بسببي أنا.

ضغطت بريار على يد والدها فيما هما واقفان بانتظار انتهاء معزوفة الأرغن. أليس من الغرابة أن تكون هي من تحاول تهدئته الآن بالذات قائلة: «لا تقلق، أبي. لم يكن بيدك خيار آخر».

بدأ الوالد بالكلام: «لكن، بريار...»

قالت بريار بإصرار: «أيٌّ منا لم يكن لديه خيار آخر، لم يمنحنا ديابلو أية فرصة، لكننا على الأقل تدبرنا أمر إنقاذ بلاكسليا من براثنه».

تلوّى الوالد خجلاً في بذلته الرسمية السوداء، : «بريار...!»

قاطع كلام والدها صوت المعزوفة التي رنّت في أرجاء الكنيسة مشيرة إلى أنه آن أوان السير نزولاً في الممر لملاقاة قدرها، وموافاة الرجل الذي يوشك أن يصبح زوجها.

تخلل جسد بريار ارتعاشة من الأحاسيس مليئة بالحيوية، تركت لديها لحسن الحظ شعوراً بالخدر. لذا حينما جذبها والدها لتتقدم إلى الأمام داخل الكنيسة، تجاوبت معه من دون مقاومة.

- الآن أعلنكما زوجاً وزوجة!

لابد أن هذا كله حلم... حلم مزعج... لا بد أنها سوف تستيقظ خلال أية لحظة فتجد نفسها في سريرها الخاص في غرفتها. سوف يتلاشى هذا الكابوس، وسوف تضحك على هذا السخف...

- يمكنك معانقة العروس!

سرعان ما استيقظ دماغ بريار الذي بدا غارقاً في دوامة من الخدر بسبب



www.elromancia.com

تأثير الأسابيع الماضية المضنية، فعاد إلى العمل مسجلاً لها الواقع الآن. لن تستيقظ لتجد أن نور الصباح يغمرها... ولن يكون هنالك أي ضحك. على العكس من ذلك، ها هو كابوسها يقف أمامها محدقاً بها، وكأنما عينيه الداكنتين طاردتا الصباح مبددتين كل آمالها. ها هو يراقبها الآن وقد ظهرت في داخلهما التماعة قوية. تملك بريار الرعب وهو يقترب منها فيضمها بين ذراعيه.

بدت عيناها كبيرتين جداً وكأنهما لا تلائمان وجهها، أما بشرتها فبدت شديدة الشحوب، في حين أن أطرافها كانت سريعة العطب لدرجة شعرت معها أنها ستنفك عن جسدها. عوضاً عن ذلك، دخلت بين ذراعي دیابلو ملامسة بجسمها قماش بذلته الحريرية التبنية اللون غير معترضة لكنها ليست راغبة، فأظهر دیابلو اندفاعاً مفاجئاً وغير معهود لديه لأن يطمئنها ويريحها.

فكر أنه غير مجبر على طمأنتها، فهي أصبحت ملكه الآن. ضمها إليه بتملك، فأحست بالرعشة التي عبرت في داخلها. ذابت بريار تحت تأثير عناقه، وفجأة أخذ عناقهما حياة خاصة به، ها هي قد تجاوبت باستعدادٍ كبير لمجرد عناق، إذاً كم من الحرارة سوف يشعلها في بريار الليلة، حين يصبحان منفردين؟

انسحب دیابلو إلى الوراء، وراح يراقب الألوان السمراء النحاسية في عينيها تدور في دوامة، قبل أن يعود البرود مجدداً فيجمّد أعماقهما ويحولهما إلى بلورتين تومضان كحجر التوباز. إلا أنها لم تكن قادرة على التخفّي ووضع قناع لوجنتيها بالسرعة نفسها.

صدحت موسيقى الأرغن عبر الكنيسة الصغيرة، وشبك دیابلو بريار بذراعه، فيما تحضّرا للسير عائدين عبر ممر الكنيسة سوياً كزوجٍ وزوجة. مشى خلفهما حشد من وصيفات العروس وأشابين العريس، كانت والدة بريار قد اختارتهم من بين صفوف أولاد وبنات أعمامها وخالاتها.

تابع العروسان تقدمهما على طول الممر، وقد قوطعت مسيرتهما بسبب ثرثرة أفراد العائلة والأصدقاء والزملاء، الذين كانوا جميعهم واقفين في جهة



العروس من الكنيسة. أما جهة دیابلو من الكنيسة فشغلها رجال الصحافة، الذين أخلوا مقاعدهم الآن حتى يشكلوا وقفة مصطنعة للتصوير بشكل أفضل بواسطة آلاتهم. أمرٌ لم يترك سوى بعض الضيوف الفعليين القليلين جداً المتبقّين في جهة العريس من الكنيسة. هل يشكل هؤلاء الأفراد المبعثرين كل عائلة دیابلو وأصدقائه؟ سمعت بريار أنه فقد كلا والديه. تساءلت أيُّ نوع من الرجال هذا الذي يعمل بمفرده منعزلاً في هذا العالم إلى حدٍّ أنه لا يتواصل إلا مع قلة من الأشخاص. أما حين تنشر صوره في مكان بارز من الصفحات الاجتماعية في الصحف - وهذا يحصل باستمرار- فهو لم يكن يظهر مطلقاً مع المرأة نفسها مرّتين.

ألقت نظرة سريعة نحو الأعلى باتجاه دیابلو، فردّت عيناه وفكّه فوراً على تساؤلها. إنه قاسٍ، صعب المراس، لا يعرض نفسه للخطر ولا يرضى بالتسويات. لا عجب إذاً أنه لا يحظى بالكثير من الأصدقاء.

طلب مصوِّر العرس الرسمي وقفة أخيرة منهما قبل أن يتوجها إلى حفل الاستقبال. هذه المرّة وقف دیابلو خلفها وقد طوّق خصرها بذراعيه، فوقفت هي جامدة كجذع شجرة، محاولة تجاهل أنفاسه الدافئة تتغلغل في شعرها وذلك الوخز الذي أحسّت به في فروة رأسها. ثم همس بصوتٍ اندفع مباشرة نزولاً حتى عظامها: «همم... إن شكلك ورائحتك يبدوان شهيين بما يكفي لأن آكلك».

أحسّت بريار بأنفاسها تعلق في حلقها، فيما تدفقت موجة من الحرارة عبر جسدها. أخذها عناقه على حين غرّة وهي غير مستعدة له خلال حفل الزفاف، لذا لم يكن من الصعب عليها تخيله وهو يعانقها من جديد، إنها لا تأبه حقاً لما يظنه بها، وهي حتماً لا ترغب بسماع رأيه أو أي شيء آخر يذكرها بما ينتظرها في ما بعد. أدارت رأسها بعيداً عن عدسات المصورين وهمست قائلة: «لا تخدع نفسك، فأنت لن تستمتع بوجبتك على حسابي».

أكد لها دیابلو: «بل أظن أنني سأفعل».

فيما رفع إحدى يديها بيده وطبع قبلة على قفاها، فانطلقت أضواء آلات



www.elromancia.com

التصوير تومض مجنون حولهما من كل صوب، محاولة بيأس أن تلتقط تلك الحركة الأنيقة الشهمة بظاهرها. تابع ديابلو كلامه: «كيف لا، وأنا من سيشاركك سريرك فينعم بهذا السحر والجمال وحده؟ أنا لا أطيق انتظاراً حتى نصبح بمفردنا، كي أتمكن من تأمل جمالك ومباشرة حياتنا الزوجية معاً.»

التمعت داخل بريار شرارت من الحرارة أحدثتها كلماته الأخيرة، فألهبت النار بشرتها الحساسة مشعلة فيها الحياة. عضّت على كلماتها بغير ثبات وقالت: «لسوء الحظ، إن الشعور ليس متبادلاً».

زمجر ديابلو وقد ظهرت في صوته لمحة من الإغاظة: «عندما يحين الوقت المناسب، كل ما سنشعر به سيكون متبادلاً. أنا عاشق كريم يا زوجتي، لن يخيب ظنك بي مطلقاً».

شهقت بريار وحاولت دفع نفسها بعيداً عنه، لكنها شعرت فجأة وكأن الأكسيجين فُقد من الهواء. أحست بالاحتراق كما لو أنها وضعت فجأة في أجواء تشبه الأتون المتفجر.

أصدر المصور إشارة تعلن انتهاء التقاط الصور الرسمية. فسارعت بريار تقول لديابلو: «يمكنك إفلاتي الآن. لقد انتهينا تماماً».

خفف ديابلو ضغط قبضته على خصرها حتى تستطيع أن تستدير مبتعدة بعد أن تسبب لها قربه منها باضطراب ظهر جلياً في غضبها وسخطها، إلا أنه رد معترضاً: «كلا، لم ننتهِ بعد... ليس قبل وقتٍ طويل».

* * *

- سوف نغادر خلال عشر دقائق، أريدك أن تكوني جاهزة.

قفزت بريار مصدومة. على الرغم من أن الصوت الهامس في أذنها اليسرى بدا كافياً ليشتت أفكارها ويجعل نبضها يتسارع، إلا أنه لم يجعلها تغفل عن تلك الحركة العابرة التي قام بها زوجها حين مرّر أنامله صعوداً على امتداد ذراعها اليمنى. استأذنت من الضيوف الذين كانت تتحدث إليهم، وتبعت الدرب الذي أخذه ديابلو. لحقت به وهي ترفع تنورة فستانها، وتخطو قافزة خلفه فيما دخل ديابلو المنزل، ثم قالت: «ديابلو! إلى أين نحن ذاهبان؟ تم تحضير جناحٍ



خاصٍ لنا هنا. افترضت...»

توقف ديابلو أمام مطلع الدرج المهيب، ثم استدار نحوها وابتسم فجأة، فجردها من سلاحها بالمقاومة حين قال: «ألا تقضي التقاليد في هذا البلد أن يقوم العريس باصطحاب عروسه إلى مكانٍ ما لتمضية شهر العسل؟»

- أنت تعلم أنها كذلك، لكن زواجنا بالكاد يكون زواجاً تقليدياً. كما أن شهر عسلنا من المرجح أن ينتهي قبل أن يبدأ حتى... بصراحة لست أرى الجدوى منه.

اتسعت ابتسامة ديابلو، وقال: «آه، سوف ترين! هذه الليلة مميزة جداً عزيزتي، ويجب أن نستغلها إلى أقصى حد ممكن. ألا توافقيني الرأي؟»

لم توافقه بريار على الإطلاق، بل علقت: «مميزة» ليست الكلمة التي قد أستعملها».

- آه! وكيف تصفينها إذاً؟

ارتعدت بريار واجتاحتها موجة ذعرٍ جليدية. كيف يمكن لأي شخص عاقل ألا يشعر بالخوف لدى تصوره فكرة وجودها بمفردها معه في مكان مجهول، بعيداً عن عائلتها. أجابت: «أصفها بالليلة التي يجب تحمُّلها».

ظهرت حركة في فك ديابلو فضحت حركة أسنانه وهو يصرها على بعضها بصمت. مرّر نظراته على امتداد جسمها ثم قال: «ألست متحمسة إلى اكتشاف أسرار الحياة الزوجية برفقتي؟ هذا يفاجئني، لأنك تبدين مثالية لذلك الأمر».

لا شيء سينجح في إخفاء دقات قلبها المتخبط بقوة بين ضلوعها. خشيت أن يتمكن ديابلو من سماع ذلك بنفسه، تماماً كما لاحظ توترها وتصلب جسدها بتأثير كلماته المليئة بالإيحاءات الحميمة.

هل سيشعر أنه مخدوع حين يكتشف أنها عديمة الخبرة؟ أم تراه سيجد ذلك أمراً ممتعاً، ويستخدمه كسلاح آخر في ترسانته لإذلالها؟

أشاحت بريار ببصرها عنه، وجمعت تنانير فستانها قائلة: «بما أنك عزمت على قرارك، من الأفضل أن أذهب لتبديل ملابسي».

لم تكن قد تجاوزت الدرجة الثانية من السلم، حين وضع ديابلو يده على



www.elromancia.com

رسغها، وجذبها برفق. قال: «لست مضطرة إلى تبديل ملابسك. طلبت أن يتم توضيب حقيبتك، لذا أريدك أن ترافقيني كما أنت تماماً».

سألت بريار وهي تهزّ تنانير فستانها بيديها: «لكن لماذا؟ لماذا تريد مني أن أرتدي فستان عرسي؟ سوف أشعر بالسخف لو سافرت مرتدية هذا اللباس. سوف أقوم بتبديل ملابسي».

- لا! أريد أن يعلم الجميع أنك عروسي أنا، وأن هذه ليلة زفافنا.

تباطأت عينا ديابلو وهما تتأملان عينيها. تابع يقول: «كما أريد أن يعلم الجميع أننا مشتاقان للبقاء بمفردنا كأي عروسين جديدين».

نظرت بريار إلى ذراعها حيث استقرت يده ذات البشرة السمراء الذهبية التي كادت تتوهج وهي تلامس بشرتها، ثم عادت ورفعت بصرها نحو عينيه، وقالت: «ذلك تصرف مريض نوعاً ما».

- لا! بل ذلك نوع من التفاخر والغرور، فكل رجلٍ في سيدني سوف يحسدني، وأريدهم جميعاً أن يعلموا أنك ملكي أنا.

* * *

أخطأت بريار في توقعها بأنها ستنتقل عبر المطارات وهي مرتدية فستان عرسها. غادر العروسان بعد أن ودّعا الحضور، تاركين حفل الاستقبال خلفهما. استقلا سيارة ديابلو الرياضية الحمراء من نوع توسكان، وبدا من الواضح أنهما يسيران في الاتجاه المعاكس للطريق المؤدية إلى المطار. لكن ما همها حقاً إلى أين هما ذاهبان، فهي تدرك جيداً ما ينتظرها حين يصلان إلى المكان المقصود؛ ديابلو أوضح لها ذلك بجلاء تام.

في الوقت الراهن، اكتفت بريار بأن تستلقي إلى الوراء على أحد المقاعد الجلدية السوداء المهيبة للسيارة. التفتت الرؤوس حولهما ناظرة إليهما فيما زمجرت السيارة في طريقها صعوداً على الطريق الرئيسية، مندفعة عبر المنعطفات بشكل غير آمن مطلقاً.

من المنطقي أن يمتلك ديابلو سيارة مماثلة، فهذه الخطوط القوية والمحرك الهادر تجعل من أي شيء آخر على الطريق غير ذي أهمية. فكرت بريار أن



الشيطان نفسه جالس خلف المقود ويتحكم بالسيارة.

تكلم ديابلو بعد أن مضى على رحلتهما حوالى نصف الساعة، وقد أصبحت أضواء المدينة الآن بعيدة خلفهما، فقال: «أنت صامتة».

ردّت بريار: «كنت أفكر بسيارتك».

من الواضح أنها فاجأته، فقال: «أحقاً؟ أخبريني!»

- أفكر أنها تشبهك إلى حد بعيد.

- ألا تعجبك سيارتي؟

قال ذلك بنبرة تكاد تبدو مجروحة، فقاومت بريار رغبتها بأن تضحك. فكرت أنه حتما سوف يربط الأمرين ببعضهما: كرهها له ولسيارته على السواء.

- إنها عصرية جداً وقوية و...

نظر ديابلو إليها: «و....؟»

أرادت أن تقول كلمة «شريرة»، لكن بدا لها ذلك نوعاً ما تلاعباً، كما أنها لم تجرؤ على قول كلمة «خطيرة»، فذلك قد يكشف الكثير من أفكارها حوله.

- ...و... قوية.

راقبها ديابلو للحظة أو اثنتين، ثم أعاد نظره نحو الطريق، فقال: «قلتِ ذلك من قبل».

ردّت بريار متظاهرة بالبراءة: «أحقاً فعلت؟»

ثم أقفلت الحديث مدعية الاهتمام بالمنظر الذي يلفه الظلام خارج نافذتها، محاولة تناسي الوخز الحامي الذي أصدرته عيناه والذي أحرق بشرتها.

لابد أن بريار غفت بعد حديثهما هذا مباشرة، فلم تشعر بمرور الوقت. استفاقت عندما خرج ديابلو بالسيارة عن الطريق الرئيسية، متجهاً نحو الخط الساحلي الممتد بالقرب من الشاطىء. ظهرت في الأفق البعيد أضواء مدينة صغيرة محاذية للشاطىء، لكنه انعطف بالسيارة قبل أن يسيرا في ذاك الاتجاه، داخلاً نحو ملكية واسعة واقعة على لسان بحري مطل على المحيط.

ضغط ديابلو على زرٍّ في آلة التحكم عن بعد، فانفتحت ببطء بوابتان



www.elromancia.com

كبيرتان، ثم أضيئت أنوار خافتة على طول طريق المدخل بالتزامن مع اقترابهما من الملكية. أوقف ديابلو السيارة خارج الأبواب الأمامية للمنزل المهيب، الذي بدا وكأنه يمتد إلى ما لا نهاية. سألته بريار: «هل وصلنا؟»

أطفأ ديابلو المحرك، وقال: «وصلنا».

- أين نحن بالضبط؟

- إنه مكان يسمى «الجنة»، يقع على بعد حوالى الأربع ساعات شمالي سيدني.

أهو بعيد إلى هذا الحد؟ يبدو أنها لم تنم فقط نوماً خفيفاً، بل غفت معظم الوقت.

قال ديابلو: «تعالي إلى الداخل، سوف آخذك للقيام بجولة في المكان».

دفعت بريار تنانير فستانها الطويلة، ثم سمحت لديابلو بأن يقودها لصعود الدرج نحو المدخل. سوف تقوم بالجولة في المكان، بل هي ترحّب بالفكرة. في الواقع هي ترحب بأي شيء يؤخر ما هو حتمي لاحقاً. تلك هي الحقيقة الحتمية التي وقفت محدّقة في وجهها، خصوصاً حين أنهيا جولتهما على أكثر من عشرين غرفة فسيحة، فوصلا أخيراً إلى أكبر غرفة رأتها على الإطلاق.

امتدت النوافذ على طول أحد جدران الغرفة، فكشفت منظر البحر الغامق اللون تحت ضوء القمر بشكل يقطع الأنفاس بسحره. لكن بالكاد تمكن ضوء القمر من جذب اهتمامها، وإنما جذب اهتمامها السرير الواسع الذي جعل فمها يجفُّ بشدة. إنه سريرها الذي احتل بفخر مكاناً فسيحاً قبالة الحائط الزجاجي، كأنه يسخر منها مذكّراً إياها بسبب وجودها هنا.

عبر ديابلو الغرفة فرفع لسان القفل الخاص بالباب المؤدي إلى شرفة تشبه سطح المركب، وتمتد باتجاه البحر. تبعته بريار وهي تشيح بنظرها عن السرير وتتجنبه، فاستنشقت الهواء النقي المنعش كما لو أنها مملوكة مستعبدة مسجونة. قال ديابلو: «يمكنك أن تسترخي. سوف أحضر الحقائب، كما سأحضر بعض العصير لنشربه».

بدا الجو بارداً على الشرفة، بل لعلّه كان بارداً جداً. إلا أن بريار لم تأبه



لذلك الليلة، فقد بدا هواء البحر منعشاً وهو يلامس وجهها، مزيلاً عنها آخر آثار الإرهاق من جراء رحلة القدوم إلى هنا. لو أن الظروف مختلفة لبدا لها ذلك مدعاة للاسترخاء، لكن ليس الليلة. ليس وهي تعلم ما الذي ينتظرها لاحقاً.

لم تكن مستعدة بعد للدخول إلى الغرفة ومواجهة ذاك السرير، بالرغم من البرد الذي أُثقِل به نسيم الليل. مع ذلك، بدا جسدها وكأنه يهيء نفسه لمهمته الطبيعية حتى في هذا البرد. قريباً سوف يعود ديابلو متوقعاً أن يقيما علاقة حميمة، كأي عروسين في ليلة زفافهما الأولى.

لا!

إنه هنا الآن، وهي قانونياً زوجته. لكن لتحلَّ عليها اللعنة إن وافقت على لعب دور الحاضنة لنسله، بغض النظر عن شروط العقد الذي وقعا عليه سابقاً. لم تشعر بريار بالذنب حيال الترتيبات التي اتخذتها لتحرص على عدم حصول ذلك الأمر مطلقاً. إن أيّ قاضٍ لن يجدها مذنبة لعدم رغبتها بإنجاب طفل في ظل هذه الظروف.

تمعّن ديابلو ببريار وهي واقفة على الشرفة تراقب البحر، فيما تموّج فستانها الطويل مترقرقاً أمام النسيم العليل، كما تطايرت بضع خصلات من شعرها في الهواء بحرية، بدت كأميرة قادمة من الأساطير الإغريقية القديمة، غارقة بضوء القمر. كأنها خُلِقت لتسلب قلوب الرجال.

عدّل الأضواء داخل الغرفة فجعلها خافتة قبل أن ينضم إليها وهو يحمل كوبين صغيرين من العصير. حدّقت بريار فيه وهو يتقدم نحوها وتقلّصت المسافة ما بين حاجبيها، كما التمعت عيناها بتوهجٍ من الهلع، وهو أمرٌ خان واجهتها التي بدت باردة متماسكة.

عرض ديابلو عليها: «اشربي العصير لكي تهدأ أعصابك».

سألته بريار فيما تناولت الكوب من يده: «من قال إنني متوترة؟»

ردَّ ديابلو وهو يمرّر إحدى يديه على طول خط عينيها، فقال: «هذه و. . .»

ثم حرّك أطراف أنامله إلى ذاك المكان من عنقها حيث كان النبض يدقُّ بقوة جنونية، فتابع قائلاً: «وهذا. . .»



www.elromancia.com

صلّبت بريار ظهرها واندفعت مبتعدة عن لمسته، متراجعة إلى حافة السياج. أفلتها ديابلو، وراح يراقبها فيما ارتشفت جرعة من كوبها. لفت ذراعيها حول جسمها، وقد تصلّبت كتفاها، فسألها: «هل تشعرين بالبرد هنا؟ أترغبين بالدخول إلى الغرفة؟»

- لا!

لم يكد ديابلو ينهي طرح سؤاله حتى سارعت بريار بالرد من دون أن تفكر في ما تقوله، لذا تابعت: «أعني أن الجو ليس بارداً جداً، بل منعشاً... ببساطة».

ارتشفت جرعة أخرى من العصير، وكأنما أرادت أن تبرهن كم هي مسترخية ومرتاحة، فيما هي تحاول جاهدة احتواء توترها والسيطرة عليه. قالت وهي تنظر نحو أضواء المدينة: «المكان رائعٌ جداً هنا».

ردّ ديابلو موافقاً: «بل أنت رائعة! تبدين كملكة في هذا الفستان».

رفعت ذقنها متحدية: «أخبرتني أنك أردت أن يعلم الجميع أنني ملكك، لكننا لم نقابل أحداً».

- ماذا لو قلت لك إنني أردتك أن تلبسي ذاك الفستان لأنك تبدين كأميرة قادمة من رواية خرافية؟ هل ستصدقينني؟

عادت بريار واستدارت لتواجه البحر قائلة: «أنا لا أصدق الروايات الخرافية».

ردّ ديابلو وهو ينضم إليها مستنداً إلى السياج: «من يصدقها؟ لكن هنالك بعض العناصر المغرية فيها».

- أتعني مثل: عاشا بسعادة إلى الأبد؟ لا أظن ذلك.

ردّ ديابلو مؤكداً: «لا! فذاك المبدأ يخصُّ الروايات الخرافية بشكل استثنائي».

استدارت لتنظر إليه. إذاً هو يشعر بالمرارة والتعب. ذلك أفضل بكثير! إن كان هذا هو الشعور الذي يساوره، فذلك يتلاءم مع أهدافها بشكل تام.

قالت متأملة: «نحن على الأقل نتشارك في هذا الرأي».



نظر ديابلو إليها، وبدأت عيناه العميقتا الغور فجأة تنطقان بمجلدات من الكلام، ثم قال: «لعلّه آن أوان أن نكتشف أشياء أخرى نتشارك بها أيضاً».

سرى الترقب مسرعاً في جسد بريار، لكنها لم تكن مستعدة. استدارت نحو السياج تراقب البحر ولم تجب. سألت بعد قليل وكأن ديابلو لم يتفوه بما قاله: «ما هو هذا المكان؟ هل بنيته أنت؟ يبدو كمنزل خرج مباشرة من موقع مخصص لتصوير فيلم سينمائي إسباني».

أدرك ديابلو أن تغيير موضوع الحديث هو تقنية تستخدمها للتهرب منه. هو مستعد لمجاراتها لبعض الوقت إن كان ذلك يجعلها تشعر بالاسترخاء، إلا أنه بالطبع لن يسمح لها بالمراوغة لمدة تطول عن الدقيقة أو ما يقاربها. قال: «بنيته لوالدتي».

أدارت بريار رأسها نحوه، وسألته: «ما الذي جرى لها؟ أنا لا أعرف شيئاً تقريباً عن عائلتك، فأنت لم تذكر أي شيء بخصوصها مطلقاً».

هزَّ ديابلو كتفيه وقال: «الأمر ليس مهماً».

- بالطبع هو أمر مهم، فأنا لا أعرف أي شيء عنك، كما لو كنت شخصاً غريباً تماماً عني.

- الغرباء يقيمون علاقات مع بعضهم في معظم الأوقات.

تصلب جسد بريار وأعلنت: «لكن... ليس هذه البطة السوداء».

- يسعدني أن زوجتي لم تمضِ أيامها في الجامعة وهي تقيم علاقات عابرة.

قالت وهي تعضُّ على شفتها: «لكن لا بد أنه خطر ببالك أنني ربما أمضيت سنواتي في الجامعة وأنا أقيم علاقات حب مع الرجال الذين عرفتهم فعلاً».

قال: «إذاً فالآتي بالكاد سيكون مفاجئاً لك، ولست أرى الجدوى من تأجيل أمر الذهاب إلى السرير أكثر».

شبكت بريار ذراعيها متحدية: «إذا كانت هذه فكرتك عن الملاطفة والمداعبة، فأنا أقترح عليك أن تستعير بعض الكتب التوجيهية من المكتبة العامة في محيطك».



www.elromancia.com

قام ديابلو بحركة مفاجئة غير متوقعة، فأسرها إلى جانب السياج بين ذراعيه، إلى حد أنها اضطرت لأن تفك ذراعيها وترميهما إلى الوراء حتى تثبت نفسها. ثم قرب وجهه منها، فلفحت أنفاسه عنقها، وراح نبضها يقفز بغرابة وقوة. تكلم ديابلو: «هنالك أمرٌ أنت على وشك أن تكتشفيه يا زوجتي الجميلة، وهو أنني أنا من دوّن تلك الكتب التوجيهية».

يا له من مغرور عنيد فظ! كانت بريار على وشك أن تخبره كم يبدو أنانياً حين لامست أنامله بشرة عنقها، باعثة ارتعاشات خفيفة في جلدها. اللعنة! حركته هذه جعلت الكلمات تهرب منها، فنسيت ما أرادت قوله. أحست بلهب النار يلسعها على امتداد الخط الذي رسمته أصابعه، كما لو أنه نهر متدفق من المشاعر المتأججة. كما تجمّعت الحرارة في داخلها، وفجأة لم تعد تشك مطلقاً في ادعاءاته بعد أن أطلق ديابلو العنان ليديه لتتلمسا عنقها وكتفيها وتفكان ضفيرة شعرها. إذا كان بمقدوره أن يبعث الفوضى فيها بهذا الشكل، بمجرد ملامسته لها...

في تلك اللحظة تماماً، قرب ديابلو رأسه وغمرها في عناق حميم، فقام بنقل سحره إليها. بدت حركة يديه على ظهرها رقيقة... ملاطفة... وخلف ذلك كله استطاعت بريار أن تشعر بشوقه. إنه يتوق إليها!

يفترض بها أن تقاومه من دون صعوبة فتدفعه بعيداً عنها، لكن الأحاسيس التي أطلق ديابلو عنانها في داخلها، كما الوخز الدافىء الحار الذي تسارع في جسدها، جردتها من كل قدرة على المقاومة والصد. إنها لا ترغب بأن تشعر بمثل هذه الأحاسيس حيال ديابلو! إنها لا تريد أن يتجاوب جسمها مع شخص متمحور حول ذاته ومغرور إلى هذا الحد! مع شخص لم يبدِ أي اهتمام بها لشخصها، بل لأجل الاسم الذي تحمله ولقدرتها على إنجاب الأطفال!

على الرغم من ذلك، أحسّت بريار أن ركبتيها توشكان على الالتواء.

رفع ديابلو رأسه لينظر إليها، فاضطرت لأن ترمش بعينيها حتى تنقي الرؤية أمامها، وتستطيع التركيز على هاتين العينين، اللتين كادتا تبدوان سوداوين في هذه الإضاءة، وهما محدقتان تماماً بعينيها. لكن ابتعاده الوجيز هذا



منحها الفسحة لتتنفس. إنها فسحة تنفس حيوية، وهي لم تكن تنوي تفويت فرصة استعادة نوع من البرود بينهما. قد يمتلك ديابلو الورقة التي تربطهما قانونياً، لكنه لا يمتلك أية حقوق للسيطرة على قلبها وروحها.

تدبرت بريار أمر التكلم وهي تتظاهر بعدم التأثر، فجاء صوتها أشبه بالتنفس الثقيل: «أرى في تلك الحالة أنه يجدر بي أيضاً أن أذهب لخلع ملابسي استعداداً للنوم».

حاولت أن تتحرك شيئاً فشيئاً لكي تمرُّ بين ديابلو وبين السياج، لكن ديابلو أوقفها واضعاً إحدى يديه على عنقها مداعباً إياها بإبهامه برقة، فيما اقترب ليدنو منها أكثر. تمتم وهو يؤرجحها لتصبح بين ذراعيه وكأن وزنها لا يتجاوز وزن الريشة: «آه، لا! لن تفعلي. ستكون هذه أولى مهماتي يا عزيزتي».

www.elromancia.com

# ٥ - الفاتنة والوحش

أوقف عناق ديابلو شهقة بريار، لكن هذه المرة اختفت الرقة من عناقه، لتحل مكانها القوة والشغف الحاد. حتى إن بريار شعرت بكيانها يهتز بتأثير عناقه حتى الصميم. أرجحها بين ذراعيه كما لو كانت خفيفة كالريشة، فاحتضنها كما لو أنها جائزة ثمينة نالها للتو وهو يحملها إلى الداخل.

لم تكن بريار مجبرة على التمسك به، إذ لم يكن هنالك أي احتمال بأن يوقعها من بين ذراعيه، لكنها أحسّت بشكل ما أن من الضروري أن تلف ذراعيها حول عنقه، لتتحرك أناملها فيما بعد متخللة شعره. كما تركت رأسها يستلقي على صدره العريض، فيما جذبت نفسها لتدنو منه أكثر.

أفلت رجليها ما إن وصلا إلى الداخل، وترك قدميها تنزلقان ببطء إلى الأرض. أما يداه فقولبتا جسدها بالقرب منه، فأمسك بها وأجبرها على مواجهة عينيه اللتين تنضحان بالاندفاع والشوق.

تحرك الخوف في أعماقها فشعرت بوخز متنقل في بشرتها. ماذا لو لم تستطع الصمود؟ ألن يكون ذلك مدعاة للسخرية؟ كيف ستتمكن عندها من جعله يدرك أنه اختار المرأة غير المناسبة؟ في تلك اللحظة راح ديابلو يفك عن كتفيها شريطي فستانها الرفيعين الشبيهين برباطي الحذاء.

كيف عساها استطاعت أن تتصور أبداً أنها قادرة على مقاومته وصدّه؟ فحالما لمسها ديابلو أخذت تلتهب مشتعلة كالنار لأجله.

راقبها ديابلو بعينيه اللتين تفيضان بالجموح واليأس، فاستعرضتا جمال جسدها ورشاقته بحماوة من الشوق. جذب أنفاسه بقوة شديدة إلى حدٍ جعلها تشعر كأن الهواء من حولها يتسارع مندفعاً نحوه.



أصبح تنفّس بريار خارج قدرتها على السيطرة، فبات سريعاً وسطحياً. أحست بالدوار كما لو أنها ستغيب عن وعيها، وفي الوقت نفسه اجتاحتها موجة من الأحاسيس العارمة أقوى من ذي قبل. ويبدو أن ديابلو استشعر بحالتها، فحملها ثم ألقاها على السرير بكل احترام وتبجيل.

آه! ما الذي عساها تفعله؟ لا يمكنها أن تفعل هذا... يجب أن توقفه!

همست بريار قائلة: «ديابلو!»

تمتم ديابلو وهو ينضم إليها في السرير: «أعلم».

لكنه لم يكن يعلم. كيف له أن يعرف أنها ما تزال عذراء؟

ضمها إليه في عناق ملؤه الشغف ما منعها من متابعة كلامها. وما لبث أن جعلها تفقد تركيزها حين حملها معه إلى عالم من الأحاسيس المضطرمة التي لم تعرف بوجودها من قبل.

بعد أن هدأ بحثت عيناه عن عينيها. أتراه أدرك أنها كانت عذراء؟

استلقيا سوياً على السرير، وتأملت بريار متفكرة إن كانت إقامة علاقة حميمة مع شخص تكرهه بهذه الروعة، فكيف عساه يكون شعورها في علاقة حب فعلية مع شخص تهتم لأمره؟

أدارت رأسها، وراحت تتأمل وجهه. بدت عيناه مغمضتين، أما تنفسه فصار بطيئاً كما لو أنه نائم. لعله الوقت الملائم للخروج من تحت ذراعه.

قامت بحركة لتحرر نفسها بعيداً عن ديابلو، لكن في تلك اللحظة تصلبت ذراعه حولها فمنعها من الفرار. فتح عينيه لينكشف ذاك السواد القاتم، فيما رفع جسمه على أحد مرفقيه قائلاً: «لِمَ لم تخبريني أنك عذراء؟»

امتدت فسحة من الصمت المثقل بينهما. إذاً أدرك ديابلو ذلك. لكن لِمَ يهتم للأمر؟ هل ينوي الآن ادعاء الأسف والندم؟ أراد الحصول عليها في سريره، وها قد نال مبتغاه.

هزت كتفيها وأدارت رأسها بعيداً، ثم قالت: «كان يجدر بي أن أدرك أن عاشقاً موهوباً ومشهوراً مثلك سوف يتعرّف على المبتدئ في الحال».

- كان يجدر بك أن تخبريني.



www.elromancia.com

- لماذا؟ أي فرق سيحدثه ذلك بحق الجحيم؟ هل يجدر بي أن أصدق فجأة أنك تهتم لشعوري؟ أعرف أن ذلك مستحيل.

قست تعابير عيني ديابلو.

- لماذا يهمني الأمر؟ لأن ذلك يعني أن والدك أكثر سوءاً مما ظننت.

- ما الذي تتكلم عنه؟

- كنت لأوافق على ضعفي المبلغ لو علمت أنك عذراء.

دفعته بريار من كتفيه وحاولت أن تبتعد بالقوة عنه، وهي تقول: «أيها الوغد! لا يمكنك أن تشتري الناس وتبيعهم كما لو أنهم إحدى ممتلكاتك الثمينة لا أكثر. لا تجري الأمور بهذه الطريقة.»

سألها ديابلو وهو يهزأ بمحاولاتها للفرار: «أحقاً؟ حسناً! نجح الأمر، وها أنا أحصل عليك»

ردّت بريار وهي تحاول جاهدة أن تدفع بنفسها شيئاً فشيئاً بعيداً عنه: «أنت تثير اشمئزازي!»

قال ديابلو متحدياً: «أحقاً؟»

أمسك بإحكام ذراعها الحرّة، فأرجعها وثبّتها على الوسائد. أرفق ذلك بعناق ساحق جعلها تحبس أنفاسها من شدة شراسته العديمة الرحمة. بدت تلك الشراسة بمثابة عقابٍ قاسٍ لها.

بعد أن انسحب أخيراً متراجعاً، سألها: «أحقاً أنني أثير اشمئزازك؟ ذلك ليس الانطباع الذي أعطيتني إياه منذ قليل».

- آه! لأنني أردت أن ينتهي هذا الأمر بسرعة لأبتعد عنك أخيراً. لا تغتر بنفسك... عليّ أن أتحمل قدري، وها قد تم الأمر كما أردته، فهل يجعلك ذلك تشعر بالرضى؟

التفّ ديابلو حولها كما لو كان غيمة مثقلة بالصواعق: «بمقدوري أن أقسم أنك استمتعت بكل ما جرى».

- آسفة لتخييب ظنك.

- أحقاً؟ إذاً ألم يجعلك ما حصل تشعرين بالرضى؟



حملقت بريار إلى الأعلى نحو ديابلو، فقالت: «كنت أدّعي ذلك».

تحولت عيناه فجأة إلى لون غامق لمّاع، فأدركت أنه اعتبر كذبتها السمجة نوعاً من التحدّي.

- إذاً، ماذا لو أعطيتك فرصة «التدّعي ذلك» مجدداً؟

صرخت بريار: «ديابلو!»

لكنه صمم على التحرك بسرعة وقد بدت نواياه واضحة، فندمت فوراً على كلماتها الغبية، وخشيت أن تنجرف بعيداً في العاصفة الهوجاء التي يستحضرها هذا الرجل. تحول اعتراضها إلى شهقة حين جذبها ديابلو إليه من جديد.

لقد سمحت مجدداً لجسدها بأن يخونها، وسمحت لنفسها بأن تنجرف بعيداً في شغف ديابلو. دحرجت نفسها مبتعدة عنه، مستغلة لحظة غفلة آنية، وتوسلته بصوتٍ فيه نشيج: «دعني أذهب».

فيما أدارت رأسها بعيداً عنه كي لا يرى آثار الدموع على وجنتيها وهي تقفز مسرعة من السرير.

ناداها ديابلو، وقد بدت كلماته كاتهامٍ فولاذي قاسٍ، وهو يقول: «أما زلت تدّعين الأمر؟»

- يمكنني أن أقول بأنك أثبتت وجهة نظرك بشكل تام، ألا تظن؟

انتزعت بريار حقيبة يدها بقوة وهي في طريقها نحو الحمام التابع لغرفة النوم، ثم أقفلت الباب خلفها قبل أن تسحب الرداء المعلق على الجهة الخلفية للباب فتضعه على جسدها. بدا الرداء فضفاضاً جداً، لكنها في الوقت الحالي لم تكن بحاجة سوى إلى شيء تضعه على جسمها، غاصت يدها بعد ذلك داخل الحقيبة، وهي تنقب بيأس بين محتوياتها، إلى أن وجدت ما تبحث عنه. طقطقت الفقاعة فاندفعت حبة الدواء داخل كفها. سُمِعَ صرير مقبض الباب خلفها، وناداها ديابلو: «بريار! هل أنت على ما يرام؟»

- أتتوقع مني أن أصدق بأنك تهتم؟

- دعيني أدخل!

صرخت بيأس: «اذهب إلى الجحيم!»



www.elromancia.com

وتابعت في سرها: إلى حيث تنتمي.

سُمِعَ صرير الباب مرّة ثانية قبل أن تسمع ديابلو يطلق شتيمة متذمرة. تلا ذلك صوت وقع قدميه الغاضب فوق ألواح الأرضية الخشبية. أخذت بريار نفساً عميقاً، فيما استدارت نحو الجهة الأخرى من الحمام. شعرت بالصدمة حين رأت انعكاس صورتها في المرآة. لابد أنها فقدت نفسها خلال وقتٍ ما من هذه الليلة... ولا شك أنها أضاعت طريقها حين تعلقت به... راغبة منه بأن يحبها... في حين أنها تعلم أنه لا يجدر بها ذلك.

ترقرقت الدموع بصمت على وجنتيها. مقاومتها ورفضها انهارا بسرعة تحت تأثير لمسة منه. أما المخزي في الأمر، فهو أن ديابلو قادر على تكرار ذلك مجدداً، لذا لم يعد بيدها الآن سوى دفاع واحد. رمت بريار حبة الدواء نحو فمها فابتلعتها، ثم دسّت حبوب الدواء في مكانها داخل الحقيبة.

اللعنة عليه! ليذهب إلى الجحيم... قد تكون مضطرة لتحمل شغفه وسريره، لكنها لن تحمل أبداً بطفله!

مشى ديابلو بخطى سريعة عبر الغرفة كما لو أنه أسد محبوس في قفص.

لماذا بحق الجحيم لم تخبره بذلك؟ لم يشتبه أبداً في أنها عذراء، فهي حتى لم تلمح إلى الموضوع.

تمهل ديابلو أمام الأبواب الجرّارة، وهو ينظر نحو البحر المظلم المتموج. يا إلهي! لمَ لم تقم بتحذيره؟ ثم... اللعنة عليها، لمَ عساها تصرّفت كما لو أن الأمر ليس مهماً؟ كما لو أنه لا يستحق الاهتمام؟

شعر بالسرور لأنه الرجل الأول في حياتها. في الواقع جعله ذلك يشعر بالارتياح، ومع ذلك كافأ طهارتها وفضيلتها عبر معاملتها بخشونة. هذا ليس الأسلوب اللائق لتعريف المرأة على العلاقة الزوجية الحميمة. بدت متجاوبة معه، فلا عجب أنه لم يكن واثقاً من عذريتها، وحين استكانت بين ذراعيه بدا الأمر رائعاً. آه! نعم... سيقوم بالتعويض عليها ومكافأتها بجعلها تدرك كيف يمكن أن تكون العلاقة السليمة بين الرجل والمرأة.

لكن ليس هذه الليلة. نظر ديابلو إلى نفسه، وأطلق شتيمة. فبعد ما حصل



قبل قليل، آخر ما ترغب بريار برؤيته هو شكله الآن بالذات. أما هو فلا يريدها أن تحترس منه، لا يريدها أن تشعر بالخوف بعد الآن.

ما هو بحاجة إليه الآن هو نوع مختلف من التمرين. إنه بحاجة إلى تخدير ذهنه... أدار ظهره إلى كل من منظر البحر والجوهرة اللامعة الموعودة القابعة خلف باب الحمام، ثم توجه نحو بركة السباحة الداخلية.

ها قد رحل! بدت الغرفة الخافتة الإضاءة بعد غياب ديابلو كما لو أنها اكتست بالخواء والفراغ، مع افتقارها إلى هالته التي تملأ أرجاء المكان. أطلقت بريار النفس الذي كانت تحبسه في صدرها. كانت قد استجمعت قواها لأجل... مواجهة أخرى؟ معركة أخرى؟ مهما يكن الأمر، أحسّت بالارتياح لأنه ابتعد عن المكان لبعض الوقت، فيما وقفت هي تحت مرشة المياه الساخنة، وحاولت تطهير جلدها بغسله وفرك كل آثار لمساته عنه، إلا أن الأمر لم يفلح.

قالت لنفسها: «أنا أكرهه!»

لكنها تكره نفسها أكثر بسبب الشوق الذي أيقظه في أعماقها. هي لم تختبر أبداً من قبل أحاسيس مدمّرة مماثلة. دفعت بنفسها وهي ترتعش بعيداً عن الباب، وانطلقت بسرعة عبر الغرفة إلى حيث ترك ديابلو حقيبتها. بحثت بسرعة بين محتويات الحقيبة مرّة بعد أخرى، لكنها لم تجد أي لباس مخصص للنوم. تباً له! غاصت تحت الأغطية من دون أن تخلع رداءها.

أين هو ديابلو على أي حال؟ هل سئم منها بهذه السرعة، أم أنه ما يزال يغلي غاضباً بعد إهانتها اللاذعة له؟ ما من داع لأن يشعر بالإهانة، فقد برهن أنها ليست محصّنة ضد سحره وجاذبيته.

بقيت بريار مستلقية في مكانها لوقت طويل، فراحت تفتح عينيها لدى سماع أقل حركة، لكن جل ما سمعته هو صوت تلاطم المحيط المتناغم بحركته الدائمة، وهو يندفع إلى ما لا نهاية على الشاطىء في الأسفل. بعدئذ هدأت تدريجياً فيما زحف النعاس متغلباً عليها.

* * *



www.elromancia.com

أحسّت بريار بالدفء يغلّفها، فأبقاها رهينة للنوم، على الرغم من أن السماء المنيرة أعلمتها بوصول الصباح حتماً. لم تكن أشعة الشمس المتسللة عبر الستائر ما جعلها تفتح عينيها فجأة، بل إدراكها المفاجئ لسبب ومصدر راحتها. كان جسد ديابلو ملتفاً حول جسدها، فيما ألقى إحدى ذراعيه فوق كتفها. توترت بريار، ثم ندمت فوراً على ذلك. سوف يشعر بأقل حركة تقوم بها. تمسكت جيداً بالرداء الذي كانت ما تزال تلفّه بإحكام حولها.

تحرك ديابلو في نومه فيما انجرفت إحدى يديه نزولاً لتستقر حول خصرها. كم من الوقت سيمهلها ديابلو حينما يستيقظ قبل أن يتوقع منها تقديم نفسها له من جديد؟ شعرت بريار بجسمها يخزها وقد دبت فيه الحياة بقوة. كيف يمكن لذلك أن يحصل الآن؟

يجدر بها أن تكرهه، لكن يبدو أن ما يمليه عليها عقلها وما يتوق إليه جسدها أمران مختلفان تماماً.

تحرك ديابلو فحبست بريار أنفاسها. تحركت ذراعه حول خصرها مجدداً وشدّت عليه، وما لبث أن جذبها بقوة إليه، فيما دفع جسمه على أحد مرفقيه وقرب شفتيه من جبينها. بعدئذ زمجر مباشرة داخل أذنيها: «صباح الخير، سيدة باريتيس».

ردّت بريار بصوت خافت حذر: «صباح الخير».

راحت الدماء في عروقها تتدافع بقوة، والحرارة تدبُّ في أوصالها شيئاً فشيئاً، أما تنفسها فبات ثقيلاً وهي تتوقع ما سوف يحدث بينهما. لكن ما هي إلا لحظات حتى ابتعدت يد ديابلو عنها، فيما دفع بنفسه منطلقاً من الجهة الأخرى، فتحول عندها التوقع والانتظار إلى طعنة مرّة غير متوقعة للخيبة.

سألها وهو يخطو عبر أرض الغرفة، ثم يدفع باب الشرفة ليفتحه: «ما الذي تودين فعله اليوم؟»

تأملته بريار ملياً بعينيها وهو واقف هناك. بدا شكله كتمثال نحات بارع، بدءاً من كتفيه العريضتين، نزولاً إلى جسمه المتناسق. أجبرت بريار نفسها على إبعاد عينيها عنه. لا يجدر بها أن تحدّق به.



سأل ديابلو من فوق كتفه، وهو لا ينتظر جواباً: «هل تودين زيارة بعض المعارض المحلية، أم تفضلين أن نتمشى على الشاطئ لنصل إلى البلدة؟»

عكّر الارتباك أفكار بريار، إذ اعتبرت عرضه هذا دليلاً على عدم اهتمامه بها كزوجة. اقتراحاته لهذا اليوم أثارت استغرابها، وذلك بالنظر إلى حالة الشغف التي بدت عليه ليلة الأمس. دفعت بجسمها إلى الأعلى وهي جالسة في السرير. أتراه سئم منها بهذه السرعة؟ أتراه وجد أنها امرأة ساذجة، كثيرة الجدل؟ لاشك أنه يفضل العلاقة مع عشيقة سهلة الانقياد.

حسناً! ذلك يصب في مصلحة قضيتها. أدركت بريار ذلك بيقظة مفاجئة، إن لم تنجب الأطفال- وهذا أمر حتمي- فلن يدوم هذا الزواج الجنوني لمدة سنة، فما بالك باثنتين؟ أليس ذلك تماماً ما أرادته؟ أين هي إذاً زفرة الارتياح الحلوة التي يجدر أن ترافق تلك الفكرة؟ اللعنة! بدا الأمر مزعجاً حقاً، كما أن تجواله على هذا النحو في الغرفة أمرٌ مزعجٌ أيضاً.

- ألا تملك رداء أو شيئاً لتغطي به جسدك؟

استدار ديابلو نحوها وقد ظهرت على شفتيه ابتسامة، ثم قال: «أتزعجك رؤيتي؟»

كذبت بريار في ردها، فقالت: «بالطبع لا! أنا فقط أخشى أن تشعر بالبرد».

استدار ديابلو بشكل تام نحوها، وقال: «هل أبدو كذلك بالنسبة لك؟»

أحسّت أن فمها شديد الجفاف فجأة، قالت كما لو أنها تتكلم عبر طبقة من الرماد: «كيف لي أن أعلم؟»

رفع ديابلو أحد حاجبيه ومشى ليدنو من السرير، وقد بدت خطواته وهو ينسلّ برشاقة أشبه بخطوات قط متوحش في الأدغال يدنو من فريسته.

آه! إنه ينوي الانضمام إليها في السرير مجدداً. دفعت بنفسها إلى الخلف مستندة إلى ظهر السرير، وقد تسارع نبضها وهي تراقبه يدنو منها.

انحنى ديابلو فوقها واضعاً كلتا يديه على غطاء السرير على كلا جانبيها فثبّتها مكانها، ثم همس قائلاً: «فضلاً عن ذلك...»



www.elromancia.com

مد إحدى يديه خلف عنقها . . . ثم فجأة ومن دون أي تحذير، سقطت يده نحو قبّة ردائها، وتابع كلامه قائلاً: «. . . . أنت تلبسين ردائي».

استغرقها الأمر لحظة حتى سجّلت كلماته، إذ كانت منشغلة جداً بحضوره. تصاعدت المرارة إلى حلقها، فهو لم يكن ينوي أبداً الانضمام إليها في السرير، أما هي لغبائها فقد أفسحت له مكاناً إلى جانبها . . . تحضرت من أجل الرجل الذي يُفترض أنها تكرهه . . . بل هي تكرهه بالفعل، لاسيما الآن. فديابلو لا يوحي لها إلا بالكراهية . . . بالطبع!

ابتعدت بريار نحو الجانب الآخر البعيد من السرير، ورمت الملاءات إلى الوراء، ثم جمعت ثنايا الرداء حول جسدها، وقالت بعد ذلك: «آسفة. لن أعيد تكرار الخطأ نفسه مجدداً. لكن يبدو ببساطة أن لا أحد فكر بتوضيب ثياب للنوم أو أي رداء خاصٍ بي».

بدت النظرات في عينيه غامضة مبهمة، وقال: «ربما لأن هذا «اللاأحد» لم يظن أنك ستكونين بحاجة إليها».

- حسناً! هذا «اللاأحد» مخطئ.

راقبتها عيناه ببرودة، ثم قال: «ما من داعٍ للخجل والحذر الآن. أنت زوجتي».

- ماذا لو لم أكن فخورة بذلك؟

هزّ ديابلو كتفيه بعد لحظة تردد، ثم قال: «خُذي حماماً الآن، وسوف أقوم بترتيب أمر الفطور والقهوة. سنتناوله على الشرفة. بعدئذٍ سوف آخذك في جولة قد تساعدك على الاسترخاء».

- أتظن ذلك؟ بوجودك برفقتي، لا بد أنها ستكون رحلة جهنمية.

ارتفع صدر ديابلو فيما استنشق نفساً عميقاً، وقد التهبت فتحتا أنفه، وأخيراً قال: «سوف أراك على الشرفة».

وخطا نحو غرفة الملابس المجاورة ثم صفق الباب خلفه.

* * *

فكرت بريار بأن النزهة بدت مريحة للأعصاب . . . فقد مضت ساعات



على مغادرتهما للمنزل. بدا ديابلو مشدود الأعصاب صامتاً هذا الصباح وهو يقود السيارة بمحاذاة الشاطئ متخطياً الطريق السريع، فيما كان سقف السيارة مكشوفاً والهواء اللطيف يتلاعب بشعرهما.

تفقدا كل بلدة صغيرة مجاورة بحثاً في معارضها ومقاهيها. أخيراً وجدا مطعماً إيطالياً صغيراً يطل على منظر طبيعي خلاب من أشجار الصنوبر. استقر الزوجان في هذا المكان لتناول غداء متأخر.

بعد أن رفعت الأطباق عن الطاولة، أُحضرت لهما القهوة، وبدا كأن السلام والهدوء يسودان بينهما للمرة الأولى. اتكأ ديابلو إلى الخلف في كرسيه، فانبسطت كنزته البيضاء فوق صدره العريض. ساهم ذاك اللون المشرق المتناقض مع لون بشرته في إبراز بشرته السمراء.

راقبت بريار منظر وجهه الجانبي وهو ينظر إلى البحر، فلاحظت حاجبي عينيه الكثيفين، وشكل أنفه البارز المرسوم بخط واضح، وذقنه الذي يدل على القوة والاستبداد. إنه ليس رجلاً وسيماً عاديا. إنه حتماً ملفتٌ للأنظار. لو أنه عاش في عصر مختلف وظروف مختلفة فإنه سيكون أحد الغزاة الفاتحين، أدار ديابلو رأسه نحوها، فأسرت عيناه تخمينها وتقييمها الصريحين.

- تبدين مستغرقة في التفكير.

احتضنت بريار كوب القهوة بالحليب الدافئ بين يديها، وهي تشعر فجأة كأنه تم القبض عليها.

- لماذا أطلقوا عليك اسم ديابلو؟ ألا يعني ذلك الشيطان بالإسبانية؟

ابتسم ديابلو وانحنى إلى الأمام، ثم قال: «وأنتِ. . . ألا تظنين أنه يناسبني؟»

أعادت بريار كوب القهوة إلى صحنه، ونظرت مباشرة في عيني ديابلو، وردّت: «أنا فقط أتساءل كيف أحسنوا الاختيار تماماً.»

اتسعت ابتسامة ديابلو.

- أصبتِ، فهو ليس اسماً اعتيادياً لطفل، لكن والدتي بالكاد كانت اعتيادية. كذلك فإن حملها لم يكن اعتيادياً. جعلتها تعاني كثيراً أثناء حملها بي



www.elromancia.com

حتى إنها بدأت تناديني «الشيطان الداخلي».

هزّ ديابلو كتفيه وتابع: «... ثم التصق بي هذا اللقب».

كان ذلك أكثر ما أخبرها به ديابلو عن عائلته. سألته وقد ازداد اهتمامها: «وكيف كانت والدتك؟»

اتكأ إلى الوراء مستنداً إلى ظهر كرسيه، وهو ينظر إلى الأعلى نحو السقف، ثم قال: «كانت امرأة قوية، جميلة وشغوفة».

فكرت بريار: كما الأم، كذلك الابن!

- ووالدك؟

- أنا لم أتعرّف إلى والدي أبداً. مات قبل قدومنا إلى استراليا.

قال ديابلو ذلك بصوتٍ كئيب بارد. وبما أن عينيه كانتا مثبتتين على السقف، فمن الواضح أن تركيزه كان في مكانٍ آخر.

- لا بد أنه كان من الصعب جداً على والدتك الانتقال من إسبانيا إلى أستراليا في ظل ظروفٍ مماثلة. لماذا فعلت ذلك؟

- لم يكن بيدها خيار. كما أنها لم تكن في إسبانيا بل في تشيلي.

- لكنني ظننت أنك إسباني.

- يتحدر والداي من كاستيليا. كانا يافعين وعارض أهلهما زواجهما. لذا تركا كل شيء خلفهما، وهربا سوياً إلى مكان بعيد.

- لكن... لماذا تشيلي؟ لابد أنها لم تكن مكاناً آمناً في ذلك الوقت.

زمّ ديابلو فمه وهو يقول: «علما أنها مكان غير آمن، لكن والدي درس الطب، رأى هو ووالدتي في ذلك فرصة للعمل سوياً عوضاً عن العيش منفصلين. بعد مضي سنتين، قُتِلَ والدي في هجوم تعرض له المستشفى حيث يعملان. أما والدتي فنجت بصعوبة لتدرك لاحقاً أنها حامل. أرادت متابعة عمل والدي، لكن حملها منعها من مساعدة أي كان، ثم أصبح الوضع بالغ الخطورة فهربت».

- ألم تستطع العودة إلى منزلها في إسبانيا؟

- عائلتها أنكرتها لأنها تحدتها، لذا لم يرغب أهلها بأي علاقة معها.



- آه، يا إلهي! وكيف تأقلمت مع الأمر؟

بالكاد استطاعت بريار أن تتخيل المعاناة التي مرّت بها والدة ديابلو. لم تستطع أن تتخيل الألم والمرارة التي أحسّت بهما حين أدار أفراد عائلتها ظهورهم نحوها في ساعة عوزها.

تابع ديابلو قائلاً: «راحت تعمل لكسب عيشها. قامت بتنظيف المنازل والطهو... غسلت الملابس وكوتها... جاهدت طيلة حياتها لتتمكن من إعالتي».

- لا بد أنها كانت فخورة جداً بك.

نظر ديابلو بحدة نحو بريار، ثم رفع كوبه إلى شفتيه، فأنهى ما تبقى من قهوته. قال لها وهو يقف مستعداً للرحيل: «حان وقت متابعتنا لرحلتنا».

* * *

أدار ديابلو السيارة باتجاه المنزل بعد مرور ساعتين ونصف الساعة من زيارة ما يقارب الاثني عشر موقعاً بدت أشبه بالجنة. دفعت بريار بنفسها إلى المقعد الجلدي الوثير فجلست باسترخاء. هذا الرجل برفقتها بدا مختلفاً جداً اليوم عن ديابلو الذي اعتادت عليه، فقد بدا ساحراً جداً ورفيقاً مثالياً وهما يستكشفان متجراً تلو الآخر، لذا استمتعت برفقته فعلاً. الآن باتت تعرف الكثير عن عائلته. باتت تعرف كيف تكوّنت شخصيته... عدم معرفته لوالده، وكونه ترقى على يد والدة خسرت كل ما تملكه بما في ذلك حب حياتها وعطف أهلها فباتت تعيش كلاجئة هاربة.

أمن المستغرب بعد ذلك أن يحس ديابلو بالاندفاع لأن ينجح؟ بنى لوالدته ذاك المنزل المطلّ على البحر، ليردّ لها شيئاً مما خسرته.

لم تكن بريار قبل اليوم لتظن أن ديابلو قادر على التفكير بأي شخص آخر سوى نفسه. ألقت نظرة خاطفة نحوه، فتمعنت في شكل وجهه الجانبي. أيهما هو ديابلو الحقيقي؟ أهو رجل الأعمال العديم الرحمة الذي حطم منافسه فحط من قدره إلى أن انهار عمله؟ أم تراه ذلك الرجل الأوروبي الساحر المشرق العينين ذو الميراث الذي يجعل القلب ينفطر ألماً؟



www.elromancia.com

أدار ديابلو رأسه فأدرك تحديقها به، وقد اختبأت عيناه وراء نظارتيه السوداوين اللتين لم تخفيا حركة حاجبيه وعبوسهما. سألها قبل أن يعيد انتباهه إلى الطريق: «أتشعرين بالارهاق؟»

ردّت بريار بصدق: «قليلاً».

- لعل ليلة هادئة ستريحك.

دغدغتها كلماته وصوته كما تفعل مداعبة لطيفة، لكن الأمر الذي صدمها هو النظرة التي تلت تلك الكلمات فأذابت عظامها. أضاف ديابلو وقد بدت نظرته محملة بالمعاني: «أو على الأقل، النوم في وقت مبكر».

أشاعت كلماته جواً مليئاً بالخدر بينهما. ليلة الأمس لم تكن هادئة على الإطلاق فقد بدا الانجذاب الجسدي بينهما متفجراً. ذلك ما كان عليه الأمر هذا الصباح أيضاً، حين اعتقدت أنه يتقرب منها كما فعل من قبل، لكنها لم تحظ إلا برفضه البارد لها. أهذا ما يفعله الآن؟ يجذب انتباهها وشوقها إليه ليعود ويبتعد عنها مجدداً؟ إنه يقوض ثقتها بنفسها وبجاذبيتها كامرأة بالفعالية نفسها التي قوض بها أعمال آل دافنبورت ومصالحهم.

لا تستطيع أن تسمح بأن يحصل لها ذلك مجدداً، كما لا يجدر بها أن تسمح لنفسها بالانجراف معه. فهذا هو الرجل نفسه الذي دمّر ببرودة أعصاب أعمال والدها، بل كاد يدمر حياتهم جميعاً. كيف عساها تقدر على نسيان ما فعله، لأنه بساطة عرف كيف يجعلها تشعر بأنها امرأة؟

لا! يجدر بها أن تبقي ما فعله بعائلتها في واجهة تفكيرها، وعليها أن تحرص على التحكم بكل ردّات فعل جسدها. إن ديابلو بارينتيس لن يمتلكها... لن تسمح له بذلك.

جذب ديابلو نفساً عميقاً وتفقّد جهة الطريق الأخرى، قبل أن يضغط على دواسة الوقود مطلقاً زئيراً من القوة والسرعة، متخطياً دفقاً من السيارات أمامهما، تاركاً إياها تضيع في أثره.

استطاع أن يستنتج أن بريار تتوق إليه. فلقد عمل طيلة النهار على كسر الحواجز بينهما، مقرباً إياها منه، ويبدو أنه نجح في ذلك. حتى إنه فاجأ نفسه



حين أخبرها عن عائلته تفاصيل تفوق ما أخبره يوماً لأي كان. أما هي فأصغت إليه كما لو أنها تهتم حقاً... مع ذلك عادت الأبواب الذهبية وانغلقت في عينيها مبعدة إياه عنها من جديد.

يا إلهي! كم كان يشعر بالشوق إليها، لكنه كان غاضباً جداً منها لأنها لم تخبره أنها عذراء، وغاضب من نفسه لأنه لم يعطها أية أفضلية بسبب ذلك. كما أنه لم يرغب بإقامة علاقة معها وهي غاضبة. لا... ولن يفعل. إنه يريد أن تكون علاقتهما طبيعية وتلقائية من جانبيهما معاً.

فضلاً عن ذلك فهي سوف تشتاق إليه حين يتسنى الوقت لها كي تتعرف عليه أكثر. لن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى تغير رأيها. أما حين تستعيد رشدها، فسوف يتقرب منها بليونة وهدوء حتى تتعلق به. سوف يضطر إلى الانتظار لفترة أطول بعد، لكن بريار تستحق الانتظار بلا شك.

بدت السماء مدرّجة بلون المغيب الأحمر الذهبي، وذلك بعد مرور عشرين دقيقة، حينما أوقف ديابلو السيارة بالقرب من المنزل. خرجت بريار من السيارة وصعدت بضع درجات نحو شرفة المدخل، قبل أن تتسنى لديابلو الفرصة لأن يستدير حول السيارة فيفتح الباب لها.

- بريار!

خلعت بريار نظارتيها الشمسيتين فيما استدارت حول نفسها، وقد ضيق التوتر عينيها وبدا فمها مشدوداً عندما نظرت نزولاً نحوه، فقالت: «رأسي يؤلمني. أظن أنني سأستلقي لبعض الوقت، إذا كنت لا تمانع».

ألمٌ في الرأس؟! إنه أقدم عذر في التاريخ، فهل سيصدقها؟

صعد ديابلو الدرج ببطء وعزم، وهو يقول: «جاء ذلك الألم فجأة».

تتبعت بريار بعينيها صعوده على الدرج، إلى أن أصبحت تنظر إليه مباشرة: «أنا متعبة. فقد كان اليومان السابقان طويلين ومرهقين».

- وماذا عن العشاء؟

هزّت بريار رأسها وردّت: «لا أريد أي شيء».

قال ديابلو بفظاظة، وهو يمد يده من أمامها ليطال مقبض الباب: «كما



www.elromancia.com

تشائين. في تلك الحالة سوف أبقى في مكتبي. لدي الكثير من العمل لأنجزه».

- بالطبع! لابد أن الاستيلاء على الشركات يأخذ بعض الوقت والتخطيط.

انزعج ديابلو بسبب الحدّة التي ظهرت في صوتها، فاستقام في وقفته • وهو يقول: «يبدو أن ألم رأسك لا يمنعك من طعني بأشواكك».

ضحكت بريار بصوتٍ مرير، وقالت: «أنت لا تحاول حتى نكران الأمر».

- لا تضربي على هذا الوتر، بريار. أنا رجل أعمال، ومن دون عملي ما كان ليتوفر لوالدك رأس المال الكافي للحفاظ على نفسه وعلى عائلته الثمينة في المنزل. لولا ذلك العمل لوصلتم إلى الحضيض بأسرع من لمح البصر.

- أنت من وضعنا في هذا الموقع أصلاً. دمرت عمله، وسرقت زبائنه، وضربت الأسعار، وبعت بأسعار منافسة حتى باتت الأمور صعبة لا تحتمل، فدفعتنا إلى الخسارة والإفلاس!

- هل يقع الذنب في ذلك علي أنا؟ ما الذي منع والدك إذاً من الدفاع عن نفسه، وأنا القادم الجديد على الساحة في حين أنه ورث عملاً عمره أربعة أجيال؟ ألا تظنين أن ذلك غير منطقي، بالنظر إلى أصله وسلالته؟

- أنت تعلم لماذا... الجميع يعلم لماذا.

أحنى ديابلو رأسه، وتقدم خطوة إلى الأمام. بدا أكثر من راضٍ حين تراجعت بريار فاصطدمت بقوة بالحائط ويسطت كفيها على صدره. قال: «ربما يجدر بك أن تتيريني».

شعّت عينا بريار بنار ذهبية تحت أشعة شمس الغروب، ولوت شفتيها تجهماً وسخطاً، فكاد ديابلو يسمع ذهنها وهو يدبّر المكائد.

- حسناً! إذا كنت يائساً إلى هذا الحد لمعرفة ما يظنه الجميع بك، أقول لك إنك فقط وصلت إلى حيث أنت لأنك عديم الرحمة وقاسٍ ولا تتردد في سحق الآخرين تحت قدميك.

راح صدر بريار يرتفع ويهبط لاهثاً وقد أصبح لون وجهها داكناً. فكر أنها تبدو جميلة عندما تكون غاضبة وعيناها مليئتان بالتحدي. من الواضح أنها



تتوقع نوعاً من الرد الحامي. ابتسم ديابلو ببطء، فهو لا ينوي إعطاءها أي رد. وضع إحدى يديه على الحائط بجانب رأسها، وانحنى ليدنو منها. راقب عينيها تتسعان وهو يمرر أنامل يده الأخرى نزولاً على جانب وجهها.

- هل تصدقينني لو حاولت الدفاع عن نفسي؟

- لا مجال لذلك!

هزّ ديابلو كتفيه، ثم أمسك ذقنها بين إبهامه وسبّابته، فرفع وجهها إلى الأعلى لتواجهه، ثم قال: «إذاً، لِمَ عساي أزعج نفسي؟ اتخذت قرارك في ما يتعلق بي، فأنت تعتبرينني قاسياً وعديم الرحمة. ليكن ما تقولين. أنا أكره تخييب ظنك يا وردتي البرية الشائكة».

هزت بريار ذقنها محاولة الإفلات من قبضته من دون أن تنجح، ثم قالت: «أنا لست وردتك البرية! أنا لست أي شيء يخصك... لست ملكك!»

جذب ديابلو ذقنها نحو الأعلى، ثم قال: «أنت زوجتي!»

- فقط لأن ذلك مكتوب على قطعة سخيفة من الورق.

- كلا! بل لأنك امرأتي.

قاطع عناقه اعتراضها، وقد سهلت بريار الأمر عليه من دون أن تتعمد ذلك على الإطلاق.

يا إلهي! إنه مشتاق لعناقها، وقد انتظر طيلة النهار. بدا له ذلك أشبه بالأبدية. إن الإحساس بها بين ذراعيه يشبه الدخول إلى الجنة، لكن ذلك ليس كافياً بالنسبة إليه. دفع ديابلو يديه أكثر، فجذبها نحوه. ارتجفت بريار ما إن شدها إليه بقوة، إلا أنها تجاوبت تماماً مع عناقه. مع ذلك لم يبدُ الأمر كافياً بالنسبة إليه. إنه يتوق إليها بشدة وقوة.

لكن، اللعنة! ليس بهذه الطريقة.. لا يكفيه الحصول عليها... ليس هذه المرة... إنها تفكر به كما لو أنه حيوان متوحش. آن الأوان لكي يبرهن لها بأن العلاقة بينهما أكثر من مجرد نزوة حيوانية حسية غاضبة، جذب ديابلو رأسه إلى الوراء مودعاً ذاك الشعور الرائع، فيما استنشق عبير الهواء الممتلئ بالشغف المثير للدوار.



www.elromancia.com

أحسّت بريار أنها تغرق، فراحت تصارع لأجل الحصول على الأوكسيجين. أحست بالخجل حين ابتعد ديابلو فجأة، ومن دون تحذير. لأنها لم تكن هي التي انسحبت من هذا العناق.

أجبرت نفسها على قول الكلمات من خلال تنفسها المتقطع، فقالت: «إذاً ما الذي سيحدث الآن؟».

- لا تنكري أنني أنا من أنهى هذا العناق.

أحست بريار بالاحراج والخيبة يسريان من خلال جسدها، يرافقهما شعورها بالإهانة.

إنها حتماً ليست قادرة على منعه. صحيح أنها لم تكن ترغب بذلك العناق، لكن ذلك لم يمنع جسدها من احتضان كل خطوة قام بها. ولو لم يتوقف ديابلو، فهي ليست واثقة تماماً بأنها كانت لتقدر على التوقف.

أخذ صدر ديابلو يرتفع متنهداً، وقد امتلأت عيناه بسيطرة على الذات اكتشفها حديثاً. لذا اندفع بعيداً عنها... مدركاً تماماً لإحباطها المتزايد.

اللعنة عليه! ألم تدرك أنه ينوي فعل هذا بالضبط؟ ما جرى هذا الصباح تكرر الآن من جديد. تظاهرت بأنها ترتب ملابسها، فقالت: «شكراً للسماء! يبدو أنك استعدت رشدك. لا يمكنني أن أقول إنني سعيدة بأي من الخيارين».

- أحقاً؟ إذاً لعله يجدر بك إخباري أي خيارٍ يسعدك.

- ما الذي تقصده؟

- سأترك لك الخيار لتقرري متى نقيم علاقة حميمة. سوف تكونين أنت التي تقرر متى سيحدث ذلك.

ترددت بريار، وبدت غير مصدقة لما تسمعه أذناها. سألته: «أتقول إنك لن تقيم علاقة حميمة معي إلى أن أمنحك أنا الإذن بأن تفعل ذلك؟»

- بالضبط... إلى أن تقرري أنت ذلك.

رمت بريار برأسها إلى الوراء وضحكت. لعلها لم تكن بحاجة إلى تناول حبوب منع الحمل تلك، في نهاية الأمر. صحيح أنها قد تضعف حينما يتعلق الأمر بمقاومة مبادراته، لكنها لن تكون أبداً هي البادئة في التودد إليه. إن بقي



صادقاً وفياً لوعده فتركها وشأنها سوف تنجو بسهولة. أخيراً قالت: «إذاً، آمل أن تكون رجلاً صبوراً ديابلو، لأنك ستضطر إلى الانتظار طويلاً».

ضاقت عينا ديابلو، وارتعشت إحدى العضلات في وجهه. فكرت بريار بأن ذلك ما يستحقه..

أرخى ديابلو فكّه لكي ينطق بكلمتين صارمتين فقط: «سوف نرى!»

- لا تغترّ بنفسك! هل تظن أن من الصعب مقاومتك لدرجة أن ينتهي بي الأمر إلى التوسل إليك؟

لم يتفوه ديابلو بأية كلمة لبعض الوقت، بل ببساطة تابع تأملها بوقار، وأخيراً، استدار مبتعداً دافعاً الأبواب الخشبية الثقيلة ليفتحها، وقال: «يمكنني الانتظار».

www.elromancia.com

## ٦ - مطر ورمل وعناق

- متى سنعود إلى سيدني؟

كانت بريار مدركة بقوة لتحرك ديابلو الذي يجلس باسترخاء على الأريكة إلى جانبها. تألقت أمام أقدامهما مياه البركة الداخلية الزرقاء، أما فوق رأسيهما فامتد السقف الزجاجي الذي أدخل أشعة الشمس الساطعة، فتحوّل النهار الخريفي الرمادي في الخارج إلى صيف مشرق دافئ في الداخل. نهض ديابلو، واستند على أحد مرفقيه قائلاً: «لا تقولي لي إنك لا تستمتعين بشهر عسلنا؟»

- لا!

ردّت بريار وهي تضع علامة داخل الرواية التي كانت قد اشترتها خلال رحلتهما الأخيرة. لم يكن من عادتها أن تضع جانباً أي كتاب من تأليف الكاتب المفضّل لديها. أما اليوم فيبدو أن الأمور لا تجري على ما يرام، فالكتاب لا يجذب انتباهها، والكرسي الطويل يبدو غير مريح. أما رباط ثوب السباحة ذي القطعتين الذي تلبسه فتنهش كتفيها وتضايقها. في حين أن الهواء المكيف داخل الغرفة الهائلة الاتساع يبدو لها ثقيلاً ومسبباً للدوار. تابعت كلامها قائلة: «إنه . . . مريحٌ جداً. لكن كم سيطول بقاؤنا».

نظرت إلى ديابلو في انتظار الجواب، لكنها تمنّت على الفور لو أنها لم تفعل، فذلك هو جزء من مشكلتها.

ارتدى ديابلو سروالاً أسود اللون. رؤيته في هذا الوضع المسترخي جعل الدماء في عروقها تدب ببطء شديد. لم يكن دمها وحده المتباطئ بل كل ما حولها، حتى الوقت بحد ذاته بدا كأنه بات غليظاً بطيئاً.



- أتشعرين بالملل؟

جذبت كلمات ديابلو تحديق بريار نحو وجهه، وقد بدت عيناه السوداوان متأملتين مثيرتين، فيما دسّ شعره الأسود بإهمال خلف أذنيه. أتراه حقاً لا يعلم؟ لا أحد يمكنه أن يشعر بالملل من النظر إليه.

حرّكت بريار لسانها الملتصق بسقف حلقها من مكانه. سبحت اليوم لفترة طويلة لكن يبدو أن ذلك لم يكن كافياً. قالت: «أظن أنني أحتاج إلى القيام بشيء يتطلب مجهوداً أكثر من القراءة».

التوى فم ديابلو في ابتسامة ذات مغزى، وقال: «يمكن تدبر ذلك».

- عنيت . . .

طمأنها وهو ينهض عن الكرسي الطويل برشاقة وليونة: «أعرف ما عنيته. من المتوقع هطول الأمطار في وقت لاحق من هذا اليوم. لِمَ لا نذهب للمشي على الشاطئ الآن ما دام يمكننا ذلك؟»

فكرت بريار أن ديابلو ليس مضطراً لأن يكون لطيفاً إلى هذا الحد، فيما هزّت كتفيها لتلبس كنزة صوف مع سروال رياضي فوق ثوب السباحة ذي القطعتين. إنه ليس مضطراً لأن يبدو مسترخياً وهادئاً وغير مبال بصدّها. مضت ثلاثة أيام مذ قال لها إنه لن يقيم معها علاقة حميمة إلا وفقاً لرغبتها، وكانت تلك ثلاث ليال طويلة جداً.

كان ديابلو يقصد السرير في وقت متأخر جداً، بعد أن تكون قد استغرقت في النوم. علمت ذلك لأنها بدورها استلقت هناك مستيقظة تحاول القراءة إلى ما بعد منتصف الليل في كل ليلة، وهي ترتدي قميصاً قطنية فضفاضة جداً وجدتها في خزانة الممشى. التزم ديابلو بكلامه فتركها وشأنها. لم يحاول الاخلال بوعده مطلقاً، فلم يقم بأية خطوة مطلقاً للتقرب منها.

آه! رأته ينظر إليها في الكثير من المرات، فكانت عيناه النهمتان الجائعتان تطلقان العنان لتلك الفراشات المرفرفة في أعماقها، كما أحسّت أكثر من مرّة بعينيه السوداوين تأسران عينيها فيما هي بدورها تتجسس عليه.

حسناً! ماذا لو قبض عليها وهي تراقبه؟ من جهة أخرى، كيف لها أن تعلم



www.elromancia.com

كيف يحكم ديابلو السيطرة على نفسه لو لم تقم بالنظر إليه؟ توقعت أن ينهار تحت وطأة الضغط أكثر منها، بالرغم من أنه حتى الآن كان يجعل أمر مقاومته لها يبدو سهلاً جداً بالنسبة إليه. ديابلو أصدر تحدياً لها، وهي حتى الآن تمكنت من الصمود لمدة ثلاثة أيام. ما يعني أنها ربحت المعركة حتى هذا الوقت. لماذا إذاً يبدو شعور الفوز مشابهاً للجحيم؟

مرت خمس عشرة دقيقة ولم يظهر أي أثر لديابلو، وفيما هي تبحث عنه صادفت مدبرة المنزل تنظف الغبار في غرفة الجلوس.

- لوسيا، هل رأيت ديابلو في أي مكان؟ يفترض بنا أن نذهب في نزهة.

رفعت المرأة نظرها، وأضاءت ابتسامة عريضة ملامح وجهها، ثم أجابت: «آه! نعم. ورده اتصال هاتفي، فتلقاه السيد بارينتيس من غرفة المكتب».

- أوه! ربما... سأنتظر هنا إذاً.

التقطت بريار مجلة من كومة الإصدارات الحديثة الموضوعة على طاولة القهوة، وهي تستعد للجلوس على إحدى الأرائك إلى حين خروج ديابلو.

- لا، لا، لا! السيد بارينتيس يعمل بجهدٍ كبير. خذيه في نزهة، فذلك سوف يفيده.

لا بد أن ترددها في مقاطعته ظهر على وجهها، لذا ألحت عليها لوسيا بالقول: «أنت زوجته! أنت تحتلين المرتبة الأولى وليس عمله. اذهبي إليه... إن نظرة واحدة إليك سوف تذكره بواجبه».

أطلقت بريار ابتسامة امتنان تجاه المرأة الأكبر سناً، فيما أعادت المجلة إلى مكانها على الطاولة.

لا بد أن لوسيا تعلم أن هذا الزواج ليس اعتيادياً، ورغم ذلك جعلتها تشعر أنها موضع ترحيب، كما لو أن علاقتها مع ديابلو هي علاقة حب.

أعلنت بريار عن وجودها بنقرة خفيفة متوترة على باب غرفة المكتب. كان ديابلو مستنداً إلى الوراء على كرسي مكتبه، فيما وضع قدميه على المكتب، وهو يتحدث بسرعة حامية عبر الهاتف. رفع نظره إلى الأعلى لدى سماعه الصوت،



فأومأ لها بالدخول مشيراً إلى ساعة يده. أطلقت بريار نفسها الذي كانت تحبسه. لوسيا محقة، ما من داعٍ لأن تربض في انتظاره خارج مكتبه في حين أنه يحق لها أن تكون هنا.

تابع ديابلو اتصاله الهاتفي، فراح يتحدث مستخدماً الكثير من الكلام والشرح بأسلوب غير رسمي، وبنبرة جعلتها تشعر بالسرور لأنها لم تكن هي على الطرف الآخر من الخط. حاولت جهدها ألا تستمع إليه، وعوضاً عن ذلك وجهت انتباهها نحو الصور المعلقة على جدران المكتب الواسع.

احتلت لوحة كبيرة مكاناً واسعاً من الحائط المواجه لمكتب ديابلو. إنها صورة امرأة ذات شعرٍ أسود. صُدِمت بريار لدى رؤية التشابه بينهما. لا بد أنها والدته كاميلا، فهي تتمتع بالعينين السوداوين نفسيهما، والملامح الاستبدادية نفسها، كما تشع من أعماق عينيها قوة الشخصية ذاتها.

جذبت بريار عينيها بعيداً عن صورة المرأة إلى صف من الرفوف الصغيرة المخصصة لحفظ الملفّات، حيث تم ترتيب ما لا يقل عن دزينة من الصور بالأبيض والأسود. اعتبرتها بريار عند النظرة الأولى صوراً فوتوغرافية قديمة تعود إلى طفولة ديابلو وإلى أيام المدرسة، لكن ما إن اقتربت منها أكثر حتى أدركت أن ذلك غير صحيح. بدا الأطفال المبتسمون واقفين في صفوف مرتبة، فيما ارتدوا جميعهم السراويل القصيرة والقمصان نفسها، ووقف المعلمون من كلا الجانبين. لكن جميع الذين ظهروا في الصور هم من العرق الإسباني أو من هنود جنوبي أميركا كما يبدو. أما البناء خلفهم فلم يبدُ مشابهاً لأي بناء مدرسي رأته في استراليا، كما أن الاسم لم يكن مشابهاً لأي اسم رأته أيضاً، «لا إسكويللا دي بارينتيس».

رمشت بريار بعينيها واستدارت نحو ديابلو فوجدت أنه يراقبها، وأعلمتها كلماته القصيرة الموجزة أنه أنهى مكالمته الهاتفية. أعاد السماعة إلى مكانها بعد أن قال باختصار: «احرص على ذلك».

قال وهو يستدير حول المكتب متوجهاً نحوها: «أنا آسف على جعلك تنتظرين لوقت طويل».



www.elromancia.com

ردّت وهي ترفض أن يقودها خارج الغرفة: «لا بأس! أخبرني... من هم هؤلاء الأطفال؟»

هزّ ديابلو كتفيه كأنما الأمر ليس على قدر من الأهمية، ثم قال: «إنها مدرسة في تشيلي، حيث يستقبلون أطفالاً من المناطق المجاورة، فيوفرون لهم التعليم والحاجات الأساسية».

- لكن اسمك مدوّن عليها: «لا إسكويللا دي بارينتيس» ألا يعني ذلك مدرسة بارينتيس؟

- لغتك الإسبانية ممتازة.

- أأنت تمتلك المدرسة؟

هزّ ديابلو رأسه وقال: «أنا فقط راع لها».

هل يمازحها؟ لابد أن هنالك ما لا يقل عن المئتي طفل أمام ذاك البناء. سألته بريار بإلحاح: «أأنت فقط ترعى المدرسة، ومع ذلك فهم يسمّون المدرسة تيمناً بك؟ يا لها من كفالة ورعاية! كيف وصل بك الأمر لتتورط بذلك؟»

- والدتي تدبرت أمر الخروج من تشيلي والبدء بحياة جديدة، لكن من تبقّى هناك لم يكن لديه مفر. الأمور تتغير الآن، لكن ما زالت هناك جيوب من الفقر المدقع. لو لم تهرب والدتي حينها، كان من السهل جداً أن أكون واحداً من أولئك الأولاد...

قالت بريار: «أنت رغبت بإعطاء أولئك الأطفال فرصة في الحياة تماماً كما مُنحت لك الفرصة».

لف ديابلو أحد ذراعيه حول كتفي بريار فيما وقفا هناك ينظران إلى الوجوه الباسمة في الصور الفوتوغرافية. قال بعد لحظات: «الأطفال يمثّلون المستقبل لذا فهم مهمّون، إنهم أكثر أهمية من أي شيء آخر في العالم. ألا توافقيني الرأي؟ لماذا تظنين أنني مهتم بشدة بإنشاء عائلة خاصة بي؟»

جفّ فم بريار. ديابلو يهتم لأمر الأطفال لأنه مهتم بالمستقبل!

- لكنك أخبرتني أنك ترغب بالحصول على الأطفال لكي تحرص على عدم رميك خارج مجتمع سيدني الراقي إذا ما فشل زواجنا.



- وهل كنتِ لتصدقيني لو أخبرتك أي شيء مختلف؟ لا أظن ذلك.

رفعت بريار نظرها نحوه وقد صدمتها المفاجأة، فجعلتها تقف مبهوتة. يا للسخرية! ظنت طيلة هذه المدّة أنها أصابت في تشخيصها. اعتبرته رجلاً متوحشاً يعيش من الاستيلاء على ثروات الآخرين بلا قلب ولا رحمة. لكن يبدو أنه فعلاً مهتم بالآخرين، وهذه الصور تبرهن ذلك. ما الذي عساها تكون مخطئة بشأنه أيضاً؟

أبعدت أفكارها المترددة، فيما عادت تحدق إلى الصور الفوتوغرافية. لكنها لم تكن قادرة على التخلّص من غيمة الاحساس بالذنب التي تسللت إليها ولفتها. ديابلو يرغب بإنشاء عائلة، وهي تقوم بتناول الحبوب المانعة للحمل لتحرص على حرمانه من تلك الفرصة بالذات.

اللعنة عليه! إنها لا تريد أن تشعر بالذنب! لا يجدر بها ذلك. لم يقم أحد باستشارتها بخصوص شروط هذا الزواج. إنه لم يشاركها أبداً حبه للأولاد ولا أحلامه بخصوص المستقبل معها. افترض أنها سوف تتجاوب مع مخططاته، وتقوم بانتاج ذريّته عند الطلب، وهي غير قادرة على فعل ذلك.

أمسك ديابلو بيدها قائلاً: «تعالي، علينا أن نذهب قبل أن تسوء حال الطقس أكثر».

بدأ الهواء يتحرك في الخارج، فراح يتلاعب مداعباً أطراف شعرهما مرة، ومرة أخرى يهب نافخاً مهدداً بأن يوقعهما أيضاً. قادها ديابلو نزولاً عبر التلة إلى الشاطئ تحت السماء الرمادية المعكّرة. بدا الهواء مثقلاً يتوعد بهطول الأمطار، فيما تناثر رذاذ الأمواج المتكسرة في الهواء. أما الجو فبدا موحشاً، متوتراً ومنعشاً في الوقت نفسه.

قطعت بريار المسافة الأخيرة من الدرب وهي تقفز نحو الشاطئ. وقفت هناك وأحسّت بالهواء ينعش روحها. فكرة قدومهما إلى الشاطئ رائعة حقاً. أولى حسناتها أنها جعلت ديابلو يضع بعض الملابس على جسده، لكن ذلك لا يعني أنه لم يعد يبدو جذاباً وهو يلبس سروالاً قصيراً مع كنزة سوداء ملائمة. إنما ساهم ذلك على الأقل في تهدئة توترها لبعض الوقت.



www.elromancia.com

استدار ديابلو بحثاً عنها. سألها: «أتشعرين بالبرد؟»

هزّت رأسها نفياً، بدت غير قادرة على كبح الضحك البادي في صوتها وهي تقول: «كلا. بل أحبه».

استرخت ملامح وجهه، فبادلها الابتسام وقال: «هيا بنا إذاً».

مشيا وهما بالكاد يتكلمان لمسافة بدت لها أميالاً. فتتبعا خط الشاطئ الوعر نحو الخليج الصغير في البلدة حيث استقرت السفن الصغيرة. في مكان ما على دربهما قدم ديابلو يده لها وهي تتسلّق نتوءاً صخرياً، فبقيت يدها ممسكة بيده، واستقرت بدفء هناك.

فكرت بريار كم يبدو ذلك مستغرباً؛ ها هي تتمشى برفقة ديابلو، وقد انتظرها بصبر وهي تستكشف كل صَدَفة جديدة... إنه الرجل نفسه الذي تكرهه أكثر من أي شيء آخر في الدنيا. استرقت نظرة إلى الأعلى باتجاهه. أتراها تكرهه حقاً؟ خلال الأيام الثلاثة الماضية، تصرف ديابلو كمضيف مثالي. بدا مؤدباً يهتم لمشاعرها ويراعي ما تريده. قرأا القصص سوياً، وتناقشا في الأحداث الطارئة، حتى إنهما شاهدا فيلماً سينمائياً في البلدة المجاورة. أما الآن فهما يسيران ممسكين بيدي بعضهما. مؤخراً لم تعد تشعر تجاهه بالكراهية مطلقاً... بل إن شعورها هو أشبه بـ... الافتتان. في الواقع كل ما يخص ديابلو يبدو ساحراً، بدءاً من أسلوب تحركه بانسلال ورشاقة، مروراً بتوهج عينيه عندما تلتفتان نحوها، وصولاً إلى البقع الحارقة التي تحدثها نظراته تحت جلدها.

كذلك فإنه أول رجل في حياتها على الإطلاق. لذا... لمَ لا تكون مفتونة ومسحورة به؟ بغض النظر عما ستؤول إليه حياتها معه، فديابلو أوضح لها تماماً بأنه ينوي الحصول على حقوقه الزوجية لاحقاً. كم تراه سينتظر بعد؟

ارتعشت بريار لهذه الفكرة. أخذت عضلاتها بالانقباض لدى تذكرها ليلة زفافهما. تذكرت كيف غدت غير قادرة على السيطرة على نفسها. ذلك جنون حقاً! فمنذ سنة... منذ شهر... بل منذ أسبوع فقط، لم تكن مدركة لوجود هذه الأحاسيس لديها. أما الآن فيبدو أن هذه الأحاسيس مصممة على جعل



وجودها قوياً. لمَ لا تقدر فقط أن تنسى الأمر؟ من المفترض أن تقاومه بسهولة، وأن تنفذ وعدها بإبقائه منتظراً لوقت طويل جداً. لماذا إذاً تمضي كل لحظة من يقظتها وهي تفكر به...

- بريار؟!

جذبها ديابلو من أفكارها بالضغط على يدها قليلاً، وسألها: «هل أنت على ما يرام؟»

رمشت بريار بعينيها وعادت إلى رشدها، فامتلأ نظرها بعيني ديابلو السوداوين اللتين قد يغرق فيهما المرء إلى غير رجعة. ارتعشت مجدداً، فلفّت ذراعيها حول صدرها، ونظرت إلى ما حولها متمعنة في مايحيط بها، ثم قالت معترفة: «آسفة، أنا فقط مستغرقة بالتفكير».

وصلا إلى خليج يشبه حدوة الحصان، وهو يحدّ البلدة بشاطئ رملي. كان المكان هنا محمياً من الرياح نوعاً ما، أما الأمواج فما تزال تتصاعد برغوتها البيضاء نحو الشاطئ، وقد انتشر عدد قليل من الناس في أنحاء متفرقة في أرجاء الشاطئ.

- هنالك مقهى قريب من هنا، إذا كنت ترغبين بتناول القهوة.

الهدوء النسبي في هذا الخليج الصغير بدا أمراً مختلفاً تماماً، خصوصاً الآن وقد تمكنت الشمس من التسلل من خلف الغيوم. لن يدوم الأمر طويلاً، فالغيوم السوداء بدأت تتكاثف مهددة متوعدة بالأمطار. اقترحت بريار: «أودّ أن أجلس لمراقبة البحر لبرهة إذا كنت لا تمانع ما دامت الشمس طالعة. يمكن للقهوة أن تنتظر».

نظر ديابلو نحو البحر إلى الأفق البعيد، وقد وضع يديه في جيبي سرواله، فيما شدّ العبوس حاجبيه. فكرت لوهلة أنه سيلح عليها لمتابعة الطريق نحو المقهى، لكن بدا أنه عاد وهزّ كتفيه، ثم لان ورضخ لمطلبها.

جلس خلفها على مرتفع صغير يطلّ على الشاطئ الضيق، فاتكأ إلى الوراء، أما بريار فجلست واضعة ذقنها على يديها، فيما اسندت مرفقيها على ركبتيها، ووضعت مجموعة الأصداف التي جمعتها بين قدميها. نظرت إلى البعيد نزولاً



www.elromancia.com

نحو خط الساحل باتجاه الشاطئ الممتد الذي اجتازاه للتو.

- الشاطئ هنا رائع جداً، فهو محميٌّ وهادئ.

- إن هدوءه مخادع. فهنالك تصدُّع قوي هنا، خصوصاً خلال هذا الوقت من السنة.

أكدت كلمات دياپلو ما رأته بريار من لافتات تحذّر من خداع هذه المياه. شعرت أن إيقاع الأمواج المقبلة نحوها مهدئ ومريح، فقالت: «لا يمكن للمرء أن يرى ذلك. فالمكان أكثر هدوءاً مقارنة بتلك النقطة هناك، حتى ليصعب أن تصدق بأنه النهار نفسه في كلا المكانين».

- اعتادت والدتي أن تسير نزولاً إلى هنا فتجلس وتقرأ لساعات. كانت تقول إنه أشبه بكونك في عين العاصفة.

أرجحت بريار رأسها فأدارته نحو دياپلو. إنه يتحدث عن والدته، وهذه المرة لم تدعه هي إلى ذلك. قالت: «لا بد أنها أحبّت العيش هنا، فالمكان رائعٌ جداً. لكن... من الموحش أن تكون خلال العاصفة هناك... في الأعلى حيث يقبع المنزل».

ثبّت دياپلو عينيه على عيني بريار في تحديقة عميقة جداً، وحين تكلم بدا كأن صوته قادم من الأعماق: «لطالما أحبّت والدتي الطقس العاصف. كانت تقول إنها تستطيع سماع صوت والدي وهو يكلّمها عبر الرياح. جعلها ذلك تشعر بأنها قريبة منه».

ارتعشت بريار بالرغم من الدفء الرقيق المنبعث من أشعة الشمس، إذ كادت تشعر بألم كاميلا يطالها ويلامسها.

- تلك الصورة في غرفة المكتبة هي لوالدتك، أليس كذلك؟

ضاقت عينا دياپلو وكأنما يتساءل كيف علمت. ابتسمت بريار قائلة: «الشبه بينكما لا يمكن تفويته. كانت امرأة جميلة».

ترددت للحظة قبل أن تتابع حديثها. فلمجرد أن دياپلو أقر بأن له والدة لا يعني أنه مستعدٌ لإطلاعها على كل شيء. مع ذلك سألته: «ما الذي جرى لها؟»

استقام في جلسته فجأة، وأطلق نفساً قصيراً، ثم قال: «إنه حادث



أخرق... شيء ما كان يجب أن يحصل مطلقاً».

أوضح الصمت الثقيل الذي تلا كلماته، أنه ليس على وشك أن يخبرها بالتفاصيل.

قالت بريار ببساطة: «أنا آسفة. أخي توفي في حادث سير أيضاً منذ سنتين. فقدت إحدى الشاحنات السيطرة، فقطعت الطريق السريع وجرفت السيارات القادمة من الاتجاه المعاكس. كان الوقت قرابة منتصف الليل حين جاءت الشرطة لابلاغنا بالخبر».

ارتعشت بريار وتابعت: «كان في السادسة والعشرين من عمره فقط...»

أحسّت بيدٍ تحيط بيدها، فيما قال دياپلو: «أما زلت تفتقدينه؟»

أومأت بريار إيجاباً: «كان الأمر صعباً جداً على والديّ»

لابد أن خسارة دياپلو لوالدته كانت فاجعة مؤلمة بالقدر نفسه. فوالدته هي آخر فرد من عائلته.

- لا بد أن والدتك افتقدت لوالدك بشكل رهيب. ألم تتزوج من جديد؟

هزّ دياپلو رأسه وهو ينظر إلى الأفق، فقال: «والدي كان بطلاً. لم يدنُ أي شخص آخر من مرتبته. ولا يمكن لأحد أن يفعل».

- لابد أنهما أحبا بعضهما كثيراً ليجازفا بكل شيء في سبيل أن يكونا سوياً.

أرجح دياپلو جسده فأداره لمواجهة بريار، وفاجأها بحدّة المرارة التي ظهرت في عينيه حين قال: «لكن... ما الهدف من الحب بهذا الشكل؟ ما النفع الذي جلبه لهما ذلك؟»

التقط حصاة تقبع نصف مطمورة في الرمال، ثم قذفها برمية من يده. راقبت بريار الحصاة وهي تتدحرج على الرمال مسببة الإجفال لطيور النورس، أما كلمات دياپلو فصدمتها وأعادت إلى ذاكرتها الحديث الذي دار بينهما خلال أول ليلة لهما سوياً.

- يمكنني أن أرى السبب الذي جعلك لا تهوى القصص الخرافية.

- ما الذي تتحدثين عنه؟



www.elromancia.com

بدا متزعجاً، كما لو أنه يتمنى لو أنه لم يوافق أصلاً على التحدث.

– أخبرتني أنك لا تؤمن بالنهايات السعيدة. من الواضح أن «السعادة إلى الأبد» قد فاتت والديك، لذا أنت تفضل أن تعتقد بأن ذلك غير ممكن أبداً.

– اسديني خدمة، ولا تحاولي أن تحللي نفسيتي.

– من يحتاج إلى تحليل نفسيتك في حين أن ذلك واضح على جبينك؟ أنت تشعر بالمرارة على ما فوّته والداك، لأن سعادتهما انتهت قبل الأوان.

– وماذا لو كنت أشعر كذلك؟

– يجدر بك أن تعلم أن هنالك الكثير من الأزواج الذين يعيشون بسعادة، ويكبرون في السن سوياً. والداي، مضى على زواجهما ثلاثون سنة، ومايزالان سعيدين معاً.

– جل ما أعرفه هو أن والدتي لم تحظ بنهاية سعيدة شبيهة بنهايات القصص الخرافية. وإذا كانت هي لم تستحق ذلك، فأنا لا أعرف أي شخصٍ آخر يستحقها.

ماذا عساها تقول رداً على ذلك؟ على الأقل أخذت الأمور تبدو منطقية بالنسبة إليها؛ موقفه المتعالي، وعدم استشارتها بخصوص الزواج وشهر العسل، وكل ما يتعلق بذلك. لم يرغب ديابلو في أن تتدخل أو أن تحاول التدخل. بدت طيلة الوقت أشبه بإحدى ممتلكاته بدل أن تكون شريكته. في السابق جعلها هذا الأمر تغضب، أما الآن، فأحسّت بنوع من الحزن تجاهه لأن تجربة والديه المؤلمة سلبته إيمانه بقيمة الحب والإخلاص. ما يحتاجه ديابلو حقاً هو امرأة تبرهن له كيف يمكنه أن يحب وأن يكون محبوباً. هو يحتاج إلى امرأة تستطيع أن تغير رأيه حيال النهايات السعيدة...

يا للسخرية! ها هو عالق مع امرأة تخطط للخروج من هذا الزواج الزائف لدى أول فرصة تسنح لها، وذلك بالطبع لن يغير موقفه تجاه النهايات السعيدة. بالرغم من ذلك، ما يفكر به ديابلو لا يعنيها على أي حال.

– الآن فهمت لماذا بدوت راضياً بأن تستقر في زواج ملائم ومناسب. تصورت أن ليس هناك ما تخسره إذا لم يدم هذا الزواج.



– ما من سبب كي لا يدوم زواجنا. لكنك محقة، لا يمكن للمرء أن يخسر ما لا يملكه أصلاً. والداي أحبا بعضهما بعمق، وخسرا كل شيء. ما الهدف من ذلك؟

قاومت اندفاعها لأن تخبره بأن كل الأسباب متوفرة كي لا يدوم زواجهما. لكنها عوضاً عن ذلك قالت: «أنت هو الهدف! ألا ترى ذلك؟ والدتك حظيت بك. ألا تظن أن ذلك عنى الكثير لها، وكان شيئاً مميزاً جداً بالنسبة إليها؟ أن يبقى جزء من والدك حياً ومستمراً حتى بعد خسارتها له؟»

– حتماً. أنا أعني أنها اضطرت إلى إرهاق نفسها بالكد والعمل لوحدها، فراحت تعمل لساعات طويلة حتى توفر لي ما أحتاجه.

– أوتظن أنها فعلت ذلك لأنك كنت من ضمن مسؤوليتها، أم لأنها أحبتك بشدة؟

أصدر ديابلو صوتاً ينم عن عدم الرضا، مبدياً عدم سروره بالسؤال. فيما تنهدت بريار. لِمَ عساها تهتم لما يفكر به؟

هبّ ديابلو واقفاً، ثم نفض الرمال العالقة عن سرواله وقال: «سوف أذهب لإحضار تلك القهوة».

ما الذي تغير؟ لابد أنه غاضب بسبب شيء قالته أو فعلته. قومت بريار جلستها فيما راقبته يخطو مبتعداً عبر الرمال نحو الشارع الرئيسي المخطط بالعشب الأخضر، ثم يتوجه نحو صفّ من المحلات والمقاهي التي حددت جانبي ذاك المكان. على الأقل فهمت الآن سر انجذابه لفكرة الزواج المدبر. أما الحب فليس موضوع نقاش بالنسبة إليه، وذلك أمر يناسبها تماماً. أجل... مناسب تماماً. أكدت بريار لنفسها ذلك مرّة ثانية.

بعد مرور بضع دقائق نزلت إلى الشاطىء، فهي لم تقوَ على مقاومة إغواء وضع أطراف أصابع قدميها في المياه، فيما راحت الأصداف التي جمعتها تقرقع في جيبها. ربما تكون الأعماق خطيرة، لكن لابد أن الأماكن الضحلة آمنة. يمكنها على الأقل تبليل قدميها في الماء. خلعت بريار حذاءها فرمته جانباً، ولفّت سروالها الرياضي إلى الأعلى، ثم أخذت تتجول عند أطراف المياه بقدميها



www.elromancia.com

العاريتين، وتضحك مع قدوم الموج وتسارع الماء صعوداً نحو كاحليها. انحنت عندما كشفت الرمال المتلاشية عن صدفة أخرى تحت قدمها، فالتقطتها بخفة وغسلت الرمال عنها في المياه الضحلة، بعدئذ أخذت تبحث عن المزيد من الأصداف.

- ماذا، بحق السماء، تظنين نفسك فاعلة؟

نظرت بريار حولها متفاجئة، فوجدت أن ديابلو يمشي بخطوات واسعة عبر الرمال. أما النظرة على وجهه فبدت سوداء كغيوم العاصفة في السماء.

سألته متذاكية: «ماذا يبدو لك؟ هل ظننتني أريد أن أسبح إلى نيوزيلندا؟»

لم يضحك لمزاحها، بل قال: «أخبرتك أن المياه خطيرة».

تساءلت بريار كم سيطول الأمر قبل أن يتحسن مزاجه، فيما خطت صعوداً على الرمال نحوه، وقالت بنبرة مهدئة: «اهدأ! لم أسمع مؤخراً بأن السير على الرمال يعتبر رياضة خطيرة».

نظرت إلى يديه الفارغتين وسألته: «أين القهوة؟»

- سوف يحضرونها حالاً.

استطاعت بريار أن ترى خلفه أحد النادلين يقوم بإعداد طاولة لشخصين على الأرض المغطاة بالعشب الأخضر. لماذا فعل ديابلو ذلك؟

قادها ديابلو نحو المكان المعد لهما فسألته: «أنت لا تفعل الأمور بشكل وسط. أليس كذلك؟».

- هل كنت تفضلين تناول قهوتك في كوب قابل للرمي؟

- كلا.

وافقته بريار فيما ساعدها لتجلس على كرسيها. وضعت كنزها الذي جمعته من البحر على الطاولة ثم رفعت كوبها لتشرب نخباً ساخراً، وقالت: «لنشرب نخب التجذيف الآمن».

تحلّى ديابلو بما يكفي من اللباقة ليدرك أنه بالغ في ردة فعله. أخذ نفساً عميقاً ونظر إليها وقد علت شفتيه ابتسامة خفيفة. قال وهو يلامس كوبه بكوبها: «موافق».



سألها وهو يشير بيده نحو الأصداف: «ما الذي تخططين لأن تفعليه بهذه؟»

ردّت بريار بصدق: «لست أدري. إنها ببساطة جميلة جداً، وأنا لم أقوَ يوماً على مقاومة الأصداف».

شربا قهوتهما وهما يراقبان غيوم العاصفة تتجمع بكثافة فوق الشاطئ، إلى أن اقترح ديابلو أن يعودا إلى المنزل. انطلقا سائرين على طول الشاطئ، فتمشّيا على الطريق نفسه الذي قدما منه. راح ديابلو يسير على بعد خطوات من خط المياه، في حين قرقعت الأصداف محدثة ضجيجاً في جيب بريار. أخذ يراقبها وهي تقفز في المياه الضحلة مع انكسار الأمواج، وقد عقدت شرائط حذائها وحملته متدلياً فوق عنقها، فقال: «تبدين كفتاة صغيرة لم تقصد الشاطئ أبداً من قبل».

أقرت بريار عبر ابتسامتها: «أشعر أنني كذلك فعلاً. ظننت أن الطقس سيكون أكثر برودة على الشاطئ، لكنه رائع بكل بساطة».

اندفعت موجة شاردة صعوداً نحو الشاطئ لتصل حتى قدمي ديابلو فصاحت بصوت مرتفع: «انتبه!»

التقطت ذراعه بسرعة لتحثه على الصعود إلى أعلى الشاطئ. لكن الأوان كان قد فات على إنقاذ حذائه المصنوع يدوياً من ملامسة الماء. ابتعد ديابلو عن المياه وتوقف ليعاين الأضرار، ثم قال بنبرة اتهامية: «كان بمقدورك أن تحذريني».

ردّت من بين ضحكاتها وهي ما تزال ممسكة بذراعه: «لقد فعلت. لكنني تأخرت قليلاً فقط».

رفع ديابلو عينيه إلى وجهها وشاركها الضحك. فجأة تغير شيء ما بينهما، وتحولت عيناه إلى شيء أكثر خطورة. تنبهت بريار لقوة عضلات ذراعه تحت قبضة يدها. فشعرت كما لو أن مغنطيساً يشدها إليه مبعداً الهواء القليل المتبقي بينهما.

ثبت ديابلو عينيه على عينيها كما لو أنه يقرؤها، باحثاً عن سبب يمنعه... ما الذي يمنعه؟ ضاقت عيناه بعد ذلك، فجذبها لتدنو منه أكثر فأكثر. أحسّت



www.elromancia.com

بريار عندها بالدائرة الكهربائية بينهما تومض وترسل شراراتها الكهربائية في جسدها، وأدركت فوراً ما كانت عيناه تقولان لها.

بدا كأن الزمن توقف في مكانه. وكأنما هدير المدّ القادم نحو الشاطئ، وزعيق طيور النورس، وحتى حركة السير البعيدة في البلدة... كأنما كلها تصرّح بملاحظة واحدة فقط، وتنطق بحقيقة واحدة حتمية. إنه ينوي معانقتها!

وهي تنوي أن تسمح له. ما السوء في ذلك؟

فكرت بريار بصورة منطقية بما تبقى من خلايا دماغها الفعّالة. مهما يكن، إنه مجرد عناق.

أغمضت جفنيها متنهدة. كم من المرّات عانقها ديابلو؟ بضع مرّات؟ اثنتي عشرة مرة؟ أربع وعشرين مرة؟ ليس أكثر بالتأكيد. مع ذلك ما إن ضمتها ذراعاه إلى دائرة عناقه حتى أحسّت بشعور غير منطقي بأنها وصلت إلى مبتغاها. أمسك ديابلو حذاءها فرماه أرضاً، ثم ضمّها لتدنو منه أكثر محيطاً جسدها بذراعيه.

مجرد عناق؟! من تحاول أن تخدع؟

لم يكن ذلك مجرد عناق... بدا لها كأن العالم نفسه يتحلل ثم يتكون من جديد، خلال هذه اللحظة، لم يكن هناك أحد سواهما هنا. لكن عندها انتهى الأمر فتحت بريار عينيها مضطربة، شاعرة بالتسارع البارد لتراجعه بحلّ مكان تلك الحماوة العذبة الحلوة.

- أنا آسف. يجدر بنا أن نعود.

بدت أنفاسه باردة مزعجة، فيما لامست جبهته جبهتها، وأمسك يديها بيديه مبعداً إياهما إلى جانبي جسدها.

ارتعشت بريار، فيما أحسّت بدموع الغضب والاحباط تلسع عينيها بشكل جنوني. إنها تعرف حق المعرفة لماذا، لأنه قال لها بأنها هي ستكون من يختار المرّة المقبلة التي سيقيمان فيها علاقة حميمة. هي من ستقوم بالخطوة التالية. حينها أدركت القدرة التي منحها إياها ديابلو.

لماذا يسهل عليه جداً أن يتوقف، في حين أن الأمر يشبه الجحيم بالنسبة



إليها؟

في تلك اللحظة انشقّت السماء بصوت مدوٍ جعل الأرض وحتى الهواء حولهما يهتزان بقوة، واصطدمت ببشرتها الحامية أشواك باردة كالثلج، فيما تردد الصوت الراعد في طبلتي أذنيها. أطلق ديابلو شتيمة ونظر نحو السماء، ثم أمسك بيدها وقال: «يجدر بنا أن نعود. تعالي!»

إذا كان هذا سباقاً في مواجهة الأمطار، فإن الأمطار ربحت لا محالة. لم يمر وقت طويل حتى أصبحت ملابسهما مبللة بالماء وصولاً حتى جلدهما، فيما هرولا على طول الشاطئ، متسلقين زاحفين فوق الصخور، إلى أن وصلا أخيراً إلى درب التلّة المؤدي إلى المنزل. بدت الرياح أقوى وأشد هنا فعصفت بقوة متضاربة حولهما، ما جعل جلد بريار المثلج يبرد أكثر فأكثر. أما خصلات شعرها غير المربوطة فالتصقت حول وجهها كالأسلاك الحديدية الباردة، وأحسّت أنها متجمدة حتى أعماقها.

وصلا إلى الشرفة المسقوفة مبللين بالماء لاهثين، فيما أرسلت الغيوم انفجاراً لاذعاً من البَرَد لاستقبالهما.

وقفت بريار لتخلع فردتي حذائها الثقيلين، إلا أنها راحت ترتعش بقوة كبيرة ففقدت توازنها. التقطها ديابلو بسرعة قبل أن تقع، وقال: «يا إلهي! أنت تتجمدين من البرد. انسي أمر الحذاء. يجب عليك أن تتدفأي الآن».

حملها إلى داخل المنزل، فتوجه مباشرة إلى غرفة نومهما ثم إلى الحمام متغاضياً عن آثار الماء التي تركت بقعاً على الأرض خلفه. سألها بعبوس: «هل أساعدك على خلع ملابسك؟»

وضعها أرضاً مبقياً ذراعه حول خصرها، كما لو أنها على وشك أن تنقلب فجأة.

تدبرت بريار أن ترد: «أجل... من فضلك».

لم تكن واثقة لكم من الوقت يمكنها الصمود وهي واقفة، ولم تكن ترغب بالانتظار أكثر لتدخل حوض الاستحمام. انحنى ديابلو نحو فسحة الحمام الواسعة جداً، ففتح صنابير الماء جاعلاً المياه تتدفق إلى أن أصبحت حرارتها



www.elromancia.com

ملائمة تماماً. أزاح بعد ذلك يديها عن ذراعيها، وخلع ملابسها.

وقفت بريار هناك مرتدية ثوب السباحة ذا القطعتين وهي ما تزال ترتجف، فيما بدت بشرتها شاحبة جداً وباردة كالثلج. زجر ديابلو وهو يفلت قبضته عن يدها، وسار في طريقه نحو الباب مصمماً على الخروج من هناك قبل أن يقوم بفعل شيء مجنون. قال لها: «ها أنت! سوف أدعك لتستحمي».

- شكراً لك.

بدا صوت بريار ضعيفاً، ما جعله يدور على عقبيه ويعود إليها. استدار ليرى أنها لم تتزحزح من حيث تركها، فيما التصقت خصلات شعرها فوق عينيها. اندفعت أمواج كبيرة من بخار الماء المنبعث من رشاش المياه فغلفتها حيث هي وحولتها إلى ما يشبه الشكل الأثيري السماوي. حتى وهي مبللة بالماء، لم يستطع ديابلو أن يتذكر أنه رأى أبداً أية امرأة أجمل منها. أحسّ، لسبب غريب ما، بألم جسدي فعلي لأنه فكر بالمغادرة من هنا وتركها وحيدة.

كانت بريار تراقبه بعينين واسعتين من دون أن تتحرك، فمن الواضح أنها تنتظر رحيله. يا إلهي! يجدر به أن يغادر المكان قبل أن يقوم بتصرف أحمق كجذبها بين ذراعيه ومعانقتها. ألم يعدها بأنه سينتظرها إلى أن تدعوه بنفسها؟ من الواضح أن بريار لا تتوق إلى قربه... ليس بما فيه الكفاية. بدت مسرورة بتركه يقود مجرى الأمور، لكنها أوضحت بجلاء خلال الأيام الثلاثة الماضية، أنها ستكون ملعونة لو قامت بالخطوة الأولى. لعن نفسه على القرار النهائي المتطرف الذي منحها إياه.

بريار كانت تنسحب متجاهلة كل فرصة سانحة. أما أصعب ما في الأمر فهو التهرب منها في المساء، والانتظار إلى حين تأكده من أنها نائمة، قبل أن يتحلى بالشجاعة ليأوي إلى الفراش.. بدا من الصعب عليه أن يحاول الاسترخاء في حين أنها تنام بالقرب منه، مدركاً أنها لن ترحب بمغازلاته أو محاولته التقرب منها. كيف عساه إذاً يجرؤ على المجازفة برفضها وهي ما تزال مستيقظة في حين أنه ما يزال يحترق للحصول عليها؟

جذب ديابلو نفساً غير ثابت إلى داخل صدره، وسار خطوة أخرى نحو



الباب، ثم قال لها: «من الأفضل أن تدخلي إلى حوض الاستحمام، فأنت بحاجة لأن تدفئي نفسك».

- أنت بحاجة إلى الاستحمام أيضاً، فأنت تشعر بالبرد تماماً مثلي.

- يمكنني الانتظار إلى أن تنتهي. سأكون في الخارج تماماً إذا احتجت إلي.

اعترضت بريار، وقالت له بعينين متسعتين جداً: «لا! أنا بحاجة لك هنا... لا أستطيع التحرك بمفردي».

بالرغم من البرودة المحيطة به دبّت الحياة في جسده، فقال بصوت خرج من حلقه كالزمجرة: «لو بقيت هنا فلا تتوقعي مني أن أتوقف عند مجرد الإمساك بك واقفة».

رفعت بريار ذقنها نحو الأعلى وقالت: «آملت أن... تقول ذلك».

هل يسمعها بشكل صحيح؟ بدت عيناها متسعتين لامعتين، فيما ارتعشت شفتها السفلى، فأراد أن يلفها بذراعيه حتى يدفئها. رغب بأن يضمها إليه لكي يسمع صوت نبضات قلبها تذوب مع نبضات قلبه، وليحس بجسدها بالقرب منه تماماً.

إنه يتوق إليها بقوة كبيرة!

تقدم ديابلو خطوة إلى الأمام وقال: «أأنت واثقة؟»

- إنه خياري أنا، تماماً كما قلت لي.

www.elromancia.com

## ٧ - مياه أشعلت النيران

سحبها ديابلو بقوة بين ذراعيه وقلبه ينبض بشدة، فقبض عليها شابكاً ذراعيه ببعضهما. صعق فوراً لدى احساسه بمدى برودتها، كما لو أنها تمثال رخامي. أراد أن ينفخ فيها الحرارة والحياة، فيعيرها بعضاً من تلك الحرارة المتصاعدة بسرعة في أنحاء جسده. عانقها عناقاً أشبه بالطاقة التي أطلق عنانها بين الأرض والسماء لدى اعتلاء العاصفة.

قادها ديابلو تحت مياه المرشة المتدفقة، وأسندها لتقف هناك حتى استعادت دفأها. سمح للسيل الدافئ أن ينهمر عليها كالشلال، مستأصلاً رعشات البرد من جسدها. ولم يمر وقت طويل حتى همد ارتجافها. رفعت ذراعيها نحو الأعلى لتغسل شعرها، رافعة وجهها نحو سيل المياه المتدفقة، فأصدر ديابلو صوتاً ينم عن الرضى، فيما تأمل جمالها المكتمل في الضباب. مهما يكن، هو مجرد إنسان، ولم يكن ليصمد أي يوم آخر في انتظارها.

بعدئذٍ لفها بمنشفة استحمام هائلة وحملها إلى سريرهما، فأزاح الأغطية ووضعها بما كاد يشبه الاحترام والتبجيل بين الوسائد والمخدات.

لم تشعر بريار يوماً أبداً بهذا الدلال والعز. كما لم تشعر أبداً بتوتر واضطراب مماثلين.

- كيف تشعرين؟

- شعور مذهل... مميز... رائع!

عاد ديابلو إلى الحمام، إلا أنه لم يغب طويلا. عاد بعد دقائق وقد التف بذاك الرداء الذي وضعته هي في ليلتهما الأولى. حدّقت بريار نحوه إلى الأعلى في دعوة صامتة، فانضم إليها ديابلو بامتنان ورضى.



ارتعشت عندما ضمها إليه، لكنه هذه المرة أدرك أن سبب ذلك ليس البرد. هذه الارتعاشة كانت بسبب الحرارة الصرفة التي سرت بينهما، والتي جعلت جسدها يرتجف لقربه منها.

احتضنت بريار رأسه بين يديها، وراحت تمرر أطراف أناملها بين خصلات شعره فتعلق في شعره الطويل الرطب. ابتعد ديابلو إلى الوراء وهو ما زال ممسكاً بها فتعلقت بخصلات شعره بملء يديها.

- أما زلت تشعرين بالبرد؟

أجابته هامسة: «لا مجال لذلك».

اقترب منها مجدداً وأغرقها في عناق ملؤه الشغف والشوق مستكشفاً بعداً آخر لتلك المرأة المعقدة التي هي زوجته.

إنها امرأته هو!

دبّت الحياة في كل جزء من أعماقه ترحيباً بالفكرة. أراد أن يصرخ بأعلى صوته من فوق قمم جبال العالم. إنها امرأته، لا مجال للشك في ذلك، هي ملكه!

لن يسمح لها أبداً بالذهاب بعيداً عنه.

تجاوبت بريار معه بشغف يماثل شغفه فبدا تجاوبها أشبه بنداء حورية البحر لبحّار في المحيط. بقي الزوجان غارقان في مشاعرهما المحمومة إلى أن تحطمت بهما السفينة عند الشاطئ، فهمدا مستكينين في حضني بعضهما.

ضمها إليه ديابلو برقة بالغة إلى درجة جعلت الدموع تترقرق من عينيها. ابتسم لها بعد ذلك كما لو كانت أكثر مخلوق مميز في العالم أجمع.

الرقة! لم تتوقعها من ديابلو أبداً. في كل مرة يفاجئها، وفي كل مرة يغدو تصميمها وعزمها على مقاومته أكثر ضعفاً. لا يفترض به أن يكون رقيقاً... لا يفترض به أن يمتلك قلباً... أما هي فلا يفترض بها أن توافق على إقامة علاقة حميمة معه. يا لها من افتراضات باطلة!

تراجع ديابلو إلى الوراء، وأخذ يمسد شعرها بلطف وبطء شديدين.

سألته بريار: «ما الذي سنفعله الآن؟»



www.elromancia.com

سألها: «ما الذي يفترض بالرجل أن يفعله عندما يود أن يدلل امرأته؟»

امرأته؟!

ارتعدت بريار بين ذراعيه، كيف يعقل أن تجعلها تصرفاته اللطيفة تشعر بحماسة تمتد على طول عمودها الفقري، في حين أنها اعترضت مسبقاً على استخدامه لهذه التعابير؟

امرأته! إنها امرأة ديابلو... ذلك أمر غير. فجأة أحست بالنشوة العارمة لأنها كذلك. لأنها اكتشفت اليوم الجهة المقابلة لكونها امرأته.

اكتشفت أن ذلك يجعل من ديابلو رجلها هي.

ضمها رجلها من جديد إلى أحضانه، فأجبر أنفاسها على الخروج من رئتيها. ومجدداً ذكّرها بقوته واهتمامه. لم تعد تفكر بأي شيء مطلقاً باستثناء هذا الرجل إلى جانبها.

لم تفعل بريار سوى الشيء الوحيد الذي قدرت عليه، فتعلقت به واستلقت بسكون بين ذراعيه وهي تشعر بالدفء والاسترخاء. إنها مصعوقة! ما من كلمة أفضل تفسر ما تشعر به. إنها ببساطة مصعوقة.

- أما زلت تشعرين بالبرد؟

بحق السماء، لا! بل هي أبعد ما تكون عن ذلك. إنها دافئة إلى أقصى درجات الترف والرفاهية، بل مرتاحة إلى أقصى حد، لكنها حتماً لا تشعر بالبرد. هزّت بريار رأسها نفياً، محاولة أن تسيطر على العالم السحري الذي غمرها بشعور مختلف تماماً. قالت: «ألا يجدر بنا أن نستعد لتناول الغداء؟»

قفز ديابلو من السرير ودحرج عربة طعام قابعة في مكان قريب، ثم رفع الغطاء عن أحد الصحون، قائلاً: «لوسيا أرسلت لنا صينية طعام خلال فترة استحمامنا. حضرت الشوربا والسندويشات. هل تشعرين بالجوع؟»

أقرّت بريار قائلة: «ليس تماماً».

مهما كان هذا الشعور الغريب الجديد في داخلها، فهو ليس الجوع.

عاد ديابلو إلى السرير ثم رفع يدها وقبّلها. قال وعيناه تومضان بنظرة ذات مغزى: «يجدر بك أن تأكلي، فأنت بحاجة لأن تبقي قوية سليمة».



راحت بريار تضحك بتوتر، لكن ديابلو مرر يده برفق على خدها كما لو أنها هدية ثمينة وجدها، فتغير منحى ضحكتها، إذ أصبحت عميقة ومليئة بالمعاني.

بعد قليل توقفت بريار عن الضحك، فابتسم ديابلو لها وأنزل يده باتجاه بطنها المسطح، قائلاً: «أنت لا تحتاجين إلى القوة من أجلك فقط، فمن المحتمل أن ابني بدأ ينمو في أعماقك للتو».

آه، يا إلهي! أدارت بريار رأسها بعيداً عنه، بعد أن أحست بطعنة من الشعور بالذنب تجرح بعمق داخلها إلى درجة أنها لم تقوَ على مواجهته. اللعنة! لا، هذا ليس ممكناً. اللعنة عليه! لِمَ عليه أن يتصرف بهذه الرقة؟ لِمَ عليه أن يكون حنوناً إلى هذه الدرجة؟ لِمَ عليه أن يصعّب الأمر عليها إلى هذه الدرجة؟ لا يمكن أبداً أن تكون حاملاً. ليس وهي تتناول الحبوب المانعة للحمل لتحرص على عدم حصول ذلك.

تلعثمت بالكلمات وهي تشعر بالاحباط، غير قادرة على حمل عينيها لتواجها عينيه. قالت: «إنه... لا يحصل الأمر دوماً على الفور. أحياناً يستغرق الأمر وقتاً... شهوراً، حتى مدة أطول. لا يمكنك أن تتوقع...»

وضع ديابلو يده تحت ذقنها، وأدارها ببطء لتواجهه. قال لها مهدئاً: «لا تقلقي. لدينا كل الوقت في العالم».

من الواضح أنه أخطأ فهم أسباب خوفها، فظن أنها تخشى ألا تحمل بالسرعة الكافية لإرضائه.

- ماذا لو لم يكن الأمر بهذه البساطة.

ردّ ديابلو: «إنه بهذه البساطة. ألم تلاحظي أننا نتلاءم بشكل كامل؟ ليس هنالك ما يدعوك للقلق، كما أنك ستكونين أماً رائعة. أطفالك سيكونون رائعي الجمال، ولا عجب في ذلك، حينما أنظر إلى مدى جمالك أنت».

عانقها بنعومة كما لو أنه أراد أن يطمئنها، وقد توهجت عيناه بشكل حارق، قائلاً: «يا إلهي! ظننت أنني أشعر بالجوع للطعام، لكن يبدو أنني أشعر بالنهم تجاهك أنت. لقد تركتني أتضور جوعاً لفترة طويلة جداً.»

جذبها ديابلو إليه فعانقها من جديد، وما لبثت أن ضاعت من جديد في عناقه ولم تعد تستطيع الصمود.

* * *

وقفت بريار كالمسحورة داخل الحمام التابع لغرفة النوم، فتأملت صورتها في المرآة تحت الأضواء الخافتة، متوقعة إيجاد شيء ما يبرر هذا التغيير الذي طرأ عليها. لا بد أن يكون هناك سبب ما... دليل مادي واضح يفسر سبب شعورها المختلف. ما الذي يحصل معها؟

منذ أسبوع فقط، بل منذ أيام قليلة مضت، كانت مصممة بل واثقة من الطريق الذي تريد اتباعه. يومها قررت أن تكون مجرد مشاهدة لهذا الزواج ما دام مستمراً، كما قررت التملص منه ما إن تسنح لها الفرصة لكي تحافظ على إحساسها بالسيطرة على ذاتها، ولتحافظ على هويتها. لكنها لم تعد مجرد مشاهدة. أصبحت مشدودة إلى الداخل. سحبها إلى الأعماق ذاك الشخص الوحيد الذي أقسمت على ألا تتورط معه. إنها تفقد عقلها، وتفقد تصميمها. إنها تفقد نفسها لأجل رجل ذي عينين سوداوين لامعتين وذراعين قويتين، يحتضنها كما لو أنها أثمن ما في الوجود. ما خطبها بحق السماء؟ أتراها بدأت تحس بمشاعر تجاهه؟

لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً. إن انجذابها إلى ديابلو هو مجرد انجذاب جسدي، أما استسلامها إلى ذلك الانجذاب خلال لحظة ضعف فلا يعني أنها ستحيد عن عزمها بهذه السهولة. تفحصت بريار ملامحها في المرآة بحثاً عن إشارة ما، عن دليل يثبت أنها تغيرت. حدقت جيداً في انعكاس صورة عينيها، آملة إيجاد مفتاح الحل. ما الذي يحدث لها؟ ما الذي تملّكها؟

جعلتها تلك الكلمة مباشرة تتذكر تلك اللحظة المحورية حين ناداها باسم امرأته، كما تذكرت اللحظة اللاحقة حين أعمتها كالصاعقة حقيقة إدراكها بأن ديابلو هو رجلها. امرأته... رجلها... ! ما زالت هذه الفكرة حتى الآن تثير فورة من الحماسة عبر عروقها، فتخيفها حتى الجنون. لا بد أنه تدفق الهرمونات أم هي مجرد لحظة من الجنون؟ لا بد أنه الجنون!



حدقت بريار في المرآة، فيما بادلتها صورتها المنعكسة التحديق نفسه بنظرة ضبابية غير واثقة بفعل الارتعاش والذعر.

ذلك لا يعني فقط أنها بدأت تكنّ المشاعر لديابلو، بل يعني أيضاً أنها تواجه خطر الوقوع في غرامه. أهي حقاً تقع في غرام ديابلو؟ لا!

تمسكت بمرآة التبرج الرخامية كي لا تترنح وتسقط على الأرض. ديابلو عديم الرحمة، فهو رجل أعمال يقضي على كل من يقف في طريقه للحصول على الثروة، وذلك أهم من أي شيء آخر في العالم بالنسبة له. لقد أجبرها على الزواج به، ثم داهنها متملقاً حتى تدخل فراشه. إلا أن رجل الأعمال العديم الرحمة انقلب مئة وثمانين درجة، وأظهر لها أنه يتمتع بناحية رقيقة. تلك الناحية التي دفعت به إلى دعم حياة العديد من الأطفال الذين لا يمتلكون فرصاً أخرى للتقدم.

أما اليوم، فهو لم يضطر أبداً إلى التملق لاستدراجها إلى السرير. هي التي دعته إلى أخذها بين ذراعيه. رفعت بريار عينيها نحو السماء، وانتابتها ارتعاشة؛ ديابلو لم يعد ببساطة ذلك السجّان الذي يأسر جسدها طيلة مدة زواجهما، بل أصبح يمتلك الآن مفاتيح إرادتها. لقد فتح أقفال دفاعاتها، تلك الدفاعات التي تفاخرت بها. وبما أنه استطاع أن يفعل ذلك، كم سيلزمه من الوقت حتى يجد المفاتيح المؤدية إلى قلبها؟

أحست بريار كأن نفسها عالق في حلقها. لا يمكن لذلك أن يحصل، أم بلى؟ لا يستطيع الناس تغيير طريقة شعورهم حيال أحدهم بهذه السرعة. إلا إذا...؟ هنالك اسم يطلق على الحالة التي يتصرف بها الناس بطريقة غير منطقية تجاه سجّانيهم، فيتعاطفون معهم، ويشعرون بولاء غريب تجاههم، حتى إنهم يقعون في غرامهم. أهذا ما يحدث معها الآن؟ أخذها سجّانها بحركة سريعة بعيداً عن عالمها إلى منزل منفرد، فأجبرت على تحمّل ساعة بعد ساعة من رفقته. لذا لاغرابة أن تتشابك مشاعرها. هي عروس أسيرة سجنها رجل يريد أن يجعلها ملكاً له عبر كسر مقاومتها وتفتيتها.

حدّقت من جديد في انعكاس صورتها بالمرآة. إذاً ذاك هو نوع من أنواع

الجنون. فهي لا تكن حقاً تلك المشاعر لديابلو، بل إن تجاورهما المفروض هو الذي يتلاعب بمشاعرها كأسيرة. ستبدو الأمور مختلفة حين يعودان إلى سيدني، وكذلك مشاعرها تجاهه التي سوف تعود إلى طبيعتها.

بتصميم جديد، جذبت بريار الدرج الذي اتخذته لنفسها فوجدت الحقيبة الصغيرة التي تحتوي على أدوات التبرج خاصتها، وهي الحقيبة التي دخلت الحمام لأجلها. فتحت سحابها وأخرجت رزمة حبوب الدواء فأخذت تحصيها. ما زالت لديها خمس حبات لهذا الشهر. خمس حبات، ثم ماذا؟

لوهلة أحست بالتردد حيال ما يجدر بها أن تفعله. حب ديابلو للأطفال فاجأها تماماً، كما فاجأتها رعايته لمدرسة بكاملها في تشيلي. جعلها هذا الأمر تشعر بتعاطف مستغرب تجاه رغبته بالحصول على الأطفال. فجأة أحست بالذنب لأنها تعمل ضد مشاريعه. إنها لا تستطيع اتخاذ أية قرارات متسرعة. لمَ عساها تشعر بالذنب إلى هذا الحد في حين أنه تم دفعها وإكراهها على هذا الزواج منذ البداية؟ لمَ عساها تشعر بالذنب ببساطة لأنها لا تشعر برغبة للعب دور الحاضنة لأطفال ديابلو؟

هو لم يسألها مطلقاً إن كانت ترغب بإنجاب الأطفال أم لا. كما أنه حتماً لم يسألها إن كانت تمانع في إنجاب أطفاله هو. كل ما فعله هو إطلاعها على رغبته وإجبارها على القبول بها، وذلك من دون أن يستشيرها ولو جزئياً.

طقطقت بريار القفاعة الصغيرة وابتلعت حبة الدواء، ثم أخفت الحبوب المتبقية بعيداً عن الأنظار. فلتذهب مخططاته إلى الجحيم!

كان يجدر بديابلو أن يستغرق في النوم، لكن رحيل بريار المفاجئ من السرير جعله ينتظرها. راح الدم يتخبط في عروقه متوقعاً عودتها. على الرغم من أنه عانى جحيمه الخاص خلال مقاومتها وصدها له، لكن طيلة ذاك الوقت لم تكن لديه أدنى فكرة عن مدى عذوبة وحلاوة استسلامها.

سمع صوت إطفاء زر ضوء الحمام، ثم وقع صوت قدميها الهادئ عبر أرض الغرفة. على الرغم من المجهود الواضح الذي بذلته في محاولتها القصوى كي لا تزعجه، استشعر ديابلو الخفيف الخفيف لمشيتها، حيث جعل ضوء القمر الذي



ظهر الآن مع رحيل العاصفة بشرتها لامعة بتألق لؤلؤي. ما لبثت بريار أن صعدت إلى السرير.

استشعر انسحابها بعيداً عنه، وبدا تصرفها هذا صفعة في وجهه. أرخت جسمها برفق على حافة الفراش، فاستلقت وهي تدير ظهرها له. كبت ديابلو زمجرة ساخرة، لا مجال أبداً لأن يسمح لها بالانسحاب.

قال: «هاي!»

علم أنه فاجأها بسبب الطريقة التي انقطع فيها تنفسها. بعد لحظة أدارت رأسها قليلاً نحوه، وقالت: «ظننت أنك نائم».

زمجر ديابلو: «تعالي إلى هنا!».

مد يده ليطالها، وهو ينوي جذبها لتدنو منه وتصير ضمن حلقة ذراعيه. عندما اقتربت بريار منه توقع أن تذوب في أحضانه، لكنه عوضاً عن ذلك أحس أن جسدها متصلّب. وحينما وجدت بريار للمرة الثالثة سبباً للتململ والتحرك، سألها: «ما الخطب؟»

- من قال إن هنالك خطباً ما؟

- أتقولين إن كل الأمور على ما يرام؟

- أنا فقط متعبة، وبحاجة للنوم.

- ربما إذاً يجدر بك أن تحاولي النوم، عوضاً عن العراك معي.

- أنا لا أنوي العراك معك.

- جيد، لأنك ستصابين بخيبة أمل.

- أنت واثق جداً من نفسك. ألست كذلك؟ تظن نفسك عالماً بكل الأمور.

فكر ديابلو: أتمنى ذلك، وهو يتساءل ما الذي يدور في رأسها. جذبها بقوة أكبر بين ذراعيه وقال: «نامي!»

www.elromancia.com

## ٨ - امرأة من زئبق

صباح اليوم التالي، كان ديابلو يطالع صفحة الأخبار الاقتصادية في الجريدة حين انضمت إليه بريار. قال لها: «يجدر بي أن أعود إلى سيدني. طرأ أمر عليّ أن أحلّه بنفسي».

ردّت بريار وهي تجلس: «أبهذه السرعة؟ هل انتهى شهر العسل إذاً؟»

قوّس ديابلو أحد حاجبيه وهو ينظر إليها بتمعن. افترض من ردّة فعلها الحماسية تجاهه أنها تجاوزت نوبة الصدّ التي انتابتها ليلة الأمس، لكن من الواضح أنها لم تفعل. أما هو فلم يشعر أنه بمزاج لتحمل ذلك بسبب الأمور الطارئة التي استدعت هذا الصباح عودته إلى سيدني، فقال: «ظننت أنك ستسرين بذلك، نظراً لأنك لم ترغبي بشهر عسل أصلاً».

هزّت بريار كتفيها، ثم سكبت لنفسها كوباً من القهوة وقالت: «مع ذلك جئنا إلى هنا، لذا فإن ما أظنه أنا لن يحدث فرقاً على أي حال».

راقبها ديابلو بثبات، أما عيناها فلم تقوما بأي مجهود للانتقال بنظراتهما إليه. ثنى ديابلو جريدته بعناية، ووضعها على الطاولة. بدت حركته هادئة وصامتة، في حين أن دماءه راحت تغلي على نارٍ هادئة في عروقه. تابع كلامه مبقياً على صوته متوازناً، فقال: «فكرت أنه ربما يمكننا أن نعود إلى هنا الأسبوع القادم، فحسبما رأيت... استمتعت بوقتك هنا كثيراً».

ردت بريار بصورة عرضية: «إذا أحببت ذلك».

ثم أخذت رشفة قهوة.

- ربما يمكننا أن نتمشى على الشاطئ مجدداً، إذا كان الطقس صافياً.

- ربما!

- أو ربما تفضلين أن تجربي شيئاً مختلفاً هذه المرة؟

انزلقت عينا بريار نحو الشاطئ، قالت: «ما تقرره يلائمني».



- حسناً! خطرت لي الآن الفكرة المناسبة تماماً. سوف أقوم برميك أرضاً على هذه الطاولة في وسط الفطور، وأعانقك بشغف.

كانت بريار على وشك أن تومئ برأسها من دون اهتمام حين استوعبت ما يقوله، فأدارت رأسها نحوه فاتحة عينيها اللتين بدتا واسعتين. اصطدمت نظراتهما ببعضها، وبدت عيناه كمسدسين كهرمانيي اللون يشتعلان باللهب، فتورد خدا بريار وعلتهما الحرارة.

فكر ديابلو: نلت منك!

- ما الذي تحاول أن تبرهنه، بحق الجحيم؟

أغاظها ديابلو بسخريته، وشعر فجأة بمرح أكثر مما شعر به خلال أي وقت منذ جلوس بريار إلى الطاولة.

أنا ما زلت أشعر بالشوق إليك، لذا ربما لسنا بحاجة لأن ننتظر حتى الأسبوع القادم.

دفع ديابلو بنفسه خارج كرسيه، محاولاً أقصى جهده لكي يبدو مفترساً، فقال: «أنا متحمس للفكرة... فما الذي يمنعنا من فعل ذلك الآن بالذات؟»

رفعت بريار ذقنها نحو الأعلى، فبدا اللون على خدّيها أكثر اشراقاً، ثم قالت: «ربما يجدر بك أن تفكر في طلب الإذن قبل ذلك».

ابتسم ديابلو: «كما أتذكر... أنت رضيت من قبل بذلك. قلت إن ما أقرره يناسبك... أو شيئاً بهذا المعنى».

حدّقت بريار به لوهلة، قبل أن تدفع بكرسيها، وقد أظهرت أنها مستعدة للذهاب. قالت: «متى سنغادر؟ يجب أن أوضب أمتعتي».

- بالكاد لمست فطورك.

رمت بريار فوطتها على الطاولة، وقالت: «لقد اكتفيت».

وكذلك ديابلو. سألها: «ما خطبك بحق الجحيم؟»

لحق بها، فيما استدارت وانطلقت مبتعدة. تخلّى عن كل تصنُّعه ومحاولته البقاء هادئاً، ثم تابع: «بالأمس بالكاد استطعت الانتظار لتقربيني منك، واليوم ها أنت تتصرفين كعذراء مزعجة».



www.elromancia.com

هذه المرة نظرت بريار بالفعل إلى ديابلو، فتلقى كامل صدمة نظرتها المشتعلة التي أدارتها نحوه حين قالت: «أعتذر عن قلّة خبرتي. إذا اعتبرت الخبرة في العلاقات جزءاً من معيار اختيارك لي، فربما كان الأجدر بك أن تختار امرأة ترضي رغباتك ومتطلباتك أكثر مني».

- أنا لست أبحث عن الخبرة.

- بالطبع! أنت محقٌ تماماً، فأنت تبحث عن امرأة ليست في موقع يخولها لأن تقول لا. يا لي من محظوظة، فقد كنت أنا صاحبة الحظ السيء!

قالت بريار ذلك والسخرية تقطر من كلماتها.

* * *

سيطر الصمت المطبق على رحلة عودتهما إلى سيدني، وأخذ مزاج ديابلو يزداد سوءاً مع كل كيلومتر يقطعانه.

بالأمس، ولمدة اثنتي عشرة ساعة كانت ملكه جسداً وروحاً. بدت كانعكاس لشغفه وشوقه بل لروحه. اعتقد ديابلو أنها مناسبة تماماً له خلال ليلة زفافهما الأولى حين حصل على تلميح عن مدى انسجامهما التام، لكنها يوم أمس أكدت كل توقعاته، فبدت أكثر من كاملة وتامة. إنها أميرة للحب، وهو ينوي استرداد تلك الأميرة.

حاول استرجاع أحداث الساعات القليلة الماضية. فلم يستطع التفكير بأي سبب أغضبها. بل على العكس، بدت بريار مندفعة مثله تماماً. بعدئذٍ، ومن دون سابق إنذار، أقفلت الباب على نفسها في الحمام، لكي تعود امرأة أخرى. بحيث اختفت الأميرة، وحلت محلها هرّة شرسة، ذات ألفاظ جارحة تسرّ أكثر بمصارعته لا بمعانقته.

ضغط ديابلو بعقب يده على عجلة القيادة. أما الهرّة ذات العينين الكهرمانيتين الجالسة إلى جانبه فكانت تحدق خارج النافذة بعزم ثابت. اختار ديابلو الطريق السريعة المتوجهة نحو المدينة، وما إن اجتازا المستديرة المؤدية إلى موسمان، وجدت بريار صوتها لتسأله: «إلى أين نحن متوجهان؟»

- إلى شقتي.



- لكنني ظننت أنك قد توصلني...

تشتت كلمات بريار، فسمح ديابلو لنفسه بالابتسام.

- هل ظننت أنني سأوصلك إلى منزل والديك؟ لكن... لماذا؟ أنت زوجتي الآن، وأنت تقيمين معي أنا.

- إذا كنت مشغولاً بالعمل، فما الذي سأفعله أنا؟

- تعرفي على منزلك الجديد واعتادي عليه.

- أنا لا أعرف حتى أين تقيم.

- سوف تكتشفين ذلك حالاً.

أدارت بريار رأسها لتنظر خارج النافذة، كي لا يتمكن ديابلو من قراءة تعابير وجهها، فيشعر بالرضى نظراً لخيبة أملها. في الحقيقة، كان بمقدورها أن تستعلم عن مكان إقامة ديابلو خلال عدة مناسبات لو أنها أزعجت نفسها وسألته عن ذلك، لكنها لم تزعج نفسها أبداً. لم تكن ترغب بمعرفة أي شيء عن هذا الرجل أو عن حياته الخاصة. أما الآن فتمنت لو أنها لم تتعمد تجاهل الحقائق إلى هذه الدرجة، إذاً لشعرت أنها أكثر استعداداً.

سألت وهي تدير رأسها نحوه: «ماذا عن أغراضي وسيارتي؟»

- تم توضيبها وإيصالها إلى الشقة، وهي بانتظارك. اطمئني! تم الاعتناء بها بفعالية خلال غيابنا.

- أنت حتماً لم تهدر وقتك سدى.

- هدر الوقت ليس أسلوبي في العمل.

وتمتمت: «لا شك بذلك».

ثم أدارت انتباهها خارج النافذة، نحو حدود مدينة سيدني التي لاحت بالأفق.

عادت إلى صمتها، وقد ذهبت آمالها بعودة عقلانيتها وتفكيرها السليم أدراج الرياح، إنها مجنونة لتصورها بأن ديابلو قد يتركها في بلاكسيا قبل ذهابه إلى العمل. ذلك الوهم هو الذي أعمى أفكارها، أما الآن فتبخرت آمالها بأن حياتها قد تأخذ منحى اعتيادياً نوعاً ما لدى عودتهما إلى سيدني من جديد.



www.elromancia.com

كيف يمكن للحياة أن تعود إلى أي شيء يقترب من كونه اعتيادياً، في حين أنها سجينة في عالم ديابلو؟

جذبت بريار نفساً عميقاً ثم أطلقته ببطء. حسناً! يجدر بها أن تعتاد على ملاحظات ساخرة جديدة. ذلك على الأقل سيحصل في سيدني وليس في مكان بعيد ناء على الشاطئ. سيكون ديابلو منشغلاً بعمله خلال معظم ساعات النهار، أما هي فستحظى بسيارتها. ربما هي سجينة، لكنها ليست بالضرورة منعزلة عن العالم.

اجتازا جسر مرفأ سيدني، واتخذا منعطفاً مؤدياً إلى وسط المدينة. بعد مرور بضع دقائق أدار ديابلو عجلة القيادة نحو موقف للسيارات تحت الأرض، يقع أسفل مبنى مخصص للمكاتب مؤلف من عدّة طبقات.

- ظننتك ستقصد المنزل أولاً.

ركن ديابلو السيارة في موقف آمن للسيارات، وقال: «هذا هو المنزل، وها هي سيارتك، تماماً كما قلت لك».

أشار بإصبعه إلى سيارة هوندا صغيرة مركونة إلى جانب سيارتهما. قادها نحو المصعد الخاص، فضغط على الزر المخصص للصعود نحو الشقة الأعلى فوق سطح المبنى، ثم وقف بصمت إلى جانبها، فيما حملهما المصعد إلى ارتفاع يزيد عن الأربعين طابقاً نحو الأعلى. انزلق البابان ففتحا على بهو مدخل فخم، اكتملت روعته بفضل الأرضية الرخامية والبابين الخشبيين الضخمين. فتح ديابلو البابين وراقبها لبضع لحظات، وعلت شفتيه لمحة استمتاع، ثم قال: «أليس من التقليدي عند هذه النقطة أن أحملك فوق العتبة؟»

قدحت عينا بريار شرراً، ورفعت حاجبيها في تحية ساخرة، ثم قالت: «لقد أثّرت بي... لم أكن أدرك أن رجال الكهوف يتبعون التقاليد أيضاً، بغض النظر عن ضرب رؤوس نسائهم بالهراوات، وجرجرتهنّ إلى كهوفهم».

ثم أضافت كإجراء وقائي: «و... فقط في حال كنت تشعر بالإغراء، أنت فعلت ذلك من قبل».

تشتت استمتاع ديابلو فأصبح تكشيرة، عندما اندفعت بريار مسرعة



ونخطته، فدخلت إلى الشقة الفسيحة. تساءلت إن كانت قد بالغت في لعب أوراقها. لا بأس إن كانت تحاول عدم الوقوع أسيرة سحره، لكن الأمر يختلف تماماً إذا راحت تستفزه. هي تعلم تماماً كم يبدو ديابلو خطيراً عندما يتم استفزازه، كما تدرك تماماً إلى أي مدى يمكنه أن يكون خطيراً.

تمهلت داخل غرفة الجلوس الفسيحة، متظاهرة بالاهتمام بمحيطها الفخم. أدركت أن رفقتها لم تكن ممتعة منذ هذا الصباح، فهي تصرفت بمزاج سيء لاذع، وبفظاظة بكل ما في الكلمة من معنى... أما في ما تبقى من الوقت، فظلت متجهمة الوجه عابسة صامتة. إن دفاعها عن نفسها ضد مشاعرها العنيدة لن يكسبها صداقة ديابلو. لكنها لا تبحث عن صداقته... هذا الرجل الذي عاملها كما لو أنها آخر ما تملّكته شركته من مقتنيات. لكن أي خيار تمتلكه؟ يجدر بها أن تقوم بشيء ما يقوي دفاعاتها في مواجهة هذا الرجل. تلك الدفاعات التي انهارت بسرعة تماماً كما انهارت هي مجدداً بتأثير عناقه الدافئ هذا الصباح. أحست بريار بالخجل من نفسها إذ اختصر ديابلو كيانها إلى مجموعة من الخلايا العصبية اللاعقلانية. بعدئذٍ شعرت بالامتنان لأنه غادر للسباحة قبل أن يتمكن من مشاهدة عينيها تسبحان بدموع الاحباط، فتركها وحدها لتتعاطى مع الأمر. كيف عساها تستطيع أن تكرهه وكيف عساها لا تكرهه؟ في حين أنه يعتبرها مجرد جسد، مجرد زوجة... بل ببساطة، الحاضنة المحتملة لأطفاله؟

- هذه غرفة المعيشة.

دلّها ديابلو بإشارة من يده وكأنما اعتبر صمتها اهتماماً منها بما يحيط بها. ثم أومأ مشيراً بيده ثلاث مرات متتالية، فقال: «هنا المطبخ، وهنا غرفة الطعام، وتلك غرفة المكتبة هناك. كما أن هنالك حمام كامل في الطابق السفلي بالإضافة إلى غرفة للتبرج. أما غرف النوم فهي في الأعلى».

جاهدت بريار لكي تبدو مهتمة بما يقوله لها، في حين أن جل ما صدمها هو اختلاف هذا المنزل عن ذاك الذي غادراه هذا الصباح. إن إيل باراديسو منزل فخم واسع، يعجُّ بالألوان والمفاجآت الجميلة في كل زاوية من زواياه.

أما هذه الشقة فهي تصريح واضح عن الاعتدال الإداري، بحيث سيطرت الأخشاب الباردة الفاتحة اللون على طابع الشقة، بالإضافة إلى المفروشات التي يشبه لونها لون الكاراميل والسجادات ذات اللون التبني التي تغطي أرضية رخامية فاتحة اللون.

تجولت بريار عبر غرفة الطعام حيث وضعت كراسي منجّدة بالقماش التبني اللون، وقد بدت كما لو أنها بلاطات على ضريح. أما الحائط خلف طاولة الطعام فكان مغطى بلوحة تتباهى فخورة بألوان دهان، عوضاً عن اللون الرمادي الداكن. يا لها من لوحة!

مرّرت بريار أناملها فوق الخزانة المصنوعة من خشب السنديان الأبيض، بلمسة ساخرة نوعاً ما، وقالت: «يبدو هذا المنزل بسيطاً خالياً من التكلف».

قال ديابلو بشكل عادي فظ: «إنه المنزل. تصرفي كما يحلو لك، فلدي بعض الأمور لأعالجها».

أنهى جملته وسار عائداً نحو الأبواب الأمامية.

هذه المرّة استحقت كلماته ردّة فعل من قبل بريار، فقالت: «أأنت مغادر؟ هل تتركني هنا؟ ماذا تتوقع مني أن أفعل؟»

هزّ ديابلو كتفيه، وقال: «تأقلمي مع الشقة. فهو منزلك الآن أيضاً.»

التقط مفاتيحه عن الطاولة الموضوعة إلى جانب الباب الأمامي حيث تركها، وقال: «لن أتأخر كثيراً».

- ماذا لو رغبت بالخروج؟

- إلى أين تحتاجين أن تذهبي؟

قالت: «لست أدري. أهنالك أي بند في عقدي يقول بأنه يفترض بي البقاء في الحجز الانفرادي؟»

ردّ ديابلو: «لا تكوني سخيفة. أنا ببساطة أسألك عمّا تنوين فعله».

ألحت قائلة: «من يدري؟ الغداء... زيارة والدتي... التسوق؟»

قبضت على الكلمة الأخيرة كما لو أنها منقذة لحياتها، وأضافت: «أراهن على أن البراد مقفر جداً تماماً كباقي الأماكن في هذه الشقة».



كشفت عينا ديابلو عن الدهشة لدى سماعه ذاك التعليق، فقال: «أتنوين الذهاب لتبضع البقالة؟»

- حسناً! ما الذي تنوي أن تأكله الليلة على العشاء؟

ارتفع أحد حاجبي ديابلو السوداوين قبل أن يقول: «أنت لم تخبريني مطلقاً عن اهتمامك بالمطبخ إلى هذا الحد».

رفعت بريار حاجبها أيضاً فقوسته، وقالت: «أنت لم تسألني قط».

لم ينو ديابلو أن يقر بذلك بالطبع، بل ببساطة جذب درجاً صغيراً في طاولة الصالة، وأمسك بطاقة بيده قائلاً: «هاكِ المفتاح. فهو سيدخلك عبر المصعد الخاص وأبواب الدخول. أما سيارتك فقد تم تجهيزها مسبقاً بآلة تحكم عن بعد لفتح أبواب موقف السيارات».

تردد لوهلة وهو ينظر إليها، ثم تابع: «لعل الخروج فكرة جيدة. ربما تتمكنين على الأقل من استجماع ابتسامة على شفتيك لدى عودتي».

تنهدت بريار ونظرت إلى الأرض، وهي تشعر كما لو أنها طفلة تم توبيخها بسبب انتحابها المطول. تساءلت ماذا يحق السماء كان بمقدورها أن تفعل عوضاً عن ذلك. قالت بهدوء: «أنا فقط متعبة».

تعبت من لعب دور القطة والفأر مع مشاعرها. سألها ديابلو: «أما زلت متعبة أم.. تراك تعانين من أعراض ما قبل الدورة الشهرية؟ إن كان هذا هو السبب، من الأفضل إذاً أن نسرع في جعلك حاملاً، فذلك أفضل».

حدقت بريار بديابلو، وردّت: «ربما ببساطة أنا لست معجبة بك. هل فكرت بذلك؟»

عبس ديابلو، ثم نظر إلى ساعة يده وقال: «يجدر بي أن أذهب. أراك لاحقاً».

ردّت بخشونة: «واضح».

تمهل ديابلو وهو يضع إحدى يديه على مقبض الباب، ثم نظر من فوق كتفه إليها، وقال: «لن تقومي بأي تصرف أحمق. أليس كذلك؟»

أجابته بريار وهي تشبك ذراعيها: «عرّف ما معنى «أحمق»».



www.elromancia.com

أصدر ديابلو صوتاً يشبه الزئير الخافت، ثم أفلت الباب وتركه يتأرجح منغلقاً، فيما تقدم منها وسحبها بين ذراعيه. زمجر وهو يضمها إليه في عناق وحشي: «هذا هو التصرف الأحمق».

تصلبت بريار بفعل الصدمة إلى أن سرت إليها حرارة ديابلو فأسرت أحاسيسها. وتعلقت به يائسة، مدركة أنها لو أفلتته فسوف تسقط أرضاً.

تبادلا عناقاً محموماً يحمل طعم الشوق، فرقصت دماؤهما على وقع الطبول.

انسحب ديابلو أخيراً من ذلك العناق، بأنفاسٍ متقطعة وعينين زائغتين، فأحست بريار بما يشبه اللكمة في أحشائها.

- يا إلهي!

قال ديابلو ذلك وهو يفلتها، ثم تابع قبل أن يستدير ليخرج من الشقة: «لا بد أنني مجنون».

أغلقت الأبواب خلف ديابلو بتكتكة خفيفة. بعدئذٍ سمع صوت أبواب المصعد خافتاً من خلف الأبواب الخشبية السميكة المقاومة للضجيج. لكن بريار بدت متأكدة تماماً من أنها سمعت أبواب المصعد تنزلق وتنغلق، تماماً كما كانت متأكدة من أنها سمعت دقات قلب ديابلو المتقطعة تتردد على طول الطريق وهو نازل إلى مكتبه في مكان ما بالأسفل.

* * *

لا بد أنه بدأ يصاب بالجنون! ثبّت ديابلو ربطة عنقه حول عنقه النابض، ولوّح بالتحية لمساعدته الشخصية وهو يتوجه إلى مكتبه. أومأت المرأة محيية إياه وقالت: «إنه ينتظرك في الداخل».

لا بد أنه بدأ يصاب بالجنون... لا يمكن أن يكون هناك أي تفسير آخر لواقع أنه يتوق إلى هذه المرأة التي تدفعه إلى الجنون. إنها تدفعه إلى الجنون حقاً، فهي تشبه الزئبق في تصرفاتها، تتدحرج إلى إحدى الجهات ثم إلى جهة أخرى، وما إن يعتقد أنها سوف تتدحرج نحوه مجدداً، إذا بها تبتعد عنه، فلا يبدو قادراً على التحكم بها أو على احتوائها أبداً.



لكن ذلك العناق... لو لم يكن مجبراً على حضور ذاك الاجتماع، لما توقف ذلك العناق مكانه. اللعنة على ذلك... لِمَ على بريار أن تصعب الأمر إلى هذا الحد؟

وقف التحري الخاص ما إن دخل ديابلو إلى المكتب. أومأ ديابلو وهو يهزُّ يد الرجل باختصار، ثم قال: «باول، هل تأكدت من الأمر؟»

أومأ الرجل الآخر إيجاباً، وهو شرطي متقاعد قوي البنية، فقال: «أنا آسف ديابلو. لكن يبدو أن صديقك عاد إلى عاداته القديمة مجدداً. لدينا الدليل هذه المرة، بل هناك الكثير من الأدلة».

- اللعنة! لم تكن تلك مرة واحدة فقط، إذاً؟

- ليس وفقاً لصور ليلة الأمس.

- دعني أرى.

سلّمه التحري مغلفاً كبيراً، ثم انتظر بصمت إلى أن تسنّى لمستخدمه الوقت حتى يستوعب الصور الأولى على الأقل، فقال: «وهنالك المزيد».

وضع ديابلو الصور داخل ملف في مكتبه وقال: «أخبرني!»

- سمعوه يقول بأنه لن يتوقف إلى أن يستعيد كل ما خسره مع الفائدة. بدءاً من الليلة.

خبط ديابلو بقبضته على المكتب وهو يصرّ على أسنانه قائلاً: «يجب أن نوقفه لمرة أخيرة ونهائية».

أومأ باول قائلاً: «موافق».

- هذه الليلة، يجب أن ينتهي الأمر.

ردّ التحري الخاص: «سوف أتولّى الأمر».

لكن ديابلو قال: «لا! أعلمني بالتفاصيل، وسوف أتولّى الأمر بنفسي».

www.elromancia.com

# ٩ - الانتظار

تجولت بريار من غرفة إلى أخرى تتفقد منزلها الجديد، محاولة التقاط ما تخبرها به عن ديابلو. لكن بدا الأمر مستغرباً. ففي حين أن ديابلو رجلٌ حام مندفع وشغوف، فإن هذه الشقة العلوية تبدو باردة وغير شخصية. إنها جميلةٌ ولطيفة. ومع أن ديابلو يتحلّى بجمال إسباني ملكي، فلا يمكن وصفه بالرجل اللطيف العادي.

تمشّت عبر الجناح الرئيسي نحو الطابق العلوي، ولم تفاجأ برؤية الحياد الذي بدا الطابع الغالب هنا أيضاً. بعدئذٍ ألقت نظرة سريعة نحو الحمام الهائل المفتوح على غرفة النوم، آملة أن تجد هنا على الأقل شيئاً ما يخبرها عن طابع الرجل الذي تزوجته. لكن تبين أن أدوات حلاقته وزينته خُبّئت خلف المرآة العريضة الممتدة على طول أحد الجدران. فتحت بريار باب إحدى الخزائن، وفوجئت عندما التقت وجهاً لوجه مع مقتنياتها الشخصية. لم يكن ديابلو يمازحها حين قال لها إن كل أغراضها الشخصية نقلت إلى هنا!

بعد أن فتحت بابين آخرين وجدت أغراض ديابلو، وهي ليست مجموعة ضخمة. لكن مهما يكن، فهو لم يبدُ كرجل يثير جلبة لأجل تأنقه ومظهره. لم تجد بريار سوى قنينة عطر ما بعد الحلاقة وحيدة. فتحت غطاءها واستنشقت نفخة فتعرفت على الرائحة. وضع ديابلو هذا العطر أثناء حفل خطوبتهما وحفل زواجهما، لكنه لم يضعه منذ ذلك الحين.

يبدو أنه يفضّل العطر الخاص به، أي رائحة بشرته السمراء المليئة بالحيوية والتي تشكل طابعه الخاص.

عادت بريار إلى الجناح الرئيسي، ففتحت أبواب خزانة الملابس المغلقة



تماماً. كما وعدها ديابلو، احتلت ملابسها الخاصة نصف مساحة الخزائن، وجميعها معلقة بترتيب أكبر مما عرفته يوماً. سرت في جسمها قشعريرة. يالللغرابة! كل أغراضها هنا، ومع ذلك تشعر كما لو أنها دخيلة... فجأة بدا لها الأمر مزعجاً للغاية، وكأنه فعلاً زواج بالاكراه. صفقت أبواب الخزائن فأغلقتها، وسارعت بالنزول نحو الطابق السفلي.

الحمد لله أنه وافق على إعطائها مفتاحاً، فهي لا تستطيع البقاء هنا... ليس في هذا المنزل الذي لا طابع له. يجدر بديابلو أن يسمح لها بإجراء بعض التغييرات - بل الكثير منها - إذا كان يتوقع منها أن تقيم هنا.

تفقدت بريار البراد وهي في طريقها إلى الخارج. إنه تماماً كما توقعت. لم يحتوِ البراد إلا على القليل من الزبدة وبعض الجبنة وبضع زجاجات عصير. التقطت حقيبة يدها والمفتاح الذي تركه لها ديابلو، ثم خرجت من الشقة. سوف تسوي ذلك الوضع حالاً. اتصلت بوالدتها فإذا هي في المنزل. جيد! أطبقت هاتفها النقال ووضعته في حقيبتها، ثم قادت سيارتها خارج موقف السيارات السفلي نحو الطريق العام حيث زحمة السير.

آه! من الجيد أن تعود إلى المنزل، إلى سيدني وإلى مقود سيارتها. علا صوت بوق سيارة من خلفها اعتراضاً على تغييرها للمسار الذي كانت تسير فيه، فابتسمت للمرة الأولى خلال ذاك النهار. بدت شوارع سيدني مليئة بالحياة والطاقة، مقارنة بتلك الشقة العلوية المعزولة.

لم تأبه بريار لبرودة الطقس التي ترافقت مع تساقط رذاذ خفيف من المطر، فأنزلت زجاج نافذتها، سامحة لضجيج المدينة أن يحيط بها. استنشقت نفساً عميقاً، فأحست أنها حية من جديد، وأنها تعود إلى طبيعتها.

بالكاد! فهي ما زالت متزوجة من ديابلو.

ما الذي علمته عن زوجها اليوم؟ فقط أنه يمضي من الوقت في مكتبه أكثر مما يمضيه في شقته العلوية. كذلك فهو يأكل غالبية الأوقات خارج المنزل، ويستغل المزيد من الوقت ليعيش حياته. من الواضح أن شقته تلك ليست سوى فندقٍ قريب المنال من مكتبه. إنها مجرد شيء آخر في قائمة ممتلكاته



www.elromancia.com

الطويلة . . . مثلها تماماً .

ما إن اقتربت من المنزل الذي ما تزال تعتبره بيتها ، أخذت الطريق تلتف في أحياء على جانبيها متاجر صغيرة ، رأت الطاولات المغطاة بالمظلات أو المحمية بستائر منسدلة على الرصيف لحجب الرؤية . في حين حمل الهواء باتجاهها رائحة القهوة اللذيذة والبيتزا التي تم شويها على الحطب .

زمجرت معدة بريار ، فقد مضت ساعات على تناولها ذاك الفطور الضئيل . حالما تصل إلى منزلها ، سوف تغزو غرفة المؤن . عاد المستخدمون إلى عملهم الآن في منزل والديها ، لذا قد تتمكن من التحايل على مافيس لتعدّ لها سندويشاً تتناوله .

ازدادت شدة هطول المطر الآن ، فأغلقت بريار نافذتها . بعد مرور دقائق أوقفت سيارتها في الممر الطويل النصف دائري المؤدي إلى المنزل ، فرأت والدتها تلوح لها من الحديقة . سألتها وهي تخرج من السيارة ، فيما خلعت الوالدة قفازيها وعانقتها : «ما الذي تفعلينه؟ سوف يبلك الماء» .

– أنا فقط أقوم بنزع بعض الأوراق الجافة ، وأرتب المكان . أعضاء نادي البريدج سوف يحضرون إلى هنا غداً ، وأريد أن يبدو كل شيء جميلاً .

نظرت الوالدة إلى ابنتها للحظة ثم تابعت : «آه ، بريار! من الرائع أن أراك . تعالي إلى الداخل» .

ردّت بريار مبتسمة : «من الرائع أن أراك أيضاً» .

انتظرت حتى خلعت والدتها قبعتها الواسعة الحافة وجزمتها ، ثم قالت : «ألا يجدر بتشارلي أن يقوم بذلك؟ ألا يقبض راتبه لهذه الغاية؟»

أرجعت الوالدة شعرها الأشقر الفضي المقصوص حتى الكتفين إلى خلف أذنيها ، ثم هزت كتفيها وقالت : «استغنينا عن خدماته . سوف يحضر مرة كل شهر ليقوم بجز العشب . الآن ، تعالي! اجلسي لنتحدث . هناك ما أريد أن أريك إياه . . . بعض الصور الفوتوغرافية الرائعة . كان حفل الزفاف جميلاً جداً . زميلاتي في نادي البريدج لم يتوقفن عن الحديث عنه» .

أخذت الوالدة يد بريار فقادتها إلى داخل المنزل . لكن بريار سألتها



مدهوشة : «هل تركت تشارلي يذهب؟ لكن لماذا؟ يفترض أن تمتلكا المال الكافي لإبقاء جميع الموظفين الآن . فبالكاد تمكنا من إعادته .»

– أعلم ذلك . أنا أيضاً خاب ظني ، لكن والدك يعتقد أن من الأفضل أن نستمر في التوفير دوماً ، بعد أن أوشكنا على السقوط . كاميرون يرغب باستثمار جزء من الأموال في مشروع مستقل . ألا تظنين ذلك تصرفاً حكيماً؟

رفعت بريار حاجبيها مفترضة أن الأمر كذلك ، رغم أنها لم تعهد من والدها تصرفاً كهذا مطلقاً . قالت : «حسناً! ما دمتما لن تنتهيا بأداء جميع المهام والأعمال بنفسيكما» .

دخلت الوالدة إلى المطبخ وقالت : «لا تقلقي . والآن ، ماذا يمكنني أن أحضر لك؟ القهوة أم الشاي؟ أنا كنت على وشك تناول كوب من الشاي . هل تناولت الغداء؟»

– الشاي سيكون ممتازاً . شكراً ! ويمكنني حتماً تناول سندويش ما . هل مافيس موجودة؟

ضغطت الوالدة شفتيها على بعضهما وتنهدت ، ثم قالت : «ليس قبل وقت الغداء . اختصرنا ساعات عملها أيضاً» .

ملأت الوالدة إبريق الشاي ثم وضعته على النار ، فسألتها بريار : «من يعد الوجبات إذاً؟ حتماً ليس أنت؟ فأنت تكرهين الطبخ . . . لطالما كرهته» .

وضعت كارولين إحدى يديها على ذراع ابنتها ، وقالت : «أعلم ، لكنني أستطيع إعداد الخبز المحمص وتحضير سندويش . بدا الأمر إسرافاً وتبذيراً يمكننا الاستغناء عنه» .

– و . . . ماذا بخصوص التسوق؟ والغسيل؟ والتنظيف؟ مافيس كانت أكثر من مجرد طاهية . فهي مدبرة المنزل .

علّقت الوالدة بدهاء بدا أقل من صادق : «أنا أطلب توصيل طلبيات البقالة! أتدركين كم ذلك ملائم ومريح؟»

فتحت بريار علبة فغرفت ملعقتين من الشاي وضعتهما داخل الإبريق ، وحضرت والدتها بضعة سندويشات فيما هما تنتظران الإبريق حتى يغلي .



www.elromancia.com

– من الأفضل أن أتكلم مع والدي. لا بأس بالتوفير، لكنني أعلم كم كان الأمر متعباً من قبل. هل هو موجود؟

– كلا. خرج إلى مكان ما، ونسيت التفاصيل.

لاحظت بريار عبوساً في وجه والدتها، فسألتها: «هل تجري الأمور على ما يرام . . . أعني مع والدي؟»

– أظن ذلك. إنه ببساطة يخرج كثيراً مؤخراً. فهو يحاول إعادة تأسيس بعض العلاقات أو ما شابه. على أي حال، أنا لا أدري إذا كان تحدثك معه سيجدي نفعاً. إنه يبدو مصمماً جداً على إبقاء سيطرة حازمة على الأموال هذه المرة، فهو يتحدث عن الأمر باستمرار. حسناً! لمَ لا نتوجه نحو المستنبت الزجاجي حيث الطقس دافئ ومضيء، فيمكننا التحدّث عن أخبارك؟ لا بد أن هنالك الكثير الذي تودين إخباره!

فكرت بريار وهي تحمل صينية الشاي إلى الداخل. لكن ما هي الأخبار التي ترغب والدتها بسماعها؟ ومن أين عساها تبدأ؟

– حسناً! كيف كان شهر العسل؟ أعترف أنني فوجئت لرؤيتك بهذه السرعة. فهمت أن ديابلو خطط للبقاء بعيداً لفترة أطول.

رفعت بريار حاجبيها. من الواضح أن ديابلو أطلع والديها على ترتيبات سفرهما، ولا بد أنها الوحيدة التي بقيت جاهلة الأمر. قالت: «اضطر فجأة للعودة إلى العمل. سوف أدون لك رقم الهاتف».

تكلمت الوالدة وهي ترتشف الشاي: «يا للأسف! وهل أمضيتما وقتاً ممتعاً؟ بدوت باهتة جداً خلال حفل زفافكما، ولاحظ الجميع ذلك، لذا يسرني أن أرى أن اللون قد رجع إلى وجنتيك من جديد».

– حفلات الزفاف مرهقة. أليس كذلك؟ من المؤكد أنني سأبدو شاحبة.

ابتسمت المرأة الأكبر سناً وحملت أحد السندويشات، ثم استلقت إلى الخلف في كرسي الخيزران خاصتها. قالت: «أتذكر أن هذا ما شعرت به أيضاً، نعم. بالرغم من ذلك، لا يطول الأمر حتى يستقر المرء في الحياة الزوجية. بعدئذٍ لن يمكنك أن تتصوري نفسك غير متزوجة».



أقرت بريار وهي تحدق في السندويش الذي تحمله بين يديها كما لو أنه يحمل كل الأجوبة: «لست أدري. ما زال هنالك الكثير الذي لا أعرفه عن ديابلو. أظن أنني سأحتاج إلى بعض الوقت لكي أستقر في هذا الزواج. . . هذا إذا فعلت».

– بالطبع ستفعلين! سأخبرك أمراً قد يساعدك. أنا أيضاً لم أكن أعرف والدك جيداً حين تزوجنا، وها نحن الآن بعد مرور خمس وثلاثين سنة ما زلنا متزوجين.

رفعت بريار نظرها إلى الأعلى، وقالت: «ظننت أنكما تعرفتما على بعضكما قبل ذلك بسنوات».

– حسناً! كنا نعرف بعضنا معرفة عابرة، فأهلنا كانوا يلتقون في المناسبات نفسها، وكنا نحن أيضاً نحضر تلك المناسبات. لكن في الواقع أبوانا هما من فكرا بأننا ملائمان لبعضنا، فجمعانا سوياً.

– ماذا؟ أخبرتني أنك تعرفت إلى والدي في حفلة.

– نعم. . . فعلنا ذلك، لكنه كان من تدبير والدينا.

– هما رتبا زواجكما؟

ضحكت الوالدة وقالت: «آه! ذلك يجعل الأمر يبدو كأنه قادم من العصور الوسطى، والواقع ليس كذلك أبداً. والداي اعتقدا أن ذلك منطقي. بما أنني الابنة الوحيدة والوريثة الوحيدة، أرادا أن أتزوج زواجاً جيداً».

– لا أصدق الأمر! وأنت جاريتهما في ذلك؟

– لم أدرك حتى ما الذي يجري لبعض الوقت. . . ظننت أنها الصدفة فقط هي التي تجمعني بكاميرون باستمرار. لم أدرك أن والدي ووالده هما من كانا يحركان كل شيء. علي أن أقر بأن كاميرون كان رجلاً وسيماً جداً، لذا كان وجودي معه يسعدني. بعد مرور وقت قصير جداً، أعلنا خطوبتنا».

استطاعت بريار أن تتعاطف مع والدتها، فهي بدورها دُفعت من العزوبية إلى الزواج في خلال ما بدت لها فترة ستين ثانية فقط. لكن والدتها لم تتصرف أبداً كامرأة تم جرّها بالقوة على الرغم من إرادتها إلى فراش الزوجية.



www.elromancia.com

– لكنك تحبينه! لطالما أحببتِ أبي.

التمعت عينا كارولين بالرطوبة، وقالت: «نما حبي له مع الوقت. لم يكن حباً من النظرة الأولى أو ما شابه، بل استغرق الأمر بعض الوقت. أعلم أن الأمر لا ينطبق على الجميع، لكن إنجابك أنت وناثيال ساعد بشكل رائع على ربطنا سوياً».

غطت الغشاوة عينا والدة بريار، فمدت هذه الأخيرة يدها نحو يد أمها.

– ديابلو يرغب بإنجاب طفل في أسرع وقت ممكن.

كافأتها والدتها بابتسامة عريضة، وقالت: «كم هذا رائع! أنا مسرورة جداً».

– لا تتحمسي كثيراً، فأنا لا أعرف حقاً إذا كنت مستعدة لإنجاب الأطفال الآن.

وتابعت في سرها: خصوصاً مع ديابلو.

ردّت الوالدة بجواب مفحم وسريع، فقالت: «هراء! لطالما رغبتِ بإنجاب الأطفال، ومن الحكمة ألا تؤجلي الأمر لوقت طويل جداً. أنجبيهم وأنت ما تزالين يافعة مليئة بالحيوية لكي تتحلي بالقوة لتركضي خلفهم».

ارتشفت الوالدة الشاي، وتأملت ابنتها متفكرة من فوق حافة الكوب، ثم سألتها: «أتظنين أن ديابلو سيكون والداً صالحاً؟»

تنهدت بريار، إذ لم يكن ذلك أمراً ترغب في التفكير به، ليس بالنظر إلى ظروفهما. مع ذلك بدا لها أن لديها ما تقوله بشأن ذلك السؤال، فقالت: «لست أدري. أعني أنني لست واثقة... تبدو لي هذه خطوة كبيرة جداً، فنحن بالكاد نعرف بعضنا، ويبدو لي من السخافة ببساطة أن ننجب ولداً، في حين أنه ما زال هنالك الكثير لنعلمه عن بعضنا. لكن يبدو أن الأطفال يعنون الكثير بالنسبة إليه، كما أنه يتصرّف بلطافة أكثر مما توقعت... إنه كريم... ألديك فكرة بأنه يدعم مدرسة بأسرها في تشيلي؟»

انحنت الوالدة إلى الأمام فأعادت كوبها الفارغ إلى صحنه، وقالت: «حسناً...! يبدو لي أنك بدأت للتو تلينين موقفك تجاه ديابلو. أعلم أن



مشاريعكما للزواج بدت متسرعة، لكن أترين كيف تتطور هذه المشاعر بسرعة؟ أنا أعتقد أنك قد بدأت تقعين في غرام زوجك».

هزّت بريار رأسها، وقالت: «آه... لا! لا أظن ذلك. أنا فقط أعتقد أننا كنا عالقين سوياً في المنزل نفسه لبضعة أيام، فبدأت أرى وجهة نظره حيال بضعة أمور. الأمر مشابه تماماً للخاطفين الذين يتخذون الرهائن، فهؤلاء بدورهم يبدأون مع مرور الوقت بالتعاطف مع آسريهم. هذا كل شيء. ليس لدينا أي شيء مشترك. لا شيء».

ضحكت والدة بريار وقالت: «يجدر بك أن تسمعي نفسك وأنت تتكلمين، فأنت تبدين مأساوية جداً! أليس بينكما أي شيء مشترك؟ إذاً الأمور لا تسير على ما يرام، لنقل... في غرفة النوم؟ إذا كان ديابلو يفكر بالأطفال، فهو يرغب بهم إذاً».

رمشت المرأة الأصغر سناً بعينيها وهي تنظر نحو والدتها، وأحست أنها تحمرّ خجلاً، أجابت: «همم... ذلك... يبدو على ما يرام».

تنهدت الوالدة، وقالت: «جيد. أتعلمين؟ حينما جاءت فكرة هذا الزواج قلقت جداً عليك، فديابلو بدا... حسناً... غامضاً جداً وعازماً، وأعلم كيف يمكن أن يكون هؤلاء الرجال المتوسطيون... إنهم متطلبون، إذا كنت تفهمين ما أقصده».

كيف يمكنها أن تخبر والدتها أن علاقتها الحميمة مع زوجها جيدة جداً إلى درجة تجعلها أسيرة سحره؟ كررت: «إنه جيد».

يبدو أن الوالدة بالكاد لاحظت ذلك، فتابعت: «عذراً منك، شعرت بالطمأنينة عليك فقط حين رأيت النظرات التي يرمقك بها. من الواضح جداً أنه مذهول بك».

حان دور بريار لتضحك فقالت: «لا أظن ذلك. إن كان هناك ما أعرفه بخصوص ديابلو، فهو أنه لا يشعر مطلقاً بالذهول. أفترض أنه حينما ينظر إلي، يرى وجهاً آخر من ممتلكاته».

رفعت الوالدة أحد حاجبيها عمداً، وقالت: «أتظنين ذلك؟ في تلك



www.elromancia.com

الحالة، يعود الأمر إليك لكي تغيري شعوره ذاك. دعيه يتعرف إليك بشكل أفضل. تحدثي إليه... فتجعلينه يقع في غرامك، تماماً كما بدأت أنت تقعين في غرامه...»

- يجدر بك أن تتوقفي عن قول ذلك! ألا تتذكرين ما فعله بوالدي؟ ما الذي فعله بنا جميعاً؟ كدنا نُدَمّر بسببه. كيف عساك تظنين أنه يمكنني أن أقع بغرام شخص عديم الرحمة مثله؟

- إنه رجل أعمال...

- ذلك لا يبرر ما فعله!

- ربما لا، لكنه لم يكن مجبراً على مساعدتنا للنهوض على أقدامنا من جديد، كذلك.

- لم يفعل ذلك بدافع سخائه.

- فضلاً عن ذلك، فإن الشخص الذي نقع في غرامه ليس دائماً ضمن سيطرتنا واختيارنا، بغض النظر عن مدى رغبتنا في أن نرى الأمر كذلك.

لم تجد بريار أي رد على ذاك القول، لكنها لم تصدقه. إن الوقوع في الغرام ليس ضمن جدول أعمالها على الإطلاق، كذلك إنجاب أطفال لديابلو. فلو تغير ذلك فجأة، كيف عساها إذاً تحرر نفسها من فوضى هذا الزواج؟ الوقوع في غرام ديابلو سيدمّر كل مخططاتها. كيف عساها تستطيع تركه إذا كانت تحبه؟ ومع ذلك كيف تستطيع البقاء وهي تعلم أنها ليست سوى مجرد شيء آخر من ممتلكاته الثمينة؟

قالت بريار مفسرة بمنطق: «اسمعي! إذا كنت واقعة في غرام ديابلو، لماذا إذاً لا أدرك ذلك؟ جل ما أشعر به مؤخراً هو الاضطراب، وأنا نفسي لا أعرف رأيي بالأمر».

ثم تساءلت فوراً لماذا أزعجت نفسها حتى بطرح هذا السؤال.

أمسكت الوالدة يد بريار بين يديها، وقالت: «وما أدراك ما سيكون عليه شعورك عند الوقوع في الغرام؟ يبدو الأمر كأنما تفقدين نفسك، فتشعرين بالارتباك التام والحماس والسعادة، فلا تدركين إن كان يجدر بك أن تضحكي



أو أن تبكي من فرط السرور، وغالباً ما تفعلين الأمرين معاً. لكنك لا تفقدين نفسك بالفعل مطلقاً. بالطبع عليك أن تتخلي عن فكرة كونك شخصاً مستقلاً بذاته، لكن ما تربحينه من الحب قيّم جداً ويستحق العناء».

- من المبكر جداً التحدث عن ذلك. لم يمضِ على زواجنا سوى وقت قصير جداً. لا يمكن أن يحدث ذلك كله بهذه السرعة. ليس في حين أنني لست معجبة بهذا الشخص!

قوّست الوالدة أحد حاجبيها، وقالت: «لكن... هل هذا صحيح؟ أأنت حقاً لست معجبة بديابلو؟»

بالطبع! أرادت بريار أن تصرخ عالياً. أنا لست معجبة بديابلو... أنا أكرهه. لكن الكلمات رفضت أن تخرج من فمها، على الرغم من أنها أرادتها أن تفعل. تلك الكلمات ربما كانت صحيحة في ما مضى. فهي كانت تكره الرجل، تمقته، وتشمئز منه.... أما الآن فالأمور تغيرت. إنها لا تكرهه أبداً... ليس فعلاً. حتى إنها لا تستطيع القول بأنها غير معجبة به. كأنما الكراهية وعدم الإعجاب تم استبدالهما بمفاهيم أخرى. سرح ذهن بريار عائداً إلى عناق وداعه عند الباب قبل قليل. ذلك العناق الذي يمزق الروح، والذي يبدو كأنه اخترق روحها فانتزعها منها، بحيث أخذها ديابلو معه حين رحل. لا مجال أبداً لأن تدعي أنها تكرهه بعد كل ذلك. لا... إنها تريده ببساطة ووضوح، وذلك هو كل ما هي مستعدة للإقرار به.

اعترضت بريار غير مصدقة، وقد بدا لها أن أسس حياتها أخذت تهتز تحت قدميها، فقالت: «الأمر غير منطقي».

ردّت الوالدة وهي تربت على يدها: «نحن نتحدث عن الحب. لا يفترض به أن يكون منطقياً. والآن، هل ترغبين بالمزيد من الشاي؟ يبدو أنك تحتاجينه».

* * *

دخلت بريار إلى الشقة وهي تشعر بالقلق خشية أن يكون ديابلو غاضباً لأنها تأخرت في الخارج. في الواقع، هي لم تقصد ذلك، لكنها تأخرت في



www.elromancia.com

الوصول إلى السوبرماركت أكثر مما توقعت. ساعدت والدتها على اقتطاع الأوراق اليابسة من بقية الحديقة بعد أن توقف المطر، وذلك جعلها تفقد سيارتها خلال ساعة الذروة في طريق عودتها إلى الشقة. لكن عرقلة السير منحتها مزيداً من الوقت للتفكير، وهو ما كانت بحاجة إليه.

لدى دخولها هذا الزواج، توقعت أن يبقى شعورها تجاه ديابلو في نهايته تماماً كما كان في البداية. لكن بعد مرور أيام قليلة، أخذت مشاعرها تجاه زوجها تتبدل. وبما أنها تحولت من الكراهية الشديدة إلى التوق الشديد خلال هذه الفترة القصيرة من الوقت، فما الذي يمكن أن يحصل خلال سنة أو اثنتين أو ربما أكثر؟

نادت بريار: «لقد وصلت إلى المنزل!»

لم يجبها سوى أنين البراد الجائع. إذاً ديابلو لم يعد بعد؟ إنها ضربة حظ. وضعت أكياس البقالة في المطبخ، ثم انطلقت مسرعة لتستحم وتبدل ثيابها. عادت بعد مرور عشر دقائق وقد بدّلت سروال الجينز والجزمة بتنورة أنيقة ذات طبقات عدّة، ونسّقت معها قميصاً تنزلق عن الكتفين. جذبت بريار إلى الخلف القسم العلوي من شعرها فوضعت عليه مشبكاً للشعر، وتركت ما تبقى منه يطوف حول كتفيها. تلك التسريحة تجعلها تشعر بالأنوثة من دون أن تعيقها في أعمال المطبخ. بعدئذٍ رتبت البقالة، فوضعت المكونات التي ستحتاجها لتحضير العشاء على حدة، ثم انطلقت تعد المكان الذي سيتناولان فيه الطعام. إن غرفة الطعام التي تملؤها الكراسي الشبيهة بشواهد الأضرحة لن تجدي نفعاً أبداً. لكن الطاولة الصغيرة المعدّة للفطور، على أحد جدران المطبخ، سوف تفي بالغرض وتكون حميمة وجميلة. زينتها بريار بغطاء طاولة جميل مقطع الى مربعات صغيرة كطاولة الشطرنج من اللونين الأزرق والذهبي، ثم وضعت شمعدانين جديدين مع شمعتين من اللون العسلي في وسط الطاولة، كما أعدّت مكانين لتناول العشاء. توقعت أن تجد فوط سفرة فاخرة في الشقة من اللون الأبيض، وكانت محقة. وضعت الفوط المكمّلة لغطاء الطاولة، لإضفاء المزيد من اللون على المكان.



تراجعت بريار إلى الوراء متأملة عملها. بدا جيداً، مبهجاً وشهياً. بالرغم من ذلك، شعرت أنه ما زال يفتقر إلى شيء ما. أحست بلمحة من الوحي، فأسرعت صعوداً إلى الطابق العلوي، ووجدت كيس الأصداف التي خبأتها في حقيبة أغراضها ذاك الصباح. إنها مناسبة تماماً، فهي تعيد إليهما ذكرى ذلك النهار حيث تواصلا كزوجين حقيقيين... ربما يساعها ديابلو على فظاظتها، لو فهم كم عنى ذاك النهار بالنسبة إليها.

رتبت بريار الأصداف على الطاولة بين الشمعتين، وانطلقت بعد ذلك لتعد عشاء بسيطاً من السباغيتي مع ثمار البحر والسلطة مع الخبز المدهون بالثوم. فكرت أن شوربة المحار بالإضافة إلى ما اشترته من دكان البقالة الإيطالي سوف تتمم الوجبة. لم تكن قائمة الطعام التي أعدتها إسبانية، لكنها تعلم أن ديابلو يحب الطعام الإيطالي، وإذا كانت محظوظة، فهي سوف تنتهي من إعداده قبل عودة ديابلو من العمل.

لعلهما سيتمكنان الليلة من التحدث بصراحة. لعلها ستتمكن من أن تشرح له كم تشعر بالارتباك. لعلها تحظى بالفرصة لأن تعلمه بأنها تود أن تصبح أكثر من مجرد إحدى ممتلكاته...

مع حلول الساعة الثامنة كانت بريار قد جهزت كل شيء، فالطعام يغلي على نار خفيفة، وسيصبح جاهزاً للتقديم بعد لحظات. أطلقت تنهيدة ارتياح، ثم تفقدت تبرجها، وخلعت مئزر المطبخ. إن كانت تنوي إطلاع ديابلو على نصف الأشياء التي تتوقع أن تقولها له الليلة، فهي بحاجة لأن تبدو بأحسن صورة وعلى قدر من الثبات والعزم.

مع حلول الساعة التاسعة، كانت بريار قد لجأت إلى قراءة مجلة وجدتها في غرفة الجلوس. ومع حلول الساعة العاشرة كانت قد ملّت من المجلة، فأخذت تتنقل بين قنوات الكابل الموجودة على شاشة التلفزيون من دون أن تجد ما يلفت اهتمامها. بعدئذٍ سيطرت فكرة واحدة فقط على أفكارها. أين هو ديابلو؟ قال لها إنه لن يتأخر. أهذه هي فكرته عن عدم التأخر طويلاً أم أنه ببساطة لا يأبه؟

الأمر فتح المجال أمام أكثر الأفكار بشاعة بين جميع ما فكرت به. أيكون



www.elromancia.com

الاجتماع المهم الذي هرع ديابلو مسرعاً لأجله، ليس له علاقة بالعمل مطلقاً؟ ربما كان بحاجة إلى وقت يمضيه برفقة عشيقة ما كتعويض عن الوقت الذي أمضاه برفقة زوجته التي لا تتحلى بالعقلانية.

إن كون ديابلو لم يتصوّر مع المرأة نفسها مرتين لا يعني أن رجلاً مثله ليست لديه عشيقة مخبأة في مكان ما. من الواضح أنه كانت لديه عدّة عشيقات قبل ظهورها في الصورة. لمَ سيتغير ذلك الآن ببساطة بعد أن أصبح متزوجاً؟ إنه على الأرجح كان يتحرقَ شوقاً لإشعال فتيل النار من جديد.

لكن ديابلو عانقها بشغف قبل مغادرته للشقة. أيعقل أن يكون بهذه الفظاظة، ليذهب مباشرة من بين ذراعيها إلى ذراعي عشيقة ما؟ لكن... هل تستطيع حقاً أن تلومه إذا لجأ إلى ذراعي امرأة غيرها؟ لا! هي لا تستطيع أن تلومه، لكن ذلك لا ينفي رغبتها بخنق أي امرأة كان برفقتها هذه الليلة! مع حلول الساعة الحادية عشرة، قلّبت بريار صفحات دليل الهاتف بحثاً عن رقم هاتف مكتبه، وهي غاضبة من نفسها لأنها لم تقم بعد بتدوين رقمه على هاتفها النقال. طلبت رقم هاتف مكتب ديابلو، ولم تفاجأ بتلقي رسالة صوتية مسجّلة لساعات ما بعد الدوام: «اترك رسالتك بعد سماع الإشارة الصوتية» أحسّت برغبة في أن تسأله أين أنت الآن؟ لكن يجدر بديابلو أن يعود إلى الشقة قبل وقت طويل من تلقيه هذه الرسالة، لذا فلا فائدة منها. كذلك فما عساه يستنتج من رسالة مماثلة؟ هل تراه سيفكر أن زوجته البعيدة الباردة تحولت فجأة إلى عريشة متعلقة به؟

راحت تسير في حلقات دائرية في أرجاء المطبخ، متفقدة الشورية التي لم تعد في قمة جودتها. وضعت غطاء على قدر صلصة الطماطم التي كانت قد حضرتها، منتظرة قدوم ديابلو عبر الباب حتى تتمكن من إضافة ثمار البحر إليها. أما المعكرونة الطازجة فبقيت جاهزة بالقرب من القدر المخصص لها، بانتظار قدوم ديابلو لكي تغلي الماء وتعدّها. بدا كأن كل شيء ينتظر بغير جدوى. تفقدت الوقت مرة جديدة، وفكرت: حتى لو عاد ديابلو الآن، فسيكون قد تناول عشاءه.



قاربت الساعة منتصف الليل، وبدا من الواضح أن ديابلو لن يعود إلى المنزل هذا اليوم. سخرية الموقف كادت تجعل بريار تضحك بصوتٍ مرتفع. أتراها خسرت زوجها ما إن بدأت تعترف لنفسها بتعلقها به وبأنها ربما وقعت بغرامه. ديابلو لا يأبه بالعودة إلى المنزل كي تخبره بالأمر حتى!

أرادت بريار أن تغضب. أرادت أن تثور ضد عدم العدالة في هذا الموقف بأسره. تمنت لو أنها تغادر فتجد لنفسها سريراً في فندق مجهول حيث لن يستطيع ديابلو أن يجدها. لكن ما الهدف من ذلك؟ إن لم يعد إلى المنزل، فهو لن يقدّر أبداً عربون المبادرة الودية التي قامت بها. عوضاً عن الغضب، جل ما أحست به هو إرهاق في عظامها استنفد كل طاقتها.

ألقت نظرة أخيرة على أرجاء المطبخ قبل أن تطفئ الأنوار، ثم توجهت إلى الطابق العلوي نحو السرير، فهي لم تعد جائعة في جميع الأحوال.

* * *

يا لها من ليلة مزعجة حقاً!

دخل ديابلو إلى الشقة المعتمة بعد مرور ساعات على توقعاته بالعودة. لم يكن يتطلع قدماً لأي شيء أكثر من تناول كوب من الماء ثم التوجه إلى السرير، أما بريار فإن كانت تتحلى بأي ذرة من العقلانية، ينبغي أن تكون قد دثرت نفسها في السرير وغرقت في النوم. نظراً إلى مزاجها السيء مؤخراً، لعلّ ذلك أفضل حقاً، فديابلو لم يكن في مزاج يسمح له بالتعامل مع المرأة اللاذعة الآن بالذات. ونظراً إلى ما لديه من أخبار ينوي إطلاعها عليها، من الأفضل أن تحظى بنوم ليلة كاملة أولاً.

لوى ديابلو عنقه من جهة إلى الأخرى. يا إلهي، كم هو متعب! تسلل عبر الستائر ما يكفي من النور حتى يستطيع إيجاد طريقه نحو البراد من دون أن يشعل النور. فضلاً عن ذلك، فإن رائحة الثوم المنبعثة من تلك الناحية، كانت كافية لإغوائه. لا بد أن بريار أعدت لنفسها طبقاً من البيتزا. إن كان محظوظاً، فقد يجد قطعة أو اثنتين. بدأت معدته تزأر لدى تصور هذه الفكرة.

جذب ديابلو باب البراد ففتحه، وطرف بعينيه حين رأى رفوف البراد التي

تفيض بالخضار و الأطعمة. رأى أيضاً سلطة مغطاة وشيئاً ما يبدو كصحن من ثمار البحر النيئة.

تراجع إلى الوراء، وترك باب البراد ينغلق، ثم عبس وأضاء الأنوار الخافتة. رأى عندها القدور على السخّان. لكن الطاولة المعدة لعشاء حميم لشخصين، هي التي استوقفته وأثارت دهشته.

- ماذا يحق الـ...؟

تجول متفحصاً الطاولة وغطاءها الأنيق الذي لم يعرفه والفوط المرتبة والشموع... التقط إحدى الأصداف، ثم لفّ أنامله حولها، فوزنها بخفة بين يديه. هل أعدت بريار له العشاء؟ ظن أنها سوف تتصرف على العكس من ذلك، لكن من الواضح أنها كانت تنتظره وتتوقع قدومه.

قلّب ديابلو الصدفة في يده، ثم قلبها مجدداً. كان ينوي أن يتصل بها هاتفياً، ثم علق بشيء ما شغله، وفجأة أصبح الوقت متأخراً جداً. كما أنه لم يفكر حتى بأنها قد تأبه. على أي حال، لم تبدُ متحمسة جداً لوجودها معه اليوم... صحح لنفسه، بالأمس.

نظر ديابلو حوله في أرجاء المطبخ. من الواضح أنها تأبه له، بما أنها تكبدت كل هذا العناء. من يعلم؟

صعد الدرج المؤدي إلى غرفة النوم، ففوجئ بأن ضوء الحمام الخاص بغرفة النوم ما يزال مضاءاً. أتراها تركته مضاءاً لأجله أم لأجلها هي، لأنها ليلتها الأولى في منزلها الجديد؟

انسكب النور على وجه بريار وعلى شعرها الذي انتشر على الوسادة كالوشاح. عبس ديابلو وأمعن النظر عن كثب، فرأى ظلاً صغيراً فوق وسادتها. نظر عن قرب، ملامساً بأطراف أنامله بخفّة تلك المساحة. إنها رطبة... أتراها بكت إلى أن غفت؟ أحس بشيء ما في أعماقه يتحرك ويتفتح. لأول مرّة منذ وفاة والدته، أحس أنه يرغب بشيء ما لا يمكنه الحصول عليه.

لو أنه فقط يستطيع وضع يده على هذا الشيء. وقف هناك لوقت طويل ينظر نحو زوجته النائمة... زوجته الجميلة... زوجته المعقدة. ما الذي



يفترض أن يمثله عشاء الليلة؟ أهو عربون سلام، أم ببساطة آخر خدعة في حربها الحارة الباردة؟

شكّ ديابلو بأن بريار نفسها قد تعرف الجواب. أمر واحد مؤكد حتماً؛ بعد تكبدها ذاك العناء، من المرجح أنها لن تكون في مزاج جيد حين تستفيق. أمر يجعل من الخبر الذي ينوي إطلاعها عليه أصعب حتى مما هو.

فك ديابلو أزرار قميصه وتوجه نحو الحمام الخاص بغرفة النوم.

يا إلهي! يا لها من فوضى!

* * *

أحست بريار بصوت رنين الهاتف غير المألوف يجرجرها خارج أحلامها. تلك الأحلام الغريبة... المزعجة. أحلام ملؤها الخسارة والحزن، مع ذلك الاحساس بالحرارة وبذراعين قويتين ملتفتين حولها. لكن، تماماً كما ذهبت إلى النوم بمفردها، استيقظت بمفردها.

ربما ليست بمفردها تماماً كما أدركت فجأة، حيث سجلت عيناها وهي تفركهما تلك المساحة على الوسادة إلى جانبها، فيما سجلت أذناها صوت تدفق المياه في حمام غرفة النوم، وذلك بين رنّات الهاتف.

في أي وقت وصل ديابلو؟

رمشت بريار بعينيها، وحاولت الوصول إلى جهاز الهاتف. رفعت السماعة من مكانها وقالت: «مرحباً!».

على الفور تعرفت على صوت والدتها بين التنهيدة والأخرى وهي تقول: «آه، بريار! يسرني أنني وجدتك».

www.elromancia.com

## ١٠ - أين الحقيقة؟

بدأ الأدرينالين يتصاعد داخل بريار فهبت واقفة كالسهم من سريرها. سألت والدتها: «ما الأمر؟ ما الذي جرى؟»

- عقد والدك اجتماعاً مع ديابلو ليلة الأمس. فقام ديابلو بقطع المصروف عنا تماماً. لا مزيد من الودائع... لا مزيد من المال. ما زال المنزل بحوزتنا في الوقت الراهن، لكنني لست أدري كيف عسانا نتدبر أمرنا.

- لكن... لماذا؟

سألتها بريار ذلك محاولة تصور ما حدث ليلة الأمس. هل اجتمع ديابلو بوالدها؟ أهذا هو مكان تواجده طيلة الوقت؟ أكان حقاً مع والدها وليس برفقة امرأة أخرى؟ لا شيء يبدو منطقياً. تابعت تقول: «لست أفهم».

- ولا أنا. ظننت أننا نتدبر إدارة الأمور بشكل جيد تماماً. أنا قلقة على والدك... لم يمض على عودته سوى بضع ساعات، وهو يبدو متوتراً جداً و... حسناً! بصراحة أنا قلقة عليه.

- لا بد أن هناك خطأ ما. لا يمكن أن يفعل ديابلو ذلك، فالاتفاق...

- كاميرون قال إن الاتفاق ألغي.

همهس الهواء وهو يخرج عبر أسنان بريار: «وهل أخبرك والدي لماذا؟»

- آه، عزيزتي! بدا كاميرون غاضباً جداً. لا أظن...

ألحّت بريار وأناملها تشدّان القبضة على الهاتف: «أخبريني!»

نشجت الوالدة مجدداً، وقالت: «كاميرون قال إن ديابلو لم يعد بحاجة إليه بعد أن حصل على مراده».

اتجهت نظرات بريار نحو باب الحمام التابع لغرفة النوم. أيها الوغد!

- هل تظنين أنه يمكنك التحدث إليه؟

كانت بريار قد خرجت لتوها من السرير باحثة عن الملابس بغير اكتراث،



مصممة على ارتداء ملابسها قبل خروج ديابلو من الحمام.

- لن ينجو بفعلته هذه. لا تقلقي! سوف أصل حالاً.

جذبت بريار سروالاً من الجينز مع كنزة. لبست كل قطعة منهما مترافقة مع لعنة موجهة مباشرة نحو ديابلو. كانت تجذب شعرها لتعقده في ظفيرة خلف رأسها حين ظهر موضوع لعناتها. ظهر ديابلو وهو يلف منشفة حول خصره، فيما راح يجفف شعره بمنشفة أخرى.

وقف في باب الغرفة المفتوح، ثم قال: «أنت مستيقظة إذاً!».

أدارت بريار رأسها بعيداً وهي ترفع أحد حاجبيها فيما جلست على السرير حتى تنتعل جزمتها، وقالت: «تدهشني قوة ملاحظتك».

رأته بطرف عينها وهو يسير متجهاً نحو خزانة الملابس. فتح أحد الأبواب وقال: «إذاً أنت غاضبة مني. هذا ما توقعته».

- بالطبع أنا غاضبة جداً منك! ما الذي توقعته بحق الجحيم؟

- لم أدرك أن الأمر مهم إلى هذه الدرجة.

- أنت أخلفت بوعدك... كذبت عليّ.

أصدر ديابلو صوتاً ينم عن الانزعاج، واستدار نحوها قائلاً: «ألا تظنين أنك تبالغين بالموضوع قليلاً؟ كنت مستعداً للاعتذار، لكنني الآن أرى أن ذلك ببساطة من غير جدوى».

- أتظن أن اعتذاراً سخيفاً سوف يعوض ما فعلته؟ يا لها من جرأة!

- ما الذي تريدينه إذاً؟

- أريد أن أخرج من هذا المكان اللعين.

- أأنت راحلة لأنني لم أتصل؟

سألته بريار وهي تواجهه: «ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم؟»

تابع ديابلو النظر إليها قائلاً: «لم تكن لدي أدنى فكرة بأنك تكبدت كل هذا العناء... العشاء والشموع والطاولة المعدّة لشخصين».

لوّحت متجاهلة كلماته، ثم قالت: «أنا لا أتحدث عن ليلة الأمس».

اتسع صدر ديابلو حين استنشق نفساً عميقاً، وقال: «إذاً، سأستخدم



www.elromancia.com

كلماتك الفصيحة الخاصة: ما الذي تتحدثين عنه بحق الجحيم؟»

– اتصلت والدتي للتو، فأخبرتني أنك تراجعت عن الاتفاق. لا مزيد من الودائع، لا مزيد من المال.

رمى ديابلو المنشفة التي كان يحملها على الأرض، وقال: «آه! إذاً وصلتك الأخبار».

– آه! نعم. عرفت بالأمر. سمعت أنك أطلعت والدي على الخبر السعيد، فقلت له إن صندوق الكنز نفد الآن بما أنك حصلت على الزوجة المؤدبة ابنة المجتمع الراقي.

التمعت عينا ديابلو، فأصبحتا فجأة عديمتي الرحمة وهو يجيبها: «حسناً! في البداية، تلك كذبة وقحة. فلا يمكن لأي شخص أن يخطئ ويسميك «زوجة مؤدبة من المجتمع الراقي».

جذبت باب خزانة الملابس ففتحته، وانتزعت الحقيبة التي كانت قد أفرغتها مساء الأمس ثم رمتها بقوة على السرير الواسع.

– إذاً ألن أحصل على الأقل على فرصة لأدافع فيها عن نفسي؟

فتحت بريار سحاب الحقيبة، ونظرت إلى ديابلو قائلة: «بالطبع! هل قلت لوالدي إنك ستوقف الإمداد المالي أم لا؟ . . . ذاك الرصيد الذي وعدتهما به حين تزوجتني.»

ضاقت عينا ديابلو، وأصبحتا قاسيتين، فقال: «لقد فعلت».

فتحت بريار غطاء الحقيبة، وقالت: «إذاً، هذا هو التأكيد الذي أحتاجه. إذا كان عقدك معه قد ألغي، فعقدك معي ألغي أيضاً. لم أعد ملزمة بأن أكون زوجتك، وأفترض أنه يمكننا جميعاً أن نتنهد بارتياح لذلك».

تحركت نحو خزانة الملابس، إلا أن ديابلو تحرك أيضاً أمامها، شابكاً ذراعيه فوق صدره العاري، فيما التفت تلك المنشفة حول وركيه، فبدا كإله مصري قديم. بدا طويلاً، متغطرساً وغير راضٍ. حتى في هذه اللحظات المليئة بالغضب استطاعت بريار أن تشعر بالحرارة تنبعث منه.

– لا يمكنك الانسحاب من الزواج بمثل هذه السهولة.



ردّت بريار وهي ترفع نظرها نحوه محدقة به: «ربما كان يجدر بك أن تفكر بذلك قبل أن تحلّ هذا الاتفاق. لا تتوقع مني أن أبقى متزوجة بك بعد ما حصل. لا أستطيع أن أصدق أنك متحجر القلب إلى هذا الحد، خصوصاً بعد ما كان والدي يقوم به ليبدأ من جديد. على الأرجح أنك لا تملك أدنى فكرة كم كان يجدّ في العمل محاولاً إيجاد سبلٍ لتوفير المال».

عبس التمثال الواقف أمام بريار، وقال: «لتوفير المال. . . !؟ كيف ذلك؟»

ردّت بريار وهي تصرفه عنها: «علمت أنك لا تعرف ذلك. ظن والدي أن توفير بعض المال هو فكرة جيدة. تصوّر أنهما يستطيعان تدبّر أمرهما فيستغنيان عن الكثير من وسائل الراحة التي يمكنهما الحصول عليها، لذا قام بتخفيض عدد الموظفين في الأعمال المنزلية. أراد أن يوفّر ما تبقى من المال كي يبدأ بالاستثمار من جديد. أما الآن بعد أن فسخت العقد، فلم يتبقّ سوى تلك الأموال التي وضعها جانباً لكي يستثمرها».

زمجر ديابلو: «آه! كي يستثمرها! لا شك لدي. أما ما أشك فيه فهو وجود ذلك الخبأ الذي يمكنه الاعتماد عليه حين يهوي، نظراً إلى أن نوع الاستثمارات التي يفضلها والدك هي من صنف كل شيء أو لا شيء».

– ما الذي تقوله؟

– حتى لو سلمنا انه كان يسعى لتكوين شيءٍ ما، فهو على الأرجح قد غامر به وخسره.

– أنت مجنون! ألا تدرك متى يجدر بك التوقف؟

دارت بريار من حول ديابلو ففتحت باب خزانة الملابس، متناولة الأغراض القليلة التي كانت قد فكت توضيبها ليلة الأمس.

– وأين تظنين أن اللقاء بيني وبين والدك تم ليلة الأمس؟ أفي قاعة كنيسة البلدة؟

– أخبرني أنت، فأنت من يواجه الاتهامات هنا.

– في نادٍ للألعاب خاص جداً ومميز جداً. إنه في الواقع النادي الرابع الذي تتبعت أثره إليه. . .



www.elromancia.com

هزّت بريار كتفيها، إذ لا علم لها أن والدها يقصد أماكن مماثلة أبداً. لكن ماذا لو فعل؟ قالت بكبرياء: «إنه راشد تجاوز الثامنة عشرة من عمره، وهو ليس خارجاً عن القانون. لكن ما الذي كنت تفعله أنت هناك؟»

- أحاول إيقافه.

ذلك القول جعلها تدير رأسها بقوة، لتسأله: «عن ماذا؟»

- عن المقامرة بكل ما تبقى من المال الذي حولته إلى حسابه يوم زفافنا.

- أنا لا أصدقك. أنت تريد التملص من اتفاق عقدته مع والدي، والآن تحاول إيجاد طريقة لإلصاق التهمة به.

- والدك مقامر. عندما عقدنا هذا الاتفاق وعدني أنه سوف يبقى خارج النوادي المشبوهة.

- لمَ يجدر بي أن أصدقك؟

- فكري بالأمر. لماذا تظنين إذاً أنه وافق على ذلك الاتفاق الغريب بيننا؟ لأنه كان للتو قد قامر بكل ما يملك من أموال وخسرها.

- لأنك سرقتها من بين يديه!

- لا! بغض النظر عن وضعيته، والدك ليس أكثر رجال الأعمال حذاقة في العالم.

قاطع ديابلو اعتراض بريار قبل أن تتمكن حتى من التفوه به، فقال: «هو كفؤ بالطبع، لكن كاميرون دافنبورت ليس متفوقاً في مجال العمل. راح يخسر الأموال لسنوات. لم يكن الأمر مهماً لفترة طويلة مع وجود الكثير من المال بين يديه. لكن حين صار الأمر خطيراً، وجد والدك لنفسه طريقة لاسترجاع ما خسره أو على الأقل ذاك كان مخططه.»

- لا أعلم لما تراني أستمع إلى هذا الكلام حتى!

- لأنها الحقيقة، وأنت بحاجة إلى سماعها! لكن الله وحده يعلم أنني لم أشأ أن أكون أنا من يطلعك عليها.

- لا تقل لي ذلك، أنت تستمتع بهذا. لطالما رغبت بالحصول على ما يملكه والدي... المكانة الاجتماعية التي يحتلها، مركزه المالي... أما الآن فقد



حصلت على ذلك كله وعليّ أنا لكنك لم تكتفِ، أردت أن تغرقه إلى الحضيض.

- أنا لم أكن أريد هذا!

أقفلت بريار سحاب الحقيبة، ورفعتها بقوة عن السرير وهي تقول: «أنا لا أصدقك. فهذا هو بالضبط ما توقعته منك، أن تتصرف بهذا الشكل، نظراً إلى سمعتك. لست أدري لما وثقت بك حتى.»

- وإلى أين تظنين نفسك ذاهبة بتلك الحقيبة؟

- إلى مكان كان يجدر بي أن أقصده مساء الأمس. أنا ذاهبة إلى المنزل... منزلي أنا.

- و... برأيك، ما الذي سيحققه ذلك؟

- كبداية، سوف يبعدني عنك. فضلاً عن ذلك، والداي بحاجة إلي الآن.

- إذاً، أنت عائدة إلى والدك العزيز.

- إنه يحبني على الأقل!

ضاقت عينا ديابلو، ثم سألها: «أأنت واثقة أن ليس للأمر علاقة بليلة الأمس؟ الوجبة المحضرة... الطاولة المعدّة لشخصين؟ ما الذي كنت تأملين بتحقيقه؟ أنوع من التصريح بالحب الأبدي؟»

- منك أنت؟ لن أتوقع ذلك!

قالت بريار ذلك وهي تشعر بالدهشة من مشاعرها التي بدت حقيقية. تابعت قائلة: «لا آبه مطلقاً بليلة الأمس!»

جذبت الحقيبة وانطلقت نحو الباب، فيما بدأت الدموع تخز عينيها إلا أنها تابعت تقول: «الأمر يتعلق بوجودك إلى جانب الأشخاص الذين يحتاجون إليك... الأشخاص الذين يحبونك. أنت لن تفهم ذلك مطلقاً».

تكلم ديابلو وقد التوى فمه بانحناءة لئيمة قائلاً: «آه! نعم. أنا أفهم ذلك تماماً. يا له من والد ذاك الذي يحب ابنته الرقيقة إلى درجة أن يقامر بها فيخسرها في لعبة قذرة».

أدارت بريار رأسها بسرعة، وألقت نظرة أخيرة على الرجل الذي لم يمضِ على زواجها به بضعة أيام، وبالرغم من ذلك أحست تجاهه بمشاعر كما لو أنه



www.elromancia.com

مضى على زواجهما بضعة أجيال. قالت له: «أتلك هي محاولتك الأخيرة اليائسة لتبرير ما فعلته؟»

هزّت رأسها ببطء من جانب إلى الآخر. أليس هناك نهاية لأساليب ديابلو في تحوير الحقيقة حتى تتناسب مع أهدافه الخاصة؟ أتراه نسي أنها كانت موجودة تلك الليلة في مكتب والدها حين تم عقد هذه الصفقة؟

تذكرت بريار أنها أحست بخيوط من الغيرة بالأمس لدى ظنها أنه مع امرأة أخرى، وتصورت أنها بدأت تقع في غرامه! حتى إنها بدأت تحلم بإنجاب أطفاله! شعرت بالامتنان لأنه لم تتسنَّ لهما الفرصة للتحدث ليلة الأمس، ولأنها لم تكشف أبداً عن شعورها تجاهه.

لايمكن أن تحبه! لا مجال لأن يحصل ذلك... خصوصاً الآن بالذات. أما هذا الفراغ المؤلم الذي شعرت به في داخلها فهو ببساطة صفعة خيانة باردة، أخذت تكبر وتزداد حجماً حين أدركت كم كانت قريبة من تقديم قلبها له. بصقت بريار في وجهه قائلة: «أنا أكرهك. ولم أكن أدرك مقدار هذا الكره حتى الآن. أنا لا أرغب برؤيتك مجدداً».

- وماذا سيحصل حين تكتشفين أنني أقول الحقيقة، ماذا سيحصل حينها؟ لا تتوقعي مني أن أسامحك حين تعودين إلي زاحفة.

- لا مجال لذلك مطلقاً، بالنسبة للأمرين.

- إذاً، أنت مغادرة بالرغم من عقد زواجنا؟

- أعتقد أن تلك الرزمة الغريبة من الهراء لا قيمة لها في الوقت الحالي. أليس كذلك؟

نادى ديابلو من خلفها: «ماذا لو كنت حاملاً؟»

توقفت بريار، ثم استدارت نحوه قائلة: «اسمع ديابلو...!»

- لا تقولي لي إن ذلك غير محتمل. فمازالت هنالك فرصة.

فكرت بريار، فقط لو أنه يعلم! وشكرت السماء لأنها لم تخاطر بحصول ذلك كي لا تتعقد المسائل أكثر مما هي عليه.

- ماذا لو تركنا التحدث بذلك الأمر الآن؟



لطالما كانت قيادة السيارة خارج المدينة تريح ديابلو، حين يترك المدينة وراءه، ويقود سيارته متوجهاً إلى عزلة الشاطئ وهواء البحر المنعش. لكن ذلك ليس حاله اليوم. اليوم، شعر كأن معدته مربوطة في عقدة، فيما تشابكت في ذهنه مسائل غير منتهية. وذلك أغضبه حقاً!

رحلت بريار... المرأة التي دفعته إلى الجنون رحلت من دون أن يعلم ما أرادته. اتخذت خيارها ببساطة وخرجت من حياته، أما حقيقة أن ذاك الخيار خاطئ فهذه مشكلتها. لكن بدلاً من أن يشعر أن ثقلاً رُفع عن كاهله، أحس كأن أحدهم غرز سنداناً في صدره. رحلت عنه بريار، وحينها كان مسروراً بتركها ترحل، فهو لم يرغب بأن تتفاقم الأمور بينهما. وبما أنها فضلت تصديق والدها، ما عساه يفعل؟ حتى لو ضغط على كاميرون ليعترف لها بالحقيقة، هل تراه سيفعل أم أنه سيشعر بالرضى أكثر في ترك ديابلو يتحمل اللوم على كل شيء، تماماً كما فعل من قبل؟

كيف استطاع كاميرون أن ينظر إلى وجه ديابلو ليلة الأمس، وأن ينكر حقيقة وجود مشكلة لديه، في حين أنه لم يفعل شيئاً سوى المقامرة بحياته وحياة عائلته ليصل بها إلى الحضيض؟ كل ما يعلمه ديابلو هو أنه بدا من غير المجدي أن يحاول العمل في المكتب، وكان الأمر أسوأ في الشقة. على الرغم من أن الخادمة عملت بجد فأخفت كل آثار الطعام المتبقي من عشاء ليلة الأمس، إلا أن الغطاء الموضوع على الطاولة والشموع والأصداف ظلت تذكره ببريار. أما البراد فمليء بطعام لن تطهوه مطلقاً.

كانت بريار قد حضرت له العشاء تماماً كالزوجة الحقيقية. ظهرت ابتسامة خفيفة على شفتيه... زوجة حقيقية...! ماذا يمكنه أن يفهم من ذلك؟

تلاشت الابتسامة عن شفتيه وهو يقود السيارة عابراً منعطفاً في الطريق. لا شك أنها ستعلق في مهمة إعداد الوجبات لوالديها الآن. فمع نفاد مدخراتهم لا بد أن الطاهية سوف ترحل، كذلك عاملة التنظيف وكل المساعدين المنزليين الآخرين. لاشك أن الأمر سينتهي بها إلى القيام بالحصة الكبرى من الأعمال، يا لها من سندريلا صغيرة مسكينة! إلا أن هذه السندريلا لن تحظى بجنية



www.elromancia.com

ساحرة، ولا بالنهاية السعيدة التي حلمت بها.

حسنا! فليكن. ربما ستصدق حينها ما قاله لها. أدار ديابلو مقود السيارة نحو الطريق المؤدي إلى باراديسو. لا نهاية سعيدة... لا مفاجآت سارة. لكن من المؤسف أن ينتهي الأمر بهذه الطريقة.

* * *

وجدت بريار والدتها تذرف الدموع، وهي مرتمية على كرسي خشبي في المطبخ. صرخت وهي تسقط بين ذراعي ابنتها كما لو أنها كيس من العظام المرتخية: «بريار! والدك حبس نفسه في غرفة المكتبة منذ وصوله إلى المنزل، وهو يرفض الخروج. أنا قلقة جداً عليه.»

صلّت بريار: آه، يا إلهي! لا تدعه يقوم بأي عمل مجنون. دلّكت ظهر والدتها محاولة تهدئتها قبل أن تذهب بحثاً عن والدها. أحست في أعماقها أن قلبها يعتصر خوفاً عليهما معاً. لا بد أن والدها يشعر باليأس الآن.

- سوف أذهب إليه. عليه أن يتحدث معي... يجدر به ذلك.

إن لم يفعل سوف تتصل بأحدهم... الإسعاف، الشرطة، وربما رجال الإطفائية... أي شخص قادر على خلع الباب من مكانه.

رفعت الوالدة بصرها إلى الأعلى فجأة، وقد بدت ملامحها ذابلة، فيما جاء صوتها يائساً وهي تسألها: «هل تكلمت مع ديابلو؟ ما الذي قاله؟»

كيف عساها تخبرها؟ أحست بريار بشوكة غضب تطعنها.

- لقد تركته، أمي. أنا لن أعود إليه.

أفلتتها والدتها، وقد اتسعت عيناها المحاطتان بهالة حمراء من جراء الصدمة. ثم أمسكت وجه ابنتها بين يديها وقالت: «آه، بريار... لا!»

غطت بريار يدي والدتها بيديها، وجذبتهما ببطء نحوها قائلة: «لم يكن لدي خيار آخر. لم يكن بمقدوري البقاء معه... ليس بعد ما حصل».

- لكن... لا بد أن يكون هناك تفسير ما... شيء بوسعنا أن نفعله. لايمكنك أن تتخلي عن زواجك بهذه البساطة.

- اتخذت قراري، وحالياً لدي أمور أكثر أهمية لأقلق بخصوصها، كأن



أطمئن على والدي. الآن، ربما بوسعك تحضير بضعة سندويشات. أراهن أن والدي لم يأكل لقمة منذ دهور.

بعد مرور بضع دقائق، قرعت بريار باب غرفة المكتبة: «أبي! هذه أنا».

انتظرت بضع دقائق، ثم جربت مقبض الباب. إنه مقفل.

- أبي، هل أنت على ما يرام؟

- لا أرغب برؤية أحد.

غمرها الارتياح لدى سماعها صوته. أحنت جبهتها فألقتها على الباب الخشبي، وقالت: «أرجوك أبي، دعني أدخل. أنا بحاجة إلى التكلم معك».

مرّت ثوانٍ طويلة، ثوانٍ صامتة بدت كأنها تمتد إلى ما لا نهاية، ثم سمعته... سمعت صوت تكتكة المفتاح المعدني بخدش القفل.

حبست بريار أنفاسها لبضع ثوانٍ فقط قبل أن تحاول فتح مقبض الباب مجدداً. دار المقبض هذه المرّة، فدخلت بهدوء إلى الغرفة. بدا الجو معتماً، فالستائر مغلقة، والأضواء مطفأة. صعب عليها أن ترى أي شيء في بادئ الأمر. ارتعش أنفها لدى تنشقها الهواء المثقل بمزيج من رائحة دخان السيجار ورائحة مشروب رخيص. رأت والدها وقد لفّه غطاء من اليأس والقنوط المطلق. أدركت أن يأسه هو ما يعطي الهواء لونه الرمادي، فيما ارتمى على كرسيه خلف المكتب وقد ألقى جبهته على يديه.

- أبي! شعرت بالقلق عليك.

رفع الوالد رأسه، فاستطاعت بريار بالرغم من الظلام أن تلاحظ الخطوط الشاحبة التي علت ملامحه، كذلك جفنيه السفليين المحمرين.

بدا صوته كالنقيق حين قال: «بريار! ما عسانا نفعل؟»

حاولت أن تبتسم وهي تقول: «سوف نتدبر شيئاً ما. لطالما فعلنا».

تنهد الوالد ثم مدّ يده نحوها سائلاً: «ماذا كنا سنفعل من دونك؟»

دارت بريار حول المكتب وأخذت يده فضغطت عليها، ثم قبلته على خده وركعت عند قدميه واضعة ذراعها على ركبته تماماً كما اعتادت أن تفعل وهي فتاة صغيرة. قالت: «أراهن أنه ما زال بإمكاني الحصول على عمل في صالة



www.elromancia.com

العرض تلك، لو رغبت بذلك».

لامس الوالد ذقن ابنته، وقال: «لست مضطرة لأن تفعلي ذلك».

- لا أمانع في مساعدتكما. علينا أن نفعل شيئاً ما.

- أنا لا أستحقك. وأنت حتماً تستحقين والداً أفضل مني.

- هراء!

هز الوالد رأسه قائلاً: «لا يجدر بك أن تفكري بالحصول على عمل، فلديك مستقبلك الخاص لتفكري به. لديك حياة أخرى... حياة زوجية».

هزّت بريار رأسها، وهي تصلي كي تتمكن من منع الدموع التي راحت تتجمع في عينيها من الانهمار. قالت: «ليس بعد الآن. لقد تركته».

- يا إلهي! لقد دمرت كل شيء.

- لا! أنت لم تدمر أي شيء. ديابلو فعل ذلك حين تنصل من العقد. أنا أكرهه بسبب ما فعله، وأكره نفسي أكثر لأنني وثقت به. كان يجدر بي أن أتوقع هذا. ربما كان بوسعي أن أفعل شيئاً ما...

- بريار...!

- ...لكن على الأقل يمكن أن تعود الأمور إلى طبيعتها الآن، حتى لو كنا مفلسين. من الجيد أن أكون في المنزل معك ومع أمي. سوف نتدبر أمرنا... أعلم أننا سنفعل.

تكلم الوالد بقوة أكبر هذه المرة: «بريار! يجدر بك أن تصغي إلي».

رفعت بريار نظرها نحوه، وسألته: «ما الأمر؟»

- لا يمكنك أن تتركي ديابلو.

- بالطبع أستطيع ذلك. لقد تخلّى عن الاتفاق وتخلّى عن العقد. سوف أحدد موعداً مع محامينا كي يجدوا لنا مخرجاً من هذا الوضع.

- ديابلو لم يتخلّف عن شروط العقد.

أسكتتها كلمات والدها، فيما قبض الخوف على قلبها، وعادت اتهامات ديابلو لتتسلل إلى ذهنها. لكن ديابلو يكذب... أليس كذلك؟

- ما الذي تقصده؟



- أنا من خالف شروط العقد. ديابلو لم يفعل سوى ما وعدني بأن يفعله. أنا من كنت غبياً جداً لاعتقادي أنه لن يفعل. كنت غبياً بما يكفي لأعتقد أنه يمكنني الإفلات بفعلتي. ظننت أنكما ما زلتما بعيدين على الشاطئ الشمالي، وأنه لن يكتشف الأمر أبداً. فكرت أنني سأقوم بضربة حظ رابحة واحدة...

- آه! أبي... لا...!

همس الوالد قائلاً وهو يحدق بالفراغ في غرفة المكتبة المعتمة: «حققت بعض الربح في البداية، فقلت لنفسي: فقط رهان واحد آخر، مجرد رهان واحد أخير يمكنني من الوقوف على قدمي مجدداً، فأبرهن لك ولكارولين أنني لست عديم النفع، وأنني لست مجبراً على الاعتماد على إحسان ديابلو، لكنني خسرت. ثم اضطررت للقيام برهان أخير حتى أسترجع ما خسرته... ثم رهان آخر. لكن الخسارة لاحقتني... وعندها وجدني ديابلو».

أحست بريار باضطراب في أفكارها. لم تشأ أن تصدق ما يقوله والدها، إلا أنها شعرت بالاحباط لإدراكها أن ديابلو على حق.

- أخبرتني أمي أنك اقتصدت من الأموال المخصصة للمنزل حتى توفرها، لكنك كنت تستخدم أجور الموظفين لتقامر بها، أليس كذلك؟

ثبّت الوالد نظراته اليائسة على بريار وقال: «ذلك صحيح. هل تعلمين أسوأ ما في الأمر؟ كنت غبياً جداً، ولم أعترف بأنني أعاني من مشكلة».

- آه، أبي!

ضغطت بريار على يد والدها فيما انهمرت أولى الدمعات من عينيها. هي تدرك أن أسوأ ما فعلته هو اتهامها لديابلو بالكذب. قالت له إنها تكرهه، ونظراً لأنها تحبه، ما الذي يجعل ذلك منها؟ أليست هي الكاذبة؟

تابع الوالد كلامه: «جلست هنا طيلة فترة الصباح، ألوم ديابلو على كل شيء. جئت إلى هنا حتى أفكر في طريقة أنتقم بها منه. لكن كلما زاد تفكيري بالأمر كلما ازداد إدراكي لحقيقة أن الذنب ليس ذنب ديابلو مطلقاً. اللوم يقع علي أنا. أنا المسؤول عن ذلك. أنا من خاطرت بثروة كاملة فخسرتها، وأردت أن أدع ديابلو يتلقى الملامة على كل شيء».



www.elromancia.com

- الخطأ ليس خطأك وحدك، فلو لم يقم ديابلو بعملية الاستيلاء على شركتك بهذه القساوة وعدم الرحمة. . .

- ديابلو فعل ما اضطر إلى فعله. رأى خللاً ما فاستغل الأمر. بالطبع، أنا وضعت اللوم كله عليه، فتكلمت عنه بالسوء أمام كل من استمع إلي. كان ذلك أسهل من الإقرار بأنني فاشل خاسر.

- أنت لست بفاشل!

- خسرت ثروتي بالإضافة إلى الثروة الضخمة التي ورثتها زوجتي. ماذا عساي أسمي نفسي إذاً؟

ثبّت كاميرون نظراته التي تنضح بالندم على بريار: «حاولت إخبارك بالأمر يوم زفافك. أردتك أن تعلمي أن الذنب كله ذنبي أنا، وبأنني آسف».

أطرقت بريار برهة متذكرة ذلك اليوم، حين بدا لها أن والدها هو من يحتاج إلى التهدئة والتطمين. قالت وهي تهز رأسها: «لقد حاولت فعلاً، أتذكر ذلك. لكن أخبرني ما الذي سيحصل الآن؟»

- سوف أحصل على المساعدة هذه المرة. وعدت ديابلو منذ أسابيع بأنني سأتلقى العلاج، ولم أتابع الأمر أبداً. كان يجدر بي ذلك. . . اليوم سوف أفعل.

- إذاً سوف أرافقك.

ردّ الوالد بحزم: «لا! مكانك هو إلى جانب زوجك».

أدارت بريار رأسها بعيداً، غير راغبة بأن تفكر بالفوضى التي خلفتها وراءها هذا الصباح، وبالرجل الذي تركته وسط ذلك. ديابلو قال أشياء مريعة جداً. . . أشياء لا تغتفر. فحتى لو كان مجبراً على الكشف عن مقامرة والدها، فهو لم يكن مضطراً إلى قلب الأمور والتلميح إلى أن والدها قامر بها هي، ابنته. قالت: «أظن أنه لم يعد لدي زوج بعد الآن».

أمسك كاميرون وجه بريار ورفعه نحوه، ما اضطرها إلى النظر إليه، ثم قال: «يجدر بك أن تذهبي إليه. لا تدعي زواجك يتداعى بسبب ضعف والدك. إن ضميري مثقل بما فيه الكفاية من دون إضافة هذا الأمر أيضاً».



- أريد البقاء معك، ومساعدتك.

- لا تظني أنني لا أقدر لك ذلك، يا ابنتي. لكنني آخر شخص في العالم يستحق منك الدعم.

- ذلك غير صحيح، فأنت والدي.

- ذلك أكثر من صحيح. أعلم أنك أجبرت على القبول بهذا الزواج، لكنني علمت أن ديابلو سيكون زوجاً صالحاً. ما كنت سأسمح أبداً بالتخلي عنك لشخص لا أكن له الاحترام.

- ظننت أنك تكرهه.

- لطالما كرهته بسبب دهائه كرجل أعمال، ولأنه أكثر براعة وذكاء مني. في الواقع تلك هي الأسباب نفسها التي تدفعني إلى احترامه. كما أنه أثبت احترامه أكثر فأكثر بعد زواجه بك. علم ديابلو أنك بالكاد تتحملين فكرة زواجك به، لذا سمح للجميع بأن يعتقدوا أن اللوم يقع عليه لظروفنا هذه، فوفر عليك وعلى كارولين أمر اكتشاف سرّي المحزن. ثم تركك تعتقدين أنه دفع ثمنك، لكي يحميك من معرفة أشنع سرّ على الإطلاق.

وضعت يديها على ذراعه ملتمسة معرفة الحقيقة: «ما الذي تقصده؟»

- زواجك من ديابلو مقابل حصولنا على المال وعلى هذه الملكية ليس تماماً كما بدا لك.

اجتاحتها قشعريرة من البرد امتدت حتى أطرافها. قالت: «لا! أنت لم تفعل. أرجوك. . . قل لي إنك لم تفعل»

أغمض كاميرون عينيه بقوة، وقال: «بريار، أنا آسف. أنت كنت الشيء الوحيد الذي تبقى لدي، بعد أن خسرت كل ما له قيمة. طلب مني ديابلو أن أتوقف لأنني خسرت ما فيه الكفاية، إلا أنني لم أصغ إليه. راهنت أولاً على المنزل فأصبح ملكه بالإضافة إلى كل شيء آخر، لكنني ظننت أن حظي سوف يتغير لذا تجاهلته. أخبرته أنني ما أزال أملكك أنت، فقال لي إنني مسخ متوحش ومجنون، مع ذلك تابعت الرهان وخسرت. . . راهنت بابنتي وخسرت، لن أتمكن من مسامحة نفسي على ذلك مطلقاً».



www.elromancia.com

- هل راهنت عليّ... أنا... حقاً؟

عضّت بريار على شفتها السفلى محاولة كبح دموعها، تلك الدموع التي وجدت صداها في عيني والدها. فانسكبت على خديه المليئين بالشوائب، فيما أنطلقت أجراس ساعة الحائط معلنة عن الوقت. شخر الوالد ومسح وجهه بمنديله، ثم قال: «طرح ديابلو فكرة مفادها أنه سيتخذك زوجة له مقابل إعادة المنزل لنا. لم يكن مجبراً على ذلك، إذ كان قد ربح للتو كل ما نملكه. أعلم أنه كان يرغب بزواج جيد، لكنني أفترض أنه شعر بالأسف علي، وبالأسف أكثر عليكِ أنت».

- لست أدري ما أقوله.

- لست مجبرة على قول أي شيء. أنا من يجدر به الاعتذار. الشيء الوحيد الجيد الذي نتج عن هذا كله هو زواجك برجل جيد. ديابلو لن يرتكب الأخطاء التي ارتكبتها أنا. مكانك ليس هنا معي أنا، الرجل الذي قامر بك... مكانك هو مع ديابلو. إنه رجل جيد. اذهبي إليه.

ضغطت بريار على يد والدها وهي تفكر: ليت الأمر بهذه السهولة! عندما سألها ديابلو عما ستفعله حين تكتشف أنه يقول لها الحقيقة، قال لها إنه لن يسامحها حين تعود زاحفة طالبة السماح. أما ردّها فجاء بطريقة شنيعة مفصلة واضحة جداً حين أكدت له: «لا مجال لذلك أبداً».

والآن تبين لها أن ديابلو يقول الحقيقة.

إذا أرادت أن تعود إليه، فلا خيار أمامها سوى الذهاب زاحفة إليه مباشرة. مباشرة... بعد أن تتدبر الأسلوب الذي ستتبعه.



# ١١ - أرجوك!

آن الأوان لأن تستعيد بريار أنفاسها، فهي بحاجة إلى وقت كي تهدأ وتفكر بما تنوي فعله. إن أقل ما تدين به لديابلو هو الاعتذار، لكن هل تراه يتقبله منها بعد الانفجار الذي صدر عنها؟ خلف ذلك كله... خلف ذلك يكمن الأمل. فقط لو يتحدث إليها... لعلها تستطيع الاقرار بكل أخطائها، فتقول له إنها كانت مخطئة، وتخبره عن رغبتها بأن تحاول مجدداً.

تخبره بأنها تحبه...

لكن إلى أن تتدبر الطريقة التي ستتبعها سوف تركز اهتمامها على والدها الذي قرر هذه المرة أن يخضع للعلاج، وهو أمر جيد. سوف تحرص على جعله يلتزم بوعده في التغيير. تقبلت والدة بريار خبر إدمان زوجها، فقالت: «ذلك يفسر الكثير. على الأقل، الآن نحن نعلم ما الذي نتعامل معه».

بعد ذلك.. اتصلت بريار بمستشار نفسي، وتم اللقاء بينهم، فتكلموا ووضعوا خطة لعملهم. لن يكون الأمر سهلاً، لكن مع الدعم الكافي، سيتغلب والدها على مشكلته.

كان الوقت متأخراً عندما رجعوا من مركز العلاج النفسي، ورأت بريار أن والدتها مرهقة جداً. أما هي فوقعت في حيرة، شعرت أن نصف كيانها يائس لرؤية ديابلو، فيما النصف الآخر يرى أن والداها يحتاجان إليها أكثر. قالت لنفسها إنه ربما بحلول نهار الغد، ستكون قد تسنت لديابلو الفرصة ليهدأ، فيكون أكثر تقبلاً للكلمات التي ستقولها له.

حضرت العشاء لهم جميعاً وأمضت الأمسية مع والديها، ثم نامت تلك الليلة في سريرها القديم. انتابها شعور بالغرابة، مع أنه بالكاد مضى أسبوع على



www.elromancia.com

مغادرتها لتصبح امرأة متزوجة. فكرت أنها امرأة متزوجة تواجه مشكلة هائلة. كيف تراها تنقذ زواجها في حين أنها هي من حكمت عليه بالاعدام؟

فكرت أن تتصل بديابلو، لكن ما أرادت قوله ينبغي أن يقال شخصياً. لذا غادرت في الصباح الباكر بعد ليلة طويلة من الأرق، بالرغم من أن رأسها بدا مشوشاً وهو يؤلمها. صمّمت على مفاجأة ديابلو قبل أن يذهب إلى العمل، لكن الشقة كانت فارغة وباردة كالقبر، أما كراسي غرفة الطعام فبدت كأنها توبخها ساخرة منها ببرود، اتصلت بمكتب ديابلو فأعلمتها مساعدته الشخصية أنه غير موجود حالياً، وأنه لن يعود لبعض الوقت. ناشدتها بريار يائسة وقد تعرفت على صوتها: «ألم أتعرف إليك أثناء حفل الزفاف؟ ألا يمكنك أن تطلعيني على مكانه؟ يجدر بك أن تخبريني».

رقّت نبرة المرأة، فأحست بريار بمشاعر الشفقة التي انتابتها. لكنها اعتذرت لأنها لا تستطيع الكشف عن مكان ذهابه، أقله عبر الهاتف.

اقترحت بريار: «سوف أنزل إلى المكتب».

ردّت المساعدة الشخصية قبل أن تغلق الخط: «أنا آسفة».

تخبطت أفكار بريار وهي تروح وتجيء في المطبخ حول الطاولة الصغيرة حيث كانت قد خططت كي تبرهن لديابلو بأنه لم يرتكب غلطة بالزواج منها، وهي تحس أنها منهوكة القوى ومهزومة. وقع بصرها على الأصداف التي ما تزال قابعة في مكانها، فابتسمت وهي تتذكر ذلك اليوم حين وجدتها. التقطت واحدة منها وراحت تحدق بها عن قرب، ثم حركتها وهي تراقب بريقها الزهري يتراقص تحت الأضواء.

لم تدم سعادتهما سوى لوقت قليل جداً... بضع ساعات فقط، لكن ذكرى ذاك النهار المميز جداً جعلت قلبها يكبر. تلك الساعات وهي بين ذراعي ديابلو بدت سحرية إلى أن دفعتها حماقتها إلى استشعار المخاوف لدى إدراكها أنها ربما بدأت تقع في غرامه. ثم تشتت كل شيء... هي من أفسدت كل شيء.

فقط لو أنها تحظى بفرصة لتعود إلى الوراء فتصحح مجرى الأمور! لفّت



بريار يدها حول الصدفة ما إن فاجأتها الفكرة الاعتباطية. ربما...!

أسرعت بدافع من حدسها نحو الهاتف وأعادت طلب رقم مكتب ديابلو. صرخت ما إن فتحت مساعدة ديابلو الشخصية الخط: «إيل باراديسو! أهذا هو المكان الذي قصده؟ أهذا الذي لا تستطيعين إطلاعي عليه؟»

ترددت المساعدة الشخصية، ثم رقت نبرة صوتها وقالت: «أرجوك أن تفهمي، أنا لم أطلعك على أي شيء. لكن قودي بتأن، سيدة باريتيس».

* * *

أوقفت بريار السيارة أمام البوابات الخارجية لمنزل الشاطئ، في وقت مبكر من بعد ظهر ذاك اليوم، ثم ضغطت على زر جهاز الاتصال بالمنزل. ردّت لوسيا التي سرّها سماع صوتها، كما سرّها أن تفتح لها البوابة لتدخل. لم يفتها بالطبع أن ديابلو لا يشاركها بالتأكيد المشاعر نفسها. ركنت السيارة إلى جانب المدخل الأمامي، ثم مشت نحو الباب وركبتاها ترتجفان. ما إن وصلت في منتصف طريقها حتى فُتح الباب، فابتسمت بريار للحظة متوقعة رؤية وجه لوسيا يشعُّ مرحباً بها، إلا أن من واجهها كان شخصاً أطول قامة، وأكثر رعباً. راح يحدق بها نزولاً، لذا تقلّصت ابتسامتها في الحال، تزامناً مع اشتداد ألم رأسها إلى حد لا يطاق.

وقف ديابلو بالباب المفتوح، فبدا بكل جزء من كيانه غامضاً ومهيباً، تماماً كما بدا خلال ليلتهما الأولى. فكرت بريار كم أن ذلك غريب. في المرة السابقة كان ديابلو هو من يقف في الخارج، أي الشخص الذي يطلب الدخول، أما الآن فقد تبدلت الأدوار.

- نظراً لكونك شخصاً لا يرغب برؤيتي مجدداً، أرى أنك قدت السيارة مسافة طويلة حتى تفعلي عكس ذلك تماماً.

ابتلعت بريار ريقها بصعوبة وقالت: «يجب أن أتحدث إليك».

- لماذا تظنين أنني قد أكون مهتماً بأي شيء تودين قوله؟

أخذت نفساً عميقاً محاولة تذكر الخطاب الذي راحت تتمرن عليه طيلة رحلتها إلى هنا، لكن الكلام بقي عالقاً.



www.elromancia.com

استند ديابلو إلى الحائط وهو يقف في مدخل الباب شابكاً ذراعيه ورجليه. لم تخلُ وقفته تلك من الفوقية، حتى مع شعره المنسدل حول وجهه وقميصه القطنية العادية وسرواله القصير. تابع يقول: «حسناً؟»

قالت من دون أن تفكر: «تحدثت مع والدي. أنت... كنت محقاً بخصوص كل شيء... أنا آسفة».

تحركت عضلة في فك ديابلو، وقال: «أهذا كل شيء؟»

- ديابلو...!

تقدمت بريار خطوة إلى الأمام، لكن ديابلو فك تشابك رجليه، وفجأة بدا لها أكثر طولاً وهو ينظر إليها من علٍ بشكل فوقي جداً، لذا توقفت عن السير وتابعت قائلة: «أعلم أنني خيبت ظنك، وأنا آسفة لأنني لم أصدقك، لكن كيف عساي أقدر على ذلك؟ بدا الأمر ببساطة... مريعاً جداً».

- لذا فضلت أن تقنعي نفسك أنني أنا من يستطيع ارتكاب أي شيء مريع.

رفعت بريار كلتا يديها، وقالت: «هذا ما فعلته. لِمَ يفاجئك الأمر؟ يجب أن تفهم...»

- أنا أفهم! فأنا أعرف تماماً ما كانت فكرتك عني حين تزوجنا. علمت أنك لست مسرورة، لكنني ظننت أنك مع مرور الوقت ستحظين بفرصة للتعرف إلي، وتكتشفين أنني لست وحشاً كما تظنين. لكنك فضلت أن ترسمي لي أسوأ صورة ممكنة عندما تسنت لك الفرصة.

- لو كنت صريحاً معي منذ البداية، لغدت الأمور مختلفة! ماذا يفترض بي أن أفكر في حين أن أحداً لم يخبرني بالحقيقة؟ أنت وأبي عاملتماني كطفلة يجدر بكما أن تحمياها من معرفة الحقيقة. أنت عززت اعتقاداتي بخصوصك... دعمتها. فما هو الأمل الذي كنت سأحظى به؟

ردّ ديابلو وهو يومئ بيده كأنه يمحو شكواها كما يصرف حشرة مزعجة: «من الواضح أنه لم يكن لديك أمل أبداً.»

أخفض بصره ليحدق بها وقد رقّت عيناه للحظة، ثم تابع: «إذاً، حان دوري لأعتذر. لم أعتقد أنك بحاجة إلى معرفة تلك التفاصيل الدنيئة عن



التصرف الذي قام به والدك».

صرت بريار على أسنانها ثم قالت: «أنا أدرك أنك حاولت حمايتنا جميعاً من معرفة الحقيقة، لكن من الطبيعي أن أكتشف الأمر في وقتٍ ما. وحين فعلت... كيف عساي لا أشعر بالسوء حيال الصفقة بأسرها؟ ألا ترى ذلك؟ ما الذي يفترض بي أن أفكر به؟»

مسح ديابلو بقوة شعره إلى الخلف، فيما نظر بعينيه إلى الأفق خلف رأسها.

- لا فكرة لدي. والآن، إن كان هذا كل شيء...

أطبق الهلع قبضته على قلب بريار، إنه يحاول إرسالها بعيداً، وجعلها تذهب من حيث أتت! اعترضت قائلة: «لا، ذلك ليس كل شيء! اللعنة! أنا أرفض أن يتم صرفي مهما يكن، أنا ما زلت زوجتك».

انعقد حاجبا ديابلو معاً، وقال: «لطالما أبديت اعتراضك على هذا اللقب».

أجبرت بريار كتفيها على الرجوع إلى الوراء معترفة: «حسناً! تصرفت بتسرع... لا أنكر ذلك. لكني وجدت أن هناك ظروفاً مخففة ملطفة، لذا قررت أنه يجدر بي أن أعطي زواجنا فرصة أخرى».

لوى ديابلو شفتيه وفكر، يا لها من جرأة بأن تقول إنها قررت!

- كيف عساي أعلم أنك لن تبدلي رأيك مرة ثانية؟ فأنت تتصرفين معي بحرارة تارة وببرودة تارة أخرى منذ عقدنا خطوبتنا.

رفعت بريار نظرها نحوه وقد أحاطت الظلال بعينيها الكهرمانيتين، ثم قالت: «لأنني فضلاً عن معرفة الحقيقة بخصوص والدي وأعماله اكتشفت للتو أنني لا أستطيع ببساطة أن أخرج من هذا الزواج».

لوهلة فقط أحس ديابلو بقلبه يقفز في صدره، لكنه تخلص من الفكرة. لا مجال أبداً لأن تبلغه بريار بالخبر الذي يرغب بشدة أن يسمعه.

سألها بنفاد صبر: «لماذا؟»

ردت بريار من دون تفكير: «أنا أحبك! جئت لأخبرك أنني أحبك».



www.elromancia.com

ضحك ديابلو من حماقته. إنه على حق في افتراضه بأن الأمر ليس مهماً.

ردّ ساخراً، فيما بدت بريار وكأنها تتقلص أمامه: «أأنت تحبينني؟ ما هذا؟ أهي محاولة أخيرة لإنقاذ عائلتك المفلسة؟ أتعرضين بيع نفسك لي مجدداً؟ أحذرك أن الثمن لن يكون قريباً أبداً من السخاء الذي كان عليه في المرة السابقة».

- لا! ليس للأمر أية علاقة بعائلتي! الأمر يتعلق بك وبي. والداي لا يعرفان حتى أنني هنا. والدي يخضع الآن للعلاج. أمضينا يوم الأمس في محاولة إيجاد مستشار نفسي ليساعده ويعطيه علاجاً حقيقياً. إنه مصمم على التغلب على مشكلته هذه المرة.

- إذاً، أنت لست هنا من أجل المال؟

- لماذا ترفض أن تصغي إلي؟ أنا هنا لأنني أحبك! الله وحده يعلم أن هذا آخر شيء رغبت بحصوله، لكنه حصل.

- أهذا ما أسمعه من المرأة التي أبلغتني بكلمات واضحة منذ أقل من يومين أنها تكرهني، أما الآن فهي تعترف علناً بحبها لي؟

التهبت عينا بريار الكهرمانيتان فيما شبكت ذراعيها فوق صدرها وقالت: «حسناً! كنت غاضبة حينها».

تتبع ديابلو بعينيه تلك الحركة، وبالرغم عنه انزلقت نظراته إلى عنقها الناعم. ليلة الأمس تنشق رائحة شعرها على وسادته وعطرها على ملاءاته فتاق بقوة إليها. حاول جاهداً إخراجها من تفكيره لكن من دون جدوى. هل ستكون هذه الليلة أصعب من سابقتها؟ أتراها ستكون أشد إيلاماً؟

تمتم ديابلو: «إنك... كثيراً ما تغضبين».

ردّت بريار مدافعة: «وأنت أيضاً تغضب، لكنني ما زلت أحبك بالرغم من ذلك».

رمشت عينا ديابلو ببطء، وارتفعت نظراته صعوداً نحو وجهها، ثم قال: «مهما يكن... إنها محاولة غير مجدية».

- ما الذي يعني ذلك بالضبط؟



- هذا يعني أنني لا أستطيع مساعدتك. اعتقدت من قبل أننا قادران على إنجاح هذا الزواج، لكنني لم أعدك بأن أحبك. أما الآن فما عدت واثقاً أن زواجنا يمكنه أن ينجح أبداً. لذا إذا ظننت أنك ستضغطين علي متوقعة مني أن أحبك...

هزّت بريار رأسها، وقالت: «لا! لا يمكنني أن أغير ما تشعر به، تماماً كما لا أستطيع تغيير شعوري نحوك. لكنني مستعدة لقبول أي شيء تعرضه...»

ترددت قليلاً وقد بدت فجأة غير واثقة بالرغم من تظاهرها بالشجاعة قبل قليل، ثم تابعت: «... هذا إذا كنت ما تزال تعرض أي شيء».

عاتبها ديابلو بقسوة قائلاً: «الا تتذكرين؟ أنت هي من تركتني ورفضتني تماماً. أنت من رحل ولست أنا».

مدّت بريار يديها نحوه وهي تقول: «أعلم ذلك، لكنني كنت مخطئة، وذلك هو سبب وجودي هنا. ألا تفهم ما الذي تطلّبه مني قدومي إلى هنا؟»

تركها ديابلو واقفة هناك بانتظار رده. لقد تركته ورحلت معتقدة أنه يكذب عليها. لكن هو من خبأ عنها الحقيقة منذ البداية. أيستطيع حقاً أن يلومها لتركه كما فعلت، في حين أنه هو الذي أعدّ الظروف لذلك؟ بالإضافة إلى ذلك، فهو ما يزال يتحرق شوقاً إليها، وها هي موجودة أمامه الآن...

- ما الذي تريدينه بالضبط؟

همست بريار: «أريد أن استيقظ معك كل صباح، وأبقى إلى جانبك كل ليلة وكل يوم. أريد أن أكون أماً لأطفالك، وأمضي حياتي معك».

لم يبد أية محاولة للرد، فناشدته بريار: «ألا تفهم؟ الأمر لا يتعلق فقط بحبي لك، بل أنا أرغب في البقاء معك. أنا لا أريد أن أحيا من دونك. وإذا كنت ترغب في بقائي معك أيضاً، فذلك كافٍ بالنسبة لي حتى لو لم تكن تحبني».

غمره إحساس عارم يفوق مجرد إحساسه بقلبه وهو يضخّ الدماء داخل صدره. بدت ضرباته كالطبول التي تقرع بصوتٍ صادحٍ متسارعٍ، ارتفع ليشابه معزوفة موسيقية عالية، معلناً عن قرار لم يكن لديه خيار سوى اتخاذه. فتح ديابلو ذراعيه لها وقال ببساطة: «تعالي إلى هنا».



www.elromancia.com

انهارت بريار بين ذراعي ديابلو وهي تتنهد بارتياح وسرور. فمسح دموعها بأصابعه الدافئة، مبلسماً قلبها المجروح. أحست بالحرارة تنبعث من جسمه، كما أحست بشوقه الجامح يملأ الهواء حولهما.

رفعها ديابلو بين ذراعيه وحملها نحو غرفة النوم، ثم وضعها على السرير، فيما شكرت بريار القدرة التي أعادت جمع شملهما. لم تمضِ لحظات حتى انضم إليها في السرير فتشرب سحرها بكل جزء من كيانه، وسافرا سوياً باتجاه تلك الجنة التي لا يمكن أن يتشاركا بها إلا سوياً.

- لا تتركيني مجدداً.

قال لها ديابلو ذلك بعبوسٍ وشراسة في الدقائق اللاحقة، فيما راح يمسد شعرها وهي قابعة ساكنة بين أحضانه.

- أنا لا أخطط للذهاب إلى أي مكان أبعد من الحمام.

- حسنا! لا تتأخري هناك.

ابتسمت بريار رافعة رأسها نحوه قبل أن تنطلق مسرعة خارج السرير.

سُرَّ ديابلو كثيراً بعودتها إليه. إنه مجنون لو ظنّ أن بمقدوره أن يحيا من دونها. هو لن يشبع منها أبداً، ويرغب بإبقائها بقربه دوماً. ربما آن الأوان لأن يطلعها على الخبر السعيد، وهو أن قيام والدها بشيء عملي حيال إدمانه، هو بالضبط ما يتوق إلى سماعه. إن كان ذلك صحيحاً فعلاً، فهو ينوي أن يستأنف تزويد والديها بالمال، لكن سيضع هذه المرة بضعة شروط.

غسلت بريار وجهها ثم رفعت رأسها وحدقت بانعكاس صورتها في المرآة. أهاتان حقاً عيناها اللتان تشعان عاكستين صورتها؟ إنها تبدو مختلفة جداً بعد مضي ساعة فقط على وصولها، بالرغم من ألم الرأس المستمر خلف عينيها. بدت بشرتها متوردة، وعيناها متألقتين، أما شفتاها فممتلئتين وزهريتي اللون. بدت... محبوبة، ولِمَ عساها لا تبدو كذلك؟ فهي حتماً أحست أنها محبوبة، بغض النظر عن تبجح ديابلو بأن ذلك ليس ضمن مفكرته. أتراها ستشعر أنها بحال أفضل لو أنه فعلاً صرح بحبه لها؟

أحست بتشنج في أسفل بطنها، ما جعل آلام رأسها تبدو منطقية. وضعت



يدها على بطنها إلى أن ارتاحت من الوخزة. قريباً سوف تبدأ دورتها الشهرية، أما الشهر المقبل فسوف تكون هنالك فرصة بأن تمنح ديابلو الطفل الذي يتوق إليه. هذه المرة سيكون كلاهما راغبين بإنجاب هذا الطفل.

بسطت بريار كفيها فوق بطنها مبعدة ما بين أصابعها. طفل ديابلو ينمو في أحشائها! يبدو هذا الطموح مشوقاً، بينما كان مخيفاً فيما مضى.

مدّت إحدى يديها نزولاً نحو الدرج لتأخذ حبة دواء مسكن، وما لبثت أن تذكرت أنها جمعت كل حاجياتها حين غادرا متوجهين نحو المدينة.

هل تراها أحضرت معها أي دواء مسكّن؟ لفّت منشفة حول جسدها، فالتقت بديابلو وهو يدخل إلى الحمام. سألها: «هل تغادرين بهذه السرعة؟»

- أنا بحاجة إلى حقيبة يدي. أظنني تركتها في السيارة.

- ما الخطب؟

- فقط بعض التشنجات. لكن أظنني أحضرت بعض الأدوية المسكنة للآلام.

وضع ديابلو يديه على كتفيها مستفسراً: «هل أنت على مايرام؟»

- يبدو أن دورتي الشهرية على وشك أن تبدأ. لا شيء خطير.

لحظة تفوهت بريار بالكلمات تمنت لو أن بإمكانها أن تسحبها مباشرة، إذ تحول فم ديابلو إلى خط مشدود، وقال مكرراً: «دورتك الشهرية؟»

لمست بريار ذراعه، وقالت: «أرجو ألا يخيب ظنك، ديابلو. إنه الشهر الأول لنا سوياً، كما أننا لم نمضِ كل ليلة منه معاً. لابد أن نحظى بفرصة أفضل عندما نبقى دوماً سوياً، أليس كذلك؟»

ابتسم ديابلو، ثم مد يده متناولاً رداءه وقال: «بالطبع، أنت محقة. لكن كوني حذرة، الشهر القادم لن تغيبي عن ناظري. سوف أحضر الحقيبة، ابقي أنت هنا».

- يمكنني أنا أن أحضرها.

قالت ذلك وهي تتمنى لو أنها لم تتفوه بكلمة حول هذا الموضوع. لكن ديابلو كان قد غادر للتو. وضعت يدها على رأسها فيما ازداد ألم رأسها قليلاً،



www.elromancia.com

وثار إحساس خطير بالغثيان داخل أحشائها.

تحولت الثواني إلى دقائق، لكنه عاد وناولها الحقيبة مع كوب من الماء. أطلقت بريار تنهيدة ارتياح. إذاً ذاك ما استغرق منه هذا الوقت كله.

- شكراً!

قالت ذلك وهي تأخذ الحقيبة فيما تراجعت بضع خطوات إلى الوراء مظهرة ما استطاعت من عدم الاكتراث. قالت له وهي تتمنى لو أنه يختفي عن ناظريها: «ربما يجدر بك أن تبدأ بالاستحمام.»

تكلم ديابلو بنبرة غامضة: «يمكنني الانتظار».

ارتعدت بريار عندما فتحت الجيب الداخلي لحقيبتها ذلك أنها لم تجد في جيب الحقيبة أي شيء آخر. بحثت مجدداً، لكنها لم ترَ شيئاً. يجب أن تكون هناك بضع حبوب متبقية لهذا الشهر من حبوب منع الحمل بالإضافة إلى ورقة جديدة كاملة، وهي الورقة التي تنوي رميها.

ظهر العبوس على وجهها وهي تتأمل مسكن الآلام في يدها.

- أهناك خطب ما؟

- لا.

ردّت بسرعة زائدة عن اللزوم، فيما جال ذهنها محاولاً أن يتذكر أين تراها تركتها. أفي الشقة أم في منزل والديها؟

- إذاً أنت لست تبحثين عن هذه؟

رفعت بريار نظرها، فرأت ديابلو يلوّح بالورقتين اللعينتين، وأحست بعالمها ينهار حولها.

- يمكنني أن أفسر...



## ١٢ - عروس بين الأمواج

تضرعت بريار وهي تهز رأسها، فيما لوح ديابلو بحبوب الدواء في الهواء، فقالت: «ديابلو! ليس الأمر كما يبدو لك».

- أتقولين لي إنك لا تتناولين حبوب منع الحمل؟

- نعم! أعني لا. أعني...

- إذاً أنت تتناولين الحبوب.

- حسناً! نعم، لكنني كنت أنوي التوقف عنها...

- بالطبع كنت تنوين ذلك، وهذا هو سبب وجود ورقة أخرى بحوزتك جاهزة للاستعمال. كم عدد الأوراق التي تخبئينها؟ ما يكفيك لستة شهور؟ لاثني عشر شهراً؟

- لا! توقف عن هذا! يجدر بك أن تسمعني.

- لماذا، بحق الجحيم، يجدر بي أن استمع إليك أكثر؟ وعدتني للتو بجميع مشاعر الحب والاخلاص والحياة سوياً، وتضمّن ذلك الاعتراف برغبتك في أن تكوني أماً لأطفالي، لأجدك بعد ذلك تتناولين حبوب منع الحمل خفية، حرصاً على عدم حصول ذلك؟

- أردت تناول حبة دواء مسكن لآلام رأسي... لا شيء أكثر من ذلك.

- ألم تخططي لتناول حبة دواء اليوم؟

استدارت بريار مبتعدة، وحينما عادت ونظرت إلى الوراء استطاعت أن ترى الجلاد مستعداً للقيام بضربته، فقالت: «كنت فقط أنوي إنهاء هذه الدورة من الحبوب، وهذا كل شيء. أما الشهر المقبل فلم أكن أنوي أن أتناولها. كنت قد قررت ذلك مسبقاً».



www.elromancia.com

رمى ديابلو الورقتين على السرير قائلاً بنزق: «لا عجب أنك لم تظني بأنك حامل، ولا عجب أنك قلتِ لي إن الأمر مبكر جداً، فطيلة ذاك الوقت كنت تهزأين بي، لأنك علمت أن لا مجال لأن تكوني حاملاً. قلت إن ذلك غير محتمل، وإنه لا يحصل دوماً على الفور، لكنك كنت تضحكين من خلف ظهري. لم تكن لديك نية أبداً بإنجاب أطفالي».

- ليس الأمر كذلك، فأنت لا تدرك كم شعرت بالذنب.

- أنت لم تشعري بشيء! ليس إذا كان بمقدورك كسر اتفاقنا بمثل هذه البرودة.

- أي اتفاق؟

- اللعنة! أنت تعلمين جيداً... ذاك الذي وقعت عليه حين وافقت على أن تصبحي زوجتي... حيث وافقت على إنجاب أطفالي.

ردّت بريار بقوة عليه: «ربما وقعت عليه فعلاً، إذ لم يكن أمامي أي خيارٍ آخر لإنقاذ عائلتي. لكنني لم أوافق أبداً على إنجاب أطفالك، لأنك لم تطلب مني ذلك بشكل حسن!»

- كان ذلك جزءاً من العقد!

- ألا تظن أن موافقتي على الزواج بك هي كافية؟ كيف يمكنك أن تلزمني بإنجاب الأطفال أيضاً؟ أنت تعلم أنني كنت أكرهك حينها. ما الذي كنت تفكر به بحق الجحيم؟

- كنت أفكر بأنك مدركة للمتطلبات الرئيسية لتوقيع عقد ما، وأن بإمكانك أن تتعايشي مع الشروط التي وافقتِ عليها بتوقيعك. لكن من الواضح أنك لست كذلك، إذ كان لديك تصورك الخاص عما يتضمنه هذا الزواج.

- حسناً! تصوري هذا معارض لافتراضك بأنني سأنجب أطفالك، لكن بأي طريقة أخرى أمكنني أن أقاوم ما فرض عليّ فرضاً؟ ما الذي كانت لتفكر به والدتك برأيك بخصوص مخططك «لإنجاب» الأطفال؟

- ما دخل والدتي بكل هذا؟



- من الواضح أن والدتك امرأة أحبت بعمق، وأنت كنت نتاج ذلك الحب. ألا تظن أنها لو علمت برغبتك في إنجاب طفلٍ بعقد سخيف بدلاً من علاقة حب طبيعية لخاب ظنها بك؟

لاقت كلمات بريار صمتاً ثقيلاً ومعتماً أشبه بغيمة في عاصفة هوجاء.

- أنت لا تعرفين أي شيء عن والدتي.

- بناء على ما أخبرتني به، أعرف أنها كانت امرأة مغرمة.. امرأة أحبت ابنها لأنه نتاج علاقة الحب تلك، وليس بسبب الانجازات التي سيحققها في عالم الأعمال.

- وما علاقة ذلك بك أنت؟

استنشقت بريار نفساً عميقاً، ثم قالت: «أنت لم تمنحني أي فرصة مطلقاً، ومع ذلك فأنا هي التي عادت اليوم لأقول لك إنني أريد إنجاح هذا الزواج. أنا من قررت إنجاب أطفالك بالرغم من صعوبة التعامل معك، لأنني أرغب بذلك وأريده، وليس لأنك طلبت مني ذلك».

- ولا شك أن ذلك هو سبب تناولك للحبوب. لأنك حريصة جداً على إنجاب أولئك الأطفال!

حركت يديها في الهواء وقالت: «يجدر بك فقط أن تصغي إلى نفسك. ربما تناول حبوب منع الحمل ليس فكرة سيئة على الإطلاق. أنا لست واثقة أن الدنيا مستعدة لتحمل المزيد من أمثالك. لا شك أن واحداً فقط هو أكثر من كافٍ».

التمعت عينا ديابلو فبدتا باردتين متصلبتين كالثلج الأسود، فيما اسودت ملامح وجهه وهو يرد قائلاً: «لا تزعجي نفسك بتغيير عاداتك بسببي أنا. لأن الأمر لن يهم أبداً. كنت مخطئاً باعتقادي أنك ستكونين أماً ملائمة لأطفالي... أخطأت باعتقادي أن هذا الزواج قد ينجح».

تضرعت بريار وقد أدركت فجأة أنها توشك على خسارته مجدداً. لا يمكنها أن تسمح بحصول ذلك. لا يمكنها أن تخسره مجدداً! قالت: «ديابلو... بالطبع يمكن للأمر أن ينجح. سوف ينجح... سوف ترى!»



www.elromancia.com

دفعها جانباً وهو يقول: «كان من الأفضل لو أنك لم تأتي إلى هنا أبداً اليوم».

مدت بريار يدها نحوه إلا أنها شعرت بالصدمة حين ردّ عليها بالابتعاد عنها.

- لكنني أحبك! لا يمكنك أن تبعدني عنك. ما الذي يمكنني أن أفعله لأبرهن لك أنني أحبك وأنني أرغب بإنجاب أطفالك؟

تأملها ديابلو للحظة بنظرات مليئة بالاحتقار حتى أدركت أنه أصدر بحقها حكماً مبرماً قبل أن يقول جملته: «جل ما أردته هو زوجة تحمل أطفالي. أنا لم أطلب حبك... لم أطلبه أبداً، ولم أكن أريده».

أطفأ بذلك بارقة أمل لاحت لها في ما يتعلق بمستقبلهما سوياً، فتراجعت بريار قائلة: «اللعنة عليك ديابلو! لن تحصل على أي منهما».

* * *

جمعت بريار ثيابها فارتدتها.

- إذاً أنت تغادرين مجدداً.

ردّت وهي تجذب جزمتها لتتعلها: «بل ظننت أنك تطردني من هنا. لكن لا تقلق، فهذه المرة لن أعود».

نادى ديابلو من خلفها: «اذهبي إذاً، لن أردعك».

خرجت بسرعة من المنزل، وغادرت بسيارتها التي أصدرت صوتاً هائلاً من الإطارات. لعنت نفسها على غبائها، كما لعنت نفسها لأنها قررت إنهاء دورة الحبوب لهذا الشهر عوضاً عن رمي تلك الحبوب اللعينة. ضربت المقود بقبضتها فيما انهمرت دموعها على وجنتيها. صاحت معترضة: «لا!»

مسحت عينيها غير راغبة بالبكاء الآن. ليس وهي تحتاج لأن تقود لمسافة طويلة. لكن تحولت الدموع إلى طوفان يعيق نظرها، لذا استدارت بالسيارة نزولاً نحو البلدة عوضاً عن الاستدارة نحو الطريق السريعة. توقفت أخيراً في موقف السيارات بالقرب من الشاطئ حيث تشاطرت مرّة القهوة مع ديابلو.

بدا الشاطئ شبه مهجور، تماماً كالمرة الأخيرة التي جاءت فيها إلى هنا،



حيث كان زوار نهاية الأسبوع قد ذهبوا إلى منازلهم. رأت رجلاً يتجول على الشاطئ فيما جلس أفراد عائلة في منتصف المسافة بينها وبين مياه البحر. إنهم أم وثلاثة أبناء يافعين، راحوا يبنون قصراً من الرمال على صوت نباح كلبهم الصغير المشجع بحماس.

ابتلعت بريار بعض الأنفاس المتقطعة، ثم خرجت من السيارة إلى بقعة العشب الأخضر المطلة على البحر. تلاعب نسيم البحر بشعرها فأدارت وجهها نحوه، حشرت يديها في جيبي سروالها الخلفيتين، فيما راقبت اثنين من أولئك الأطفال، يتخليان عن بناء قصر الرمال، ثم يركضان صعوداً ونزولاً على الشاطئ مع جروهما الصغير. راحا يهتفان بحماس وهما يرميان عصا صغيرة لكلبهما حتى يجلبها، أما والدتهما فراحت تناديهما كي لا يبتعدا كثيراً. لا بد أن ديابلو يحب الصبيان... تخيلت صبيين صغيرين ذوي شعرٍ أسود وعيون وامضة بالنور. ابتسمت بالرغم من حزنها، آه... نعم! لا بد أن أطفاله سيكونون ذوي شخصيات متميزة.

بعد قليل عاد أحد الطفلين ليساعد أخاه على الحفر، لكنه وقع على مقربة منه وارتطم به بخفة، فراح هذا الأخير يبكي معترضاً ويضربه بذراعيه. انتهى الأمر بأن وصل الرمل إلى داخل عيني أحدهما، فازدادت حدّة العويل، فيما حاولت الوالدة تهدئة الأمور من دون أن تنجح في ذلك.

ابتسمت بريار بحزن وأعادت انتباهها نحو البحر مجدداً. بعد برهة لفتت نظرها حركة ما... إنها عصا تطير على علوٍ منخفض في الهواء، فتحطُّ في مد المياه التي تعلوها الرغوة. تأهبت في جلستها عندما اتجه الجرو نحو المد المتراجع، فتحمس لجلب العصا لمالكه الفتى، مع أن المد المتراجع حملها إلى البعيد. وقف الصبي عند حافة المياه، منادياً الجرو حتى يعود، إلا أن صوته ذهب مع الريح فيما تابع الكلب تجذيفه مختفياً خلف الموجة التالية.

في تلك اللحظات وقفت بريار على قدميها، وقد زحف إلى عظامها شعور بالخشية. كان الرجل السائر على الشاطئ قد اختفى تاركاً الشاطئ مهجوراً. راقبت الصبي وهو يستدير ويسير خطوة نحو عائلته، حيث تصاعد الحماس



www.elromancia.com

والصراخ، وبعد أن أدرك أن المساعدة لن تأتيه من تلك الناحية، انطلق نحو المياه حتى ينقذ جروه.

صرخت بريار: «لا!»

خلعت جزمتها بالقوة، ثم انطلقت تركض عبر الشاطئ متمنية لو أنها فعلت شيئاً ما قبل قليل. كان يجدر بها أن تنبه الوالدة. لو أنها نادتها لتحذرها...

رفعت الوالدة بصرها، ففوجئت لرؤية أحدهم يركض مسرعاً بمحاذاتها، فيما أبعدت ولديها المتقاتلين عن بعضهما.

صرخت وهي تركض مندفعة نحو الشاطئ أمام نظرة الوالدة المتفاجئة: «إنه ابنك!»

لكن الموجات تغلبت عليها، فأوقعت الصبي ودفعته نحو المياه. سمعت الوالدة تصرخ من خلفها وهي تستحثها للمتابعة. ما زالت بريار قادرة على رؤية الصبي بذراعيه المتخبطتين... يجدر بها ألا تحيد بصرها عنه... قامت موجة أخرى وتكسرت فوق الشاطئ فاختفى الصبي في المياه. جالت بنظرها باحثة بهلع عبر المياه لترى أين اختفى، لكن المياه كانت للتو تتراجع فلم يظهر أي أثر له. كيف عساه يختفي بهذه السرعة؟

أسرعت عبر المياه الضحلة ثم غطست فيها. أحست بالمياه المجلّدة تكهرب جسدها، فصعقتها آتياً فيما قاومت لكي تتحمل ذلك. لامس شيء ما ذراعها... إنه الجرو، حاملاً العصا في فمه وعائداً نحو الشاطئ. بالكاد أراحها ذلك. فأين هو الصبي؟ استطاعت بريار أن تشعر بالمياه تجذبها نزولاً. إن سبحت مع التيار، وحاولت عدم مقاومته، فسوف تحظى بفرصة أفضل. صعدت إلى السطح مجدداً، فجالت بنظرها متفحصة المياه من جديد، ثم عادت وغطست تحتها. استدارت حيث رمى بها الموج باحثة عن لمحة من اللون... عن أي شيء ينبئها بمكان الصبي. تمكن المد منها مجدداً حين ظنت أنها رأته... لمحة ضئيلة جداً من الضوء في الرمال التي قذفتها الأمواج في الأعماق. أهو الولد؟



أحست برئتيها تكادان تنفجران، فصعدت إلى السطح مجدداً متخبطة وهي تتوجه إلى حيث يأخذ التيار الشيء الذي رأته تحت المياه. غاصت مجدداً باحثة بهلع جنوني عن لمحة أخرى لأي شيء يعطيها الأمل، ثم ارتطمت يدها بشيء زلق فأمسكته بقبضتها بقدر ما أوتيت من قوة واندفعت نحو السطح، لتشهق مجرجرة جسد الصبي الرخو معها.

أمران صدما بريار على التوالي. الأول أنهما على بعد أمتار من الشاطئ، أما الثاني وهو الأخطر فهو أن الصبي لا يتنفس. تسارع الأدرينالين الذي دفع بها إلى المياه بدأ ينفد منها فتركها فجأة منهكة القوى، أما وزن الصبي المتراخي فبدا عبئاً ثقيلاً على كتفيها. كيف عساها تصل إلى الشاطئ في الوقت المناسب... هذا إذا استطاعت الوصول أصلاً؟ لكنها في الوقت الحالي لا تمتلك خياراً آخر... يجدر بها أن تحاول...

احتضنت الولد من تحت ذقنه، وأبقته محشوراً بالقرب منها، ثم انطلقت متخبطة نحو ذاك الجانب من الخليج حيث علمت أن المد لن يقاومها بشدة. أحست أن عضلات ذراعيها تحترق، فيما أصبح سروال الجينز المشبع بالمياه الباردة ثقلاً يجرجرها إلى الأسفل.

شيء ما خبط المياه بالقرب منها، فتجمدت الدماء في عروقها. أهي أسماك القرش؟ لا... ليس الآن! جذبت الصبي ليدنو منها أكثر، ثم ضربت المياه بقوة أكبر بالرغم من عضلاتها المشتعلة من شدة الألم.

- بريار!

ديابلو! لم تعلم بريار ما الذي يفعله هناك، لكنها لم تشعر يوماً بمثل هذه السعادة لرؤية أحدهم. شهقت وهي ما تزال تضرب المياه بيأس بيدها الحرة، فيما قاومت لتبقي وجهها فوق الأمواج. قالت: «الصبي... لا يتنفس. لست أدري إذا كنت أستطيع الوصول في الوقت المناسب»

- يا إلهي! سوف آخذه أنا. هل تستطيعين الوصول بمفردك؟

قال ديابلو ذلك وهو يريحها من حملها الثمين. أومأت بريار وهي تنزع سروال الجينز عنها تحت المياه، تاركة ثقله المعيق لتقدمها يغرق إلى الأعماق.

بصقت ملء فمها من المياه المالحة، وقالت: «اذهب... أوصله إلى الشاطئ، وأنا سأتبعك».

ناداها ديابلو: «سوف أعود».

لكنه اندفع مبتعداً عنها. كافحت بعد ذلك بشدة للوصول إلى الشاطئ. حاولت ألا تسبح عكس التيار كي لا تنفد منها طاقتها. بعدئذٍ سمعت أزيز محرك قادم نحوها، ورأت زورقاً مطاطياً صغيراً ذا مجاذيف متوجهاً إليها، فعلمت أنه يتم إنقاذها.

- الصبي...؟ كيف هو؟

شهقت بريار عندما جذبها ديابلو وحارس النجاة على متن الزورق، ثم لفّا المناشف حول جسدها.

- سوف ينجو. لقد أنعشه المسعفون. إنه في طريقه إلى المستشفى الآن.

- آه! الحمد لله!

ما إن أنهت عبارتها حتى هزّت جسدها ارتعاشات قوية

- كان من الممكن أن تغرقي. أخبرتك أن هذا الشاطئ فيه صدع خطير.

قال ديابلو ذلك وهو يشدها إليه فيما انطلق الزورق متجهاً نحو الشاطئ.

- ربما كان يجدر بك أن تقول ذلك للولد.

ارتعشت بريار مجدداً، فاقتربت لتدنو من جسد ديابلو أكثر باحثة عن دفئه بالرغم من غضبه المتزايد. لمَ تراه يبدو غاضباً إلى هذا الحد؟ هي تعلم أنها جازفت في ما فعلته، لكن أيّ خيار آخر كان أمامها؟ لم يكن للولد أية فرصة بالنجاة لولا ذلك. ما هي مشكلته؟

- كان يجدر بك أن تطلبي حرّاس النجاة.

- لم يتسنَّ لي الوقت لذلك! كان الولد ليغرق خلال لحظات.

- وأنت كنت لتغرقي خلال لحظات. أنت محظوظة لأنك نجوتِ.

- أنا آسفة لأنني نجوت، بينما يبدو أن كل ما تريده هو رحيلي.

وصلوا إلى الشاطئ قبل أن يتمكن ديابلو من الإجابة، وبدا لها كأن عشرات الأيدي المرحبة تنتظرها لجذبها من الزورق. تم نقلها إلى سيارة إسعاف



أخرى تنتظر هناك. ثم وضع رباط على ذراعها وانطلقت الأسئلة نحوها من كل الاتجاهات، فيما وقف ديابلو على مقربة منها مفكراً وهو يجفف جسمه.

ما إن انتهى المسعفون من تشخيصهم، قام شرطي بأخذ التفاصيل منها، فقال لها: «أنت امرأة محظوظة، أما عائلة ذاك الصبي فيجدر بها أن تكون ممتنة لك. أنت أنقذت حياته، وأنا واثق أن الوالدة سترغب بشكرك شخصياً خلال يومٍ أو اثنين».

أقرت بريار وهي تومئ نحو ديابلو: «كلانا محظوظ لأن زوجي كان موجوداً. لا أظن أنني كنت سأتدبر إحضاره إلى الشاطئ بمفردي».

أغلق الشرطي دفتر ملاحظاته، وقال: «في الواقع، فوجئت لرؤية السيد باريتيس في المياه. لا بد أن الأمر بدا صعباً بالنسبة إليه».

هزت بريار رأسها قائلة: «لست أفهم ما تقوله».

- ألا تعلمين؟ والدته غرقت على هذا الشاطئ منذ خمس سنوات. واجهت فتاتان مراهقتان بعض الصعوبة، فحاولت مساعدتهما. ثم... البحر سحبهنَّ كلهنَّ. بعد بضعة أيام ظهرت جثتا الفتاتين، ومضت أسابيع قبل أن تستعاد جثة والدته.

آه، يا إلهي! تحول كل انتباهها إلى ديابلو الذي وقف واضعاً يديه على وركيه، وهو ينظر نحو البحر الهائج. أخبرها ديابلو أن والدته توفيت في حادث، والآن فهمت... غرقت المسكينة وهي تحاول إنقاذ حياة شخصين آخرين.

لامسها الشرطي برفقٍ على كتفيها، وقال: «يجدر بك أن تدفئي نفسك. هل ستذهبين إلى المستشفى لإجراء الفحوصات أم أنك قررتِ الذهاب إلى المنزل؟»

نظرت إلى ديابلو الواقف على مقربة منها، وأجابت: «المنزل».

وتساءلت أين تراه ذلك المنزل الآن؟

وقفت بريار بضعف على رجليها. لمَ أتى ديابلو إلى هنا؟ أهي صدفة محضة أم أنه لحق بها إلى هنا؟ التمعت في داخلها شرارة أمل ضئيلة. مشت نحوه وهي



www.elromancia.com

ما تزال تقبض على الغطاء الملفوف بحزم حول جسدها: «ديابلو!»

تحولت نظرات ديابلو نحوها، بالرغم من أنها شعرت بأن انتباهه ما يزال مركزاً على البحر.

- أشكرك على ما فعلته. لما تمكنت من تدبر الأمر لولاك.

انجذب فم ديابلو فصار مشدوداً مع تسجيله لكلماتها. أعادت هذه الحادثة إلى ذهنه ذكرى وفاة والدته برعب واضح، لكن التقلص الذي يشعر به في أحشائه الآن بالذات ليس سببه تذكره لما حصل حينها. هناك شعور آخر ينخر أعماقه، شيء آخر أحكم القبضة على قلبه حين رآها تركض متجهة نحو البحر. ذلك الشيء دفعه إلى اللحاق بها... خشي أن يخسرها إلى الأبد، في حين أنه أدرك الحقيقة للتو.

يجدر به أن يقول شيئاً... أي شيء... لكن هذا الشيء القابض على أحشائه راح يضغط بقوة. تدبر أن يقول أخيراً: «ما كان يجدر بي أن أغضب منك إلى هذا الحد».

حاول أن يجعل كلماته تبدو كاعتذار، لكن رغم ذلك خرج صوته فظاً يدل على عدم موافقته على ما حصل، فتابع: «لكن رغم ذلك يبقى ما فعلته عملاً مجنوناً».

لامست بريار ذراعه وقالت: «أنا آسفة لأنني فعلت ذلك بك. سمعت للتو فقط عن كيفية وفاة والدتك. لكن في ذلك الجزء من اللحظة بدت لي حياة ذلك الطفل أهم شيء في الدنيا. راقبته وهو يلعب مع جروه، ورأيت كم هو قريب من حافة المياه ولم أفعل شيئاً. كان بوسعي أن أنبه والدته... كان يجب أن أفعل شيئاً ما. لذا، حين رأيت الأمواج تجذبه إلى الأسفل، علمت أنه لو أصابه أي مكروه فلن أستطيع أن أسامح نفسي أبداً. لكنك أنت أنقذتنا... أنقذتنا كلينا».

هز ديابلو رأسه، وقال: «أنت أنقذت الولد. أما أنا فلم أعلم حتى بوجود ولد في المياه إلى حين بلغتك. اعتقدت...»

رفع ديابلو يده إلى جبهته. آه، يا إلهي! ما الذي ظنه حين وجد سيارتها



الفارغة، ثم رآها تغطس بكامل ملابسها في الأمواج؟ يا إلهي! لم يتوقف حتى ليفكر. لم يسجل في ذهنه حتى أن المرأة التي تصرخ على الشاطئ طلباً للمساعدة، هي في الواقع تصرخ لأجل ابنها.

رمى ديابلو إليها بهاتفه النقال كي تطلب الإسعاف، ثم خلع حذاءه وغطس خلف بريار.

- ألم تدرك أن هنالك طفل؟

- لا. أنا غطست خلفك أنت.

لا بد أن بريار استشعرت شيئاً ما في صوته، فقد انفرجت شفتاها جزئياً، أما عيناها الكهرمانيتان فبدتا متسائلتين كأنهما تدوران في دوامة.

- لماذا جئت إلى الشاطئ؟ كيف وجدتني؟

- راقبتك من المنزل. حالما خرجت من البوابات الأمامية، أدركت أنني ارتكبت أكبر خطأ في حياتي. لم أصغ إليك، ولم أمنحك أية فرصة حتى. أدركت أنك لن تعودي هذه المرة، فكان يجدر بي أن أعيدك. حين رأيت سيارتك تنحرف نحو الطريق المؤدية إلى البلدة، علمت أنني سأحظى بفرصة للحاق بك.

تحوّل التساؤل على شفتيها إلى ابتسامة مرتعشة، فسألته: «أحقاً لحقت بي؟»

أخذ ديابلو يديها بين يديه، وقال: «لم أستطع أن أصدق أنني كنت أحمق لدرجة أن أسمح لك بالرحيل مجدداً، لذا حينما رأيتك تغطسين في تلك الأمواج، علمت أنه يجدر بي أن أجدك لكي أتمكن من أن أقول لك...»

همست بريار: «تقول لي... ماذا؟»

تنهد ديابلو، وقال: «ليس من السهل علي قول ذلك، لكن حين راقبتك تقودين سيارتك مبتعدة، شعرت أن قلبي يتمزق إلى نصفين».

التمعت عينا بريار، فبدتا مشرقتين غير واثقتين.

- أنا أحبك، بريار! كان علي أن ألحق بك وأعلمك بذلك. لا مجال أبداً لأن أخسرك مجدداً.

كررت بريار: «أنت... تحبني؟ لطالما قلت...»



www.elromancia.com

- أعلم ما قلته . . . كنت مخطئاً .

ملأت الدموع عينيها وهي تقول : «أنا لا أصدق ذلك . أنت تحبني . . . أنت تحبني بالفعل . . . وأنت لن تخسرني أبداً» .

اعترف لها ديابلو : «اعتقدت أنني خسرتك بالفعل حين عاملتك بوحشية في الليلة الأولى لزفافنا ، فبكيت أنت وهربت مسرعة من السرير . يومها خشيت أن أكون قد خسرتك» .

كشفت كلمات ديابلو جانباً آخر من شخصيته لم تتوقع بريار وجوده مطلقاً ، فقالت : «لكنني لم أكن أبكي بسبب ما حصل بيننا . . . ألا تدرك ذلك؟ بكيت لأنك كسرت كل دفاعاتي . يومها شعرت بتوق إليك وبأنني أريدك ، حتى حين قلت لنفسي إنه لا يجدر بي ذلك» .

رفعت يداً إلى وجهه وقد اتسعت عيناها ، ثم تابعت : «أهذا هو إذاً سبب عدم رغبتك بإقامة علاقة حميمة معي بعد ذلك؟»

أطبقت يد ديابلو على يدها ، وقربتها إلى فمه ، قبل أن يقول : «آه! لكم رغبت بذلك ، صدقيني . لكنني أدركت أنني كنت قاسياً جداً معك . . . خشناً جداً ، لذا أردتك أن تأخذي وقتك لتتعافي من ذلك ، ولتكتشفي أننا منسجمان تماماً كزوجين» .

ضحكت بريار متذكرة ذلك ، فقالت وقد اتسعت ابتسامتها : «أنت حتماً لم تسهل الأمر علي أبداً . أنا أحبك كثيراً ، ديابلو» .

- وأنا أحبك .

قربها منه ليحتضنها في عناق مشتاق وهو يقول : «بقي لدي سؤال يحتاج إلى إجابة منك؟»

تحركت عينا بريار من شفتيه إلى عينيه وقد جمد جبهتها عبوس صغير ، وسألته : «ما هو؟»

- تذكرت أنني أثناء ترتيباتنا السابقة نسيت أن أسألك شيئاً مهماً .

فجأة ركع ديابلو على إحدى ركبتيه أمامها وقال : «بريار ، هلا تزوجتني؟»

نظرت بريار نحوه بعينين مشرقتين غمرتهما المياه المالحة من جديد ، لكن هذه



المرة بسبب الدموع ، وقالت : «آه ، ديابلو! قد أقول نعم بلمحة البصر ، وأنت تعلم ذلك . لكنني لا أستطيع ، فأنا متزوجة بك» .

رفع ديابلو نظره نحو عينيها الكهرمانيتين وفمها الجميل ، وهو يهيىء نفسه ذهنياً لعناق أكثر حميمية حالما يوصلها إلى المنزل .

- إذاً هل تعديني بأن تبقي متزوجة بي متناسية جميع الآخرين ، وأن تشاركي زوجك في منزله ومستقبله وحبه إلى الأبد؟

لوت بريار رأسها بشكل يدعو إلى الشك ، وقالت : «أفترض أن هذا الاتفاق لا يشمل أي إلزام بالطاعة؟»

أطلق ديابلو ضحكة مكتومة خافتة وصلت مباشرة إلى أعماقها ، ثم قال : «السيد باريتيس لن يكون بالغباء الذي يدفعه إلى طلب ذلك» .

- في تلك الحالة ، أنا أوافق .

قالت بريار ذلك وهي تجذبه إلى الأعلى ، ثم تلف ذراعها حول عنقه . بعدئذٍ . . . عانق ديابلو عروسه بشغف وشوق بالغين .

www.elromancia.com

# الخاتمة

بعد مضي اثني عشر شهراً . . .

وصل التوأمان في فيض من الحماس والسعادة. ولدا قبل أسبوعين عن موعدهما المحدد. إنهما طفلان ذوي شعر أسود غامق، في حين أن أحدهما يلوح بعينين غامقتين لامعتين كوالده، أما الآخر فعيناه زرقاوان ضبابيتان سوف يصبح لونهما أكثر إشراقاً مع مرور الوقت.

الآن، بعد مرور أربع وعشرين ساعة في جناحهما الخاص بالمستشفى، راقبهما دیابلو وهما مستلقيان فوق الوسائد يرضعان ثديي والدتهما.

قال وهو يحتضن رأسي الطفلين المكسوين بالزغب الناعم، بكفّي يديه: «يا إلهي! لم أرَ شيئاً في حياتي بمثل هذه الروعة. لقد جعلتني أسعد رجل في الدنيا».

رفعت بريار نظرها المشرق نحو دیابلو قائلة: «أليسا رائعين؟»

ضغط دیابلو شفتيه على جبهتها وهو يقول: «لا عجب في ذلك، في حين أن والدتهما رائعة إلى هذا الحد. أردت أن أبكي من شدة الفرح وأن أصرخ بسبب الألم الذي تعانينه. لم أشعر أبداً من قبل أنني فاقد للحيلة إلى هذه الدرجة».

- شكراً لك لأنك كنت موجوداً إلى جانبي، وأمسكت بيدي.

ساعدها دیابلو على وضع الطفلين الناعسين ليرتاحا ويتجشآ، ثم وضعهما في مهديهما إلى جانب سريروالدتهما التي قالت: «أما الآن، فكل ما نحتاجه لهما هو الاسمين المناسبين. هل فكرت بتسميتهما تيمناً بوالديك؟»

ابتسم دیابلو: «كوزمو وكاميلا. يعجبني ذلك كثيراً. سوف نسمي الصبي كوزمو ناثانيال».

- آه، دیابلو!

قالت بريار ذلك وقد أحست بعقدة في حلقها. وضعت إحدى يديها على



فمها ثم مدّت الأخرى لتتناول يد زوجها، وهي تقول: «أنت تسميه تيمناً بأخي. . . ذلك سيعني الكثير لوالدي. . . لنا جميعاً».

أومأ دیابلو برأسه: «أعلم ذلك. يعتقد المستشار النفسي أن وفاة شقيقك هي التي دفعت والدك إلى اليأس الذي جرّه إلى المقامرة. لعل بمقدور هذا الولد أن يساعده على الشفاء والتعافي. إنه كوزمو ناثانيال بارينتيس. أما بخصوص كاميلا. . .»

مد يده فوضع أنامله على الجبهة الناعمة لوليدته الجديدة، وتابع: «يجدر أن يكون اسمها آمبير. آمبير كاميلا».

- إنه يعجبني، لكنني لا أفهم. لماذا آمبير؟

نقل دیابلو يده من جبين ابنته إلى جبين زوجته، وقال: «الجواب هو في لون عينيك الكهرمانيتين الذي يتغير فيقدح شرراً حين تغضبين ويتوهج كالذهب حين تفرحين كما أنت الآن، أو يتحول إلى لون داكن متوهج حين أعانقك. أود أن أسمي ابنتي تيمناً بعينيك الجميلتين. . . عيني المرأة التي أحب».

رفع ذقنها برقة إلى الأعلى، وتابع: «أحبك بريار. . . من أعماق قلبي وروحي».

ثم عانقها برفق شديد وحلاوة كبيرة، فوصل حبه إليها مغلفاً إياها بغمامة دافئة. ابتسمت بريار لنفسها ما إن ازداد عناقه عمقاً. لعل زوجها لم يؤمن بالقصص الخرافية أبداً، لكنها أدركت أن سعادتها إلى الأبد قد بدأت للتو.

www.elromancia.com